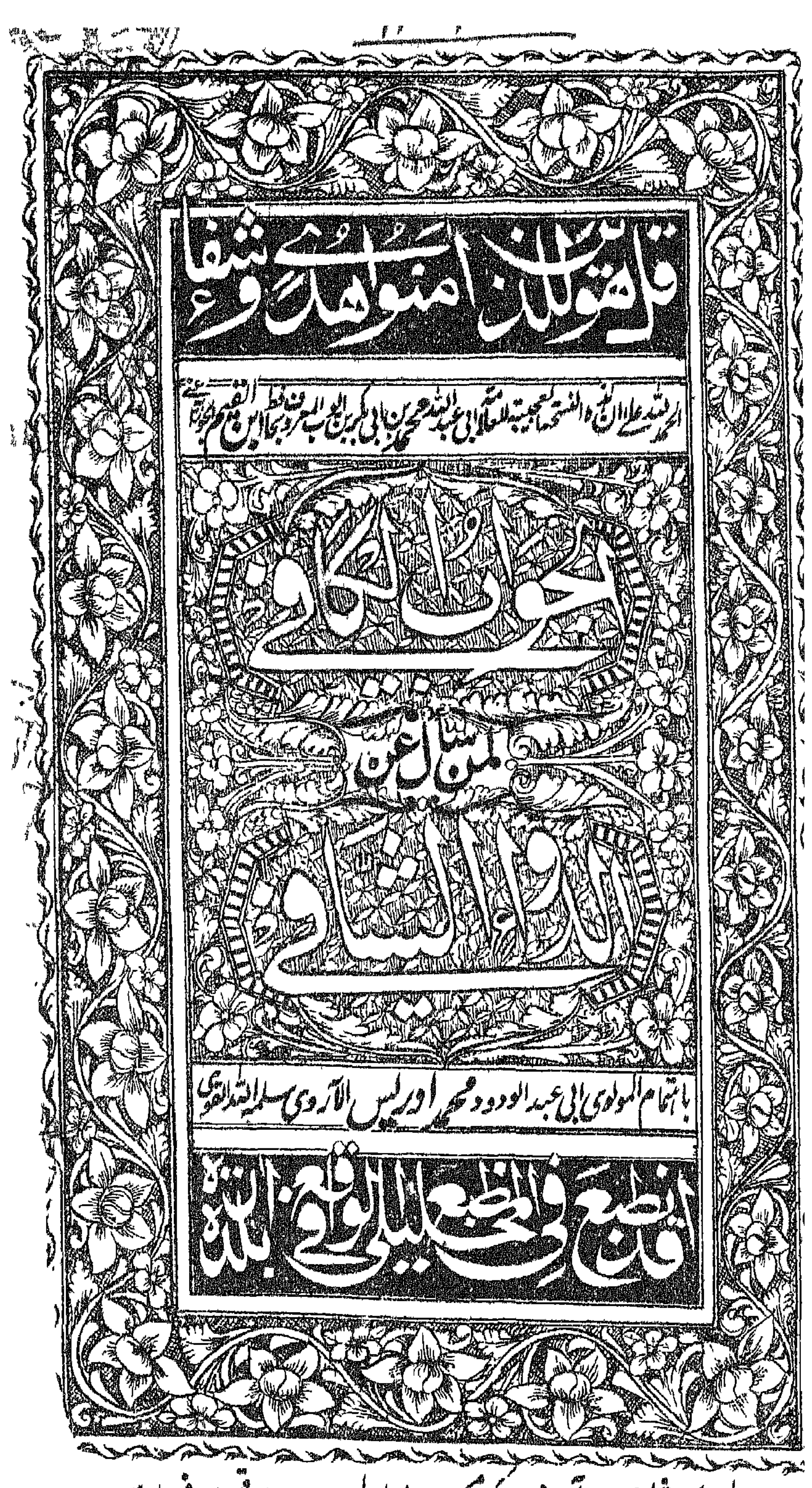


قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء

الحمد لله على ان تم هذه النسخة العجيبة للعلامة ابی عبد الله محمد بن ابی بکر بن ایوب المعروف بابن القیم الجوزیة

الجواب الكافي

لمن سأل عن

الدواء الشافي

باهتمام المولوی ابی عبد الودود محمد ادریس الآروی سلمه الله القوی

انطبع في المطبع الخليلي الواقع في بلدة

جاے اشاعت - آره محله چوک مسجد بار اول ۵۰۰ جلد قیمت فی جلد ۱۲ ر

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام العالم العلامة المتقن الحافظ الناقد شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ
الصالح ابي بكر عرف بابن القيم الجوزية رضي الله عنه ما تقول السادة العلماء ائمة الدين
رضي الله عنهم اجمعين في رجل ابتلي ببلية وعلم انها ان استمرت به افسدت دنياه وآخرته وقد اجتهد
في دفعها عن نفسه بكل طريق فما يزداد الا توقدا وشدة فما الحيلة في دفعها وما الطريق الى كشفها
فرحم الله من اعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه افتونا ماجورين
فكتب الشيخ رضي الله عنه تحت السوال الجواب الحمد لله اما بعد فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انزل الله داء الا انزل له شفاء وفي صحيح مسلم
من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا
اصيب دواء الداء برأ باذن الله وفي مسند الامام احمد من حديث اسامة بن شريك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله
من جهله وفي لفظ ان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله
ما هو قال الهرم قال الترمذي هذا حديث صحيح وهذا يعم ادواء القلب والروح والبدن وادويتها
وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهل داء وجعل دواءه سوال العلماء فروى ابو داود في سننه
من حديث جابر بن عبد الله قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه

ثم احتلم فسأل اصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت
تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك
فقال قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذ لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم
ويعصر او يعصب على جرحه بخرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده فاخبر ان الجهل داء وان
شفاءه السؤال وقد اخبر سبحانه عن القرآن انه شفاء فقال الله تعالى ولو جعلناه قرآنا
اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وقال وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومن ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض فان القرآن
كله شفاء كما قال في الآية الاخرى فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب فلم
ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القرآن
وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابي سعيد قال انطلق نفر من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا
ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء
الرهط الذين نزلوا لعله ان يكون عند بعضهم شيء فاتوهم فقالوا يا ايها الرهط ان سيدنا
لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند احد منكم شيء فقال بعضهم نعم والله اني لارقي ولكن
والله استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم
فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكانما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به
قلبة فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى
نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقسموا واضربوا
لي معكم سهما فقد اثر هذا الدواء في هذا الداء وازاله حتى كان لم يكن وهو اسهل دواء وايسره ولو
احسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تاثيرا عجيبا في الشفاء ومكثت بمكة مدة تعتريني ادواء
ولا اجد طبيبا ولا دواء فكنت اعالج نفسي بالفاتحة فارى لها تاثيرا عجيبا فكنت اصف
ذلك لمن يشتكي الما وكان كثير منهم يبرأ سريعا ولكن ههنا امر ينبغي التفطن له وهو ان الاذكار

والآيات والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول
المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل او لعدم قبول
المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية
فان عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة
اذا اخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول
تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب
في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه اثره اما لضعفه في نفسه بان يكون
دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه
وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً فان السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً واما لحصول
المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو
وغلبتها عليها كما في صحيح الحاكم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم
موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فهذا دواء نافع مزيل
للداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك اكل الحرام يبطل قوته ويضعفها كما
في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس
ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه
حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك وذكر عبد الله
ابن احمد في كتاب الزهد لابيه اصاب بني اسرائيل بلاء فخرجوا مخرجاً فاوحى الله عز وجل
الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم
بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا
بعداً وقال ابو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح

فصل

والدعاء من انفع الادوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في صحيحه من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وله مع البلاء ثلث مقامات احدها ان يكون اقوى من البلاء فيدفعه الثاني ان يكون اضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وان كان ضعيفا الثالث ان يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء ينفع
فيعتلجان الى يوم القيمة وفيه ايضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء وفيه ايضا من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه

فصل

ومن انفع الادوية الالحاح في الدعاء وقد روى ابن ماجة في سننه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه وفي صحيح الحاكم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء احد وذكر الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعاء وفي كتاب الزهد للامام احمد عن قتادة قال قال مورق ما وجدت للمؤمن مثلا الا رجل في البحر على خشبة فهو يدعو يا رب يا رب لعل الله عز وجل ان ينجيه

فصل

ومن الآفات التي تمنع ترتب اثر الدعاء عليه ان يستعجل العبد ويستبطئ الاجابة فيستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرا او غرس غرسا فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطأ

بحماله واذا اکه ترکه واهمله وفی البخاری من حدیث ابی ہریرة ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال یستجاب لاحدکم مالم یعجل یقول دعوت فلم یستجب لی وفی صحیح مسلم عنه لایزال یستجاب للعبد مالم یدع باثم او قطیعة رحم مالم یستعجل قیل یا رسول الله ما الاستعجال قال یقول قد دعوت وقد دعوت فلم ار یستجاب لی فیستحسر عند ذالک ویدع الدعاء وفی مسند احمد من حدیث انس قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لایزال العبد بخیر مالم یستعجل قالوا یا رسول الله کیف یستعجل قال یقول قد دعوت لربی فلم یستجب لی ؛

فصل

واذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعیته بکلیته علی المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة الستة وہی الثلث الاخیر من اللیل وعند الاذان وبین الاذان والاقامة وادبار الصلوات المکتوبات وعند صعود الامام یوم الجمعة علی المنبر حتی تقضی الصلوٰة وآخر ساعة بعد العصر من ذالک الیوم وصادف خشوعا فی القلب وانکسارا بین یدی الرب وذلا له وتضرعا ورقة واستقبل الداعی القبلة وکان علی طهارة ورفع یدیه الی الله تعالیٰ وبدا بحمد الله والثناء علیه ثم ثنی بالصلوٰة علی محمد عبده صلی الله علیه وسلم ثم قدم بین یدی حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل علی الله والح علیه فی المسئلة وتملقه ودعاه رغبة ورہبة وتوسل الیه باسمائه وصفاته وتوحیده وقدم بین یدی دعائه صدقة فان ہذا الدعاء لایکاد یرد ابدا ولاسیما ان صادف الادعیة التی اخبر النبی صلی الله علیه وسلم انها مظنة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم فمنها ما فی السنن وفی صحیح ابن حبان من حدیث عبد الله بن بریدة عن ابیه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم سمع رجلا یقول اللّٰهم انی اسألک بانی اشهد انک انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذی لم یلد ولم یولد ولم یکن له کفوا احد فقال لقد سأل الله بالاسم الذی اذا سئل به اعطی واذا دعی به اجاب وفی لفظ لقد سألت الله باسمه الاعظم وفی السنن وصحیح ابی حاتم بن حبان ایضا من حدیث انس ابن مالک انه کان مع رسول الله صلی الله علیه وسلم جالسا ورجل یصلی ثم دعا فقال اللّٰهم انی اسألک بان لک الحمد لا اله الا انت المنان بدیع السموات والارض یا ذا الجلال

والاكرام ياحيّ ياقيوم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي
اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى واخرج الحديثين احمد في مسنده وفي جامع الترمذي
من حديث اسماء بنت يزيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في
هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله
الا هو الحيّ القيوم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي مسند احمد وصحيح الحاكم من حديث
ابي هريرة وانس بن مالك وربيعة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الظّوا
بيا ذا الجلال والاكرام يعني تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها وفي جامع الترمذي من حديث
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع رأسه الى السماء واذا
اجتهد في الدعاء قال ياحيّ ياقيوم وفيه ايضاً من حديث انس بن مالك قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا كربه امر قال ياحيّ ياقيوم برحمتك استغيث وفي صحيح الحاكم
من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور
من القرآن البقرة وآل عمران وطه قال القاسم فالتمستها فاذا هي آية الحي القيوم وفي
جامع الترمذي وصحيح الحاكم من حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال دعوة ذي النون اذ دعا وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين انه لم يدع بها مسلم في شيء قط الا استجاب الله له قال الترمذي حديث صحيح وفي
صحيح الحاكم ايضاً من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشيء اذا نزل
برجل منكم امر مهم فدعا به يفرج الله عنه دعاء ذي النون وفي صحيحه ايضاً عنه انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقول هل ادلكم على اسم الله الاعظم دعاء يونس فقال رجل يارسول الله هل
كان ليونس خاصة فقال الا تسمع قوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين
فايما مسلم دعا بها في مرضه اربعين مرة فمات في مرضه ذلك اعطي اجر شهيد وان برأ
برأ مغفوراً له وفي الصحيحين من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله
الا الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم وفي مسند الامام احمد من حديث

علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ قال علمنی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اذا نزل بی کرب
ان اقول لا الہ الا اللہ الحلیم الکریم سبحان اللہ وتبارک اللہ رب العرش العظیم والحمد للہ رب
العلمین وفی مسندہ ایضا من حدیث عبد اللہ بن مسعود قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم ما اصاب احدا قط ہم ولا حزن فقال اللہم انی عبدک ابن عبدک ابن
امتک ناصیتی بیدک ماض فی حکمک عدل فی قضاؤک اسألک اللہم بکل اسم ہو لک
سمیت بہ نفسک او علمتہ احدا من خلقک او انزلتہ فی کتابک او استأثرت بہ فی علم الغیب عندک ان
تجعل القرآن العظیم ربیع قلبی ونور صدری وجلاء حزنی وذہاب ہمی الا اذہب اللہ ہمہ
وحزنہ وابدلہ مکانہ فرحا فقیل یا رسول اللہ الا نتعلمہا قال بل ینبغی لمن سمعہا ان یتعلمہا
وقال ابن مسعود ما کرب نبی من الانبیاء الا استغاث بالتسبیح وذکر ابن ابی الدنیا فی کتاب
المجابین فی الدعاء عن الحسن قال کان رجل من اصحاب النبی صلی اللہ علیہ وسلم
من الانصار یکنی ابا معلق وکان تاجرا یتجر بمال لہ ولغیرہ یضرب بہ فی الآفاق وکان
ناسکا ورعا فخرج مرۃ فلقیہ لص مقنع فی السلاح فقال لہ ضع ما معک فانی قاتلک
قال فما ترید الا دمی فشانک والمال قال اما المال فلی ولست ارید الا دمک قال اما اذا ابیت
فذرنی اصلی اربع رکعات قال صل ما بدا لک فتوضأ ثم صلی اربع رکعات فکان من
دعائہ فی آخر سجدۃ ان قال یا ودود یا ذا العرش المجید یا فعال لما ترید اسألک بعزک
الذی لا یرام وبملکک الذی لا یضام وبنورک الذی ملأ ارکان عرشک ان تکفینی شر
ہذا اللص یا مغیث اغثنی یا مغیث اغثنی یا مغیث اغثنی ثلث مرات فاذا ہو بفارس
اقبل بیدہ حربۃ قد وضعہا بین اذنی فرسہ فلما بصر بہ اللص اقبل نحوہ فطعنہ فقتلہ ثم
اقبل الیہ فقال قم فقال من انت بابی انت وامی فقد اغاثنی اللہ بک الیوم فقال
انا ملک من اہل السماء الرابعۃ دعوت فسمعت لابواب السماء قعقعۃ ثم دعوت بدعائک الثانی فسمعت لاہل السماء ضجۃ ثم
دعوت بدعائک الثالث فقیل لی دعاء مکروب فسألت اللہ ان یولینی قتلہ قال
الحسن فمن توضأ وصلی اربع رکعات ودعا بہذا الدعاء استجیب لہ مکروبا کان او غیر مکروب

فصل

وكثيراً ما تجد ادعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه واقباله على الله او حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه اجابة دعوته شكراً لحسنته او صادف الدعاء وقت اجابة ونحو ذلك فاجيبت دعوته فيظن الظان ان السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذه مجرداً عن تلك الامور التي قارنته من ذلك الداعي وهذا كما اذا استعمل رجل دواء نافعاً في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره ان استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب كان غالطاً وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس ومن هذا قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيجاب فيظن الجاهل ان السر للقبر ولم يعلم ان السر للاضطرار وصدق اللجاء الى الله فاذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان افضل واحب الى الله

فصل

والادعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به والساعد ساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فان كان الدعاء في نفسه غير صالح او الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء او كان ثم مانع من الاجابة لم يحصل الاثر

فصل

وههنا سؤال مشهور وهو ان المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه دعا به العبد او لم يدع وان لم يكن قد قدر لم يقع سواء سأله العبد او لم يسأله فظنت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فان طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال لاحدهم ان كان الشبع والري قد قدرا لك فلا بد من وقوعهما اكلت او لم تأكل وان لم يقدرا لم يقعا اكلت او لم تأكل وان كان الولد قد قدر لك فلا بد منه وطئت الزوجة والامة او لم تطأ وان لم يقدر لم يكن فلا حاجة الى التزويج والتسري وهلم جراً فهل يقال هذا عاقل او آدمي بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الاسباب التي بها قوامه وحياته فالحيوانات اعقل وافهم من هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلاً وتكايس بعضهم وقال الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض يثيب الله عليه الداعي من غير ان يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما ولا فرق عند هذا الكيس بين الدعاء والامساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في

حصول المطلوب وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت ولا فرق وقالت طائفة اخرى
اكيس من هؤلاء بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله سبحانه امارة على قضاء الحاجة فمتى وفق
العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على ان حاجته قد قضيت وهذا كما اذا رأيت غيماً
اسود بارداً في زمن الشتاء فان ذلك دليل وعلامة على انه يمطر قالوا وهكذا حكم الطاعات
مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب هي امارات محضة لوقوع الثواب والعقاب لا انها
اسباب له وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار والحرق مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس
شيء من ذلك سبباً البتة ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا بمجرد الاقتران العادي
لا التاثير السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء بل اضحكوا
عليهم العقلاء والصواب ان ههنا قسماً ثالثاً غير ما ذكره السائل وهو ان هذا المقدور قدر باسباب
ومن اسبابه الدعاء فلم يقدر مجرداً عن سببه ولكن قدر بسببه فمتى اتى العبد بالسبب وقع
المقدور ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع والري بالاكل والشرب
وقدر الولد بالوطئ وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك
قدر دخول الجنة بالاعمال ودخول النار بالاعمال وهذا القسم هو الحق وهذا الذي حرمه السائل
ولم يوفق له وحينئذٍ فالدعاء من اقوى الاسباب فاذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح
ان يقال لا فائدة في الدعاء كما لا يقال لا فائدة في الاكل والشرب وجميع الحركات والاعمال
وليس شيء من الاسباب انفع من الدعاء ولا ابلغ في حصول المطلوب ولما كان الصحابة
رضي الله عنهم اعلم الامة بالله ورسوله وافقههم في دينه كانوا اقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه
من غيرهم وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان اعظم جنده وكان يقول للصحابة
لستم تنصرون بكثرة وانما تنصرون من السماء وكان يقول اني لا احمل هم الاجابة ولكن
هم الدعاء فاذا الهمت الدعاء فان الاجابة معه واخذ هذا الشاعر فنظمه فقال ؎
لو لم ترد نيل ما جو واطلبه ٭ من جود كفيك ما علمتني الطلبا ٭ فمن الهم الدعاء فقد اريد تودّني
به الاجابة فان الله سبحانه يقول ادعوني استجب لكم وقال واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وفي سنن ابن ماجه من حديث ابي هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وهذا يدل على
ان رضاه في سؤاله وطاعته واذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه كما ان
كل بلاء ومصيبة في غضبه وقد ذكر الامام احمد في كتاب الزهد اثرا انا الله لا اله الا انا اذا رضيت
باركت وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وقد دل العقل
والنقل والفطرة وتجارب الامم على اختلاف اجناسها ومللها ونحلها على ان التقرب الى
رب العلمين وطلب مرضاته والبر والاحسان الى خلقه من اعظم الاسباب الجالبة
لكل خير واضدادها من اكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله واستدفعت
نقمة الله بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان الى خلقه وقد رتب الله سبحانه حصول
الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول السرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الاعمال ترتيب
الجزاء على الشرط والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن يزيد على الف
موضع فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والامر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله تعالى
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم وقوله والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا وقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وهذا كثير جدا وتارة ترتبه عليه بصيغة الشرط
والجزاء كقوله تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وقوله وان لو
استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين ونظائره وتارة يأتي بلام التعليل كقوله ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وتارة يأتي باداة كي التي للتعليل كقوله
كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وتارة يأتي بباء السببية كقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم
وقوله بما كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون وقوله ذلك بانهم كفروا بآياتنا وتارة يأتي بالمفعول لاجله ظاهرا
او محذوفا كقوله فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احدهما فتذكر احدهما
الاخرى وكقوله تعالى ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين وقوله ان تقولوا انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اي كراهة ان تقولوا وتارة يأتي بفاء السببية كقوله فكذبوه فعقروها

فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقوله فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية وقوله فكذبوهما
فكانوا من المهلكين ونظائره وتارة ياتي باداة لما الدالة على الجزاء كقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم
ونظائره وتارة ياتي بان وما عملت فيه كقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات وقوله في ضد
هؤلاء انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وتارة ياتي باداة لولا الدالة على ارتباط ما قبلها
بما بعدها كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وتارة ياتي بلو الدالة
على الشرط كقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وبالجملة فالقرآن من اوله الى آخره
صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر والاحكام الكونية والامرية على الاسباب بل ترتب
احكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الاسباب والاعمال ومن تفقه في هذه المسألة
وتاملها حق التامل انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلاً منه وعجزاً وتفريطاً واضاعة
فيكون توكله عجزاً وعجزه توكلاً بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر ويدفع القدر
بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الانسان ان يعيش الا بذلك فان الجوع والعطش
والبرد وانواع المخاوف والمحاذير هي من القدر والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر وهكذا
من وفقه الله والهمه رشده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والايمان والاعمال
الصالحة فهذا وزان القدر المخوف في الدنيا وما يضاده فرب الدارين واحد وحكمته واحدة
لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضاً فهذه المسألة من اشرف المسائل لمن عرف
قدرها ورعاها حق رعايتها والله المستعان لكن يبقى عليه امران بهما تتم سعادته وفلاحه
احدهما ان يعرف تفاصيل اسباب الشر والخير ويكون له بصيرة في ذلك بما يشهده في العالم
وما جربه في نفسه وغيره وما سمعه من اخبار الامم قديماً وحديثاً ومن انفع ما في ذلك تدبر
القرآن فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب الخير والشر جميعاً مفصلة مبينة
ثم السنة فانها شقيقة القرآن وهي الوحي الثاني ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما من
غيرهما وهما يريانك الخير والشر واسبابهما حتى كانك تعاين ذلك عياناً وبعد ذلك فاذا
تاملت اخبار الامم وايام الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن
والسنة ورايته بتفاصيل ما اخبر الله به ووعد به وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلك على ان

القرآن حق وان الرسول حق وان الله ينجز وعده لا محالة فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما
عرفنا الله ورسوله من الاسباب الكلية للخير والشر ؟

فصل

الامر الثاني ان يحذر مغالطة نفسه على هذه الاسباب وهذا من اهم الامور فان العبد يعرف
ان المعصية والغفلة من الاسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولا بد ولكن تغالطه نفسه
بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة والاستغفار باللسان تارة
وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة وبالاحتجاج بالاشباه والنظراء تارة
وبالاقتداء بالاكابر تارة وكثير من الناس يظن انه لو فعل ما فعل ثم قال استغفر الله
زال اثر الذنب وراح هذا بهذا وقال لي رجل من المنتسبين الى الفقه انا افعل ما
افعل ثم اقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وقد غفر ذلك اجمعه كما صح عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه ولو
١٤٣
كانت مثل زبد البحر وقال لي آخر من اهل مكة نحن احدنا اذا فعل ما فعل ثم اغتسل وطاف
بالبيت اسبوعا فقد محي عنه ذلك وقال لي آخر قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذنب عبد ذنبا فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فغفر الله ذنبه ثم مكث
ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال اي رب اصبت ذنبا فاغفر لي فقال الله عز وجل
علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء وقال انا لا اشك
ان لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص من الرجاء
واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه واذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه
من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء وللجهال من هذا الضرب من الناس في
هذا الباب غرائب وعجائب كقول بعضهم ؎ وكثر ما استطعت من الخطايا ؎ اذا كان القدوم
على كريم ؎ وقول بعضهم التنزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله وقال الآخر ترك الذنوب
جراءة على المغفرة الله واستصغار لها وقال محمد بن حزم رايت بعض هؤلاء من يقول
في دعائه اللهم اني اعوذ بك من العصمة ومن هؤلاء المغرورين من يتعلق بمسالة الجبر وان

العبد لا فعل له البتة ولا اختيار وانما هو مجبور على فعل المعاصي ومن هؤلاء من يغتر بمسألة
الارجاء وان الايمان هو مجرد التصديق والاعمال ليست من الايمان وان ايمان افسق الناس
كايمان جبريل وميكائيل ومن هؤلاء من يغتر بمحبة الفقراء والمشائخ والصالحين وكثرة التردد
الى قبورهم والتضرع اليهم والاستشفاع بهم والتوسل الى الله بهم وسؤاله بحقهم عليه
وحرمتهم عنده ومنهم من يغتر بآبائه واسلافه وان لهم عند الله مكانة وصلاحا فلا يدعون ان
يخلصوه كما يشاهد في حضرة الملوك فان الملوك تهب لخواصهم ذنوب ابنائهم واقاربهم
واذا وقع احد منهم في امر مفظع خلصه ابوه وجده بجاهه ومنزلته ومنهم من يغتر بان الله
عز وجل غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في ملكه شيئا ورحمته له لا ينقص من ملكه شيئا فيقول
انا مضطر الى رحمته وهو اغنى الاغنياء ولو ان فقيرا مسكينا مضطرا الى شربة ماء عند من
في داره شط يجري لما منعه منها فالله اكرم واوسع فالمغفرة لا تنقصه شيئا والعقوبة لا تزيد
في ملكه شيئا ومنهم من يغتر بفهم فاسد فهمه هو واضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه
كاتكال بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال وهو لا يرضى ان يكون في النار احد من امته وهذا من اقبح ١٤
الجهل وابين الكذب عليه فانه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرين على الكبائر
فحاشا رسوله ان لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وكاتكال بعضهم على قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا ايضا
من اقبح الجهل فان الشرك داخل في هذه الآية فانه رأس الذنوب واساسها ولا خلاف ان هذه الآية
في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب اي ذنب كان ولو كانت الآية في حق غير
التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث اخراج قوم من الموحدين من النار
بالشفاعة وهذا انما اتي صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه سبحانه ههنا عمم واطلق فعلم انه اراد
التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر الله سبحانه انه لا يغفر الشرك واخبر انه يغفر ما دونه ولو كان
هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم فيقول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا
جهل قبيح وانما غره بربه الغرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه واتى سبحانه

بلفظ الكريم وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع هذا المغتر الغرور
في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به وكاغترار بعضهم بقوله تعالى في النار لا يصلها الا
الاشقى الذي كذب وتولى وقوله اعدت للكافرين ولم يدر هذا المغتر ان قوله فانذرتكم نارا تلظى
هي النار مخصوصة من جملة دركات جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال
لا يصلها الا الاشقى ولا يلزم من عدم صليها عدم دخولها فان الصلي اخص من الدخول ونفي
الاخص لا يستلزم نفي الاعم ثم هذا المغتر لو تأمل الآية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها فلا يكون
مضمونا له ان يجنبها واما قوله في النار اعدت للكافرين فقد قال في الجنة اعدت للمتقين ولا
ينافي اعداد النار للكافرين ان تدخلها الفساق والظلمة ولا ينافي اعداد الجنة للمتقين ان
يدخلها من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ولم يعمل خيرا قط وكاغترار بعضهم على صوم
يوم عاشوراء او يوم عرفة حتى يقول بعضهم يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها ويبقى صوم عرفة
زيادة في الاجر ولم يدر هذا المغتر ان صوم رمضان والصلوات الخمس اعظم واجل من صيام
١٥ يوم عرفة ويوم عاشوراء وهي انما تكفر ما بينها اذا اجتنبت الكبائر فرمضان والجمعة الى الجمعة
لا يقوى على تكفير الصغائر الا مع انضمام ترك الكبائر اليها فيقوى مجموع الامرين على تكفير
الصغائر فكيف يكفر صوم تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر عليها غير تائب منها هذا محال على انه
لا يمتنع ان يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء يكفر لجميع ذنوب العام على عمومه ويكون من نصوص
الوعد التي لها شروط وموانع ويكون اصراره على الكبائر مانعا من التكفير فاذا لم يصر على الكبائر
لتساعد الصوم وعدم الاصرار وتعاونا على عموم التكفير كما كان رمضان والصلوات الخمس مع
اجتناب الكبائر متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر مع انه سبحانه قد قال ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم ان جعل الشيء سببا للتكفير لا يمنع ان يتساعد هو وسبب آخر
على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع السببين اقوى واتم منه مع انفراد احدهما وكلما قويت اسباب التكفير كان
اقوى واتم واشمل وكاتكال بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه انا عند حسن ظن
عبدي بي فليظن بي ما شاء يعني ما كان في ظنه فانا فاعله به ولا ريب ان حسن الظن انما يكون
مع الاحسان فان المحسن حسن الظن بربه ان يجازيه على احسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته

واما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فان وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من
حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن
الظن به ولا يجامع وحشة الاساءة احسان الظن ابدا فان المسيء مستوحش بقدر اساءته
واحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له كما قال الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه
فاحسن العمل وان الفاجر اساء الظن بربه فاساء العمل فكيف يكون يحسن الظن بربه من
هو شارد عنه حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه متعرض للعنته قد هان حقه وامره عليه فاضاعه
وهان نهيه عليه فارتكبه واصر عليه وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة وعادى اولياءه
ووالى اعداءه وجحد صفات كماله واساء الظن بما وصف به نفسه ووصفته به رسله وظن بجهله ان
ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن به من يظن انه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى ولا
يغضب وقد قال الله في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر من القول
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فهؤلاء لما ظنوا ان الله سبحانه لا يعلم
كثيرا مما يعملون كان هذا اساءة لظنهم بربهم فارداهم ذلك الظن وهذا شأن كل من جحد ١٦
صفات كماله ونعوت جلاله ووصفه بما لا يليق به فاذا ظن هذا انه يدخله الجنة كان هذا غرورا وخداعا
من نفسه وتسويلا من الشيطان لا احسان ظن بربه فتأمل هذا الموضع وتأمل شدة الحاجة
اليه وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله وان الله يسمع كلامه ويرى مكانه
ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف بين يديه ومسئول عن كل
ما عمل وهو مقيم على مساخطه مضيع لاوامره معطل لحقوقه وهو مع هذا يحسن الظن به وهل هذا الا من
خدع النفوس وغرور الاماني وقد قال ابو امامة بن سهل بن حنيف دخلت انا وعروة بن الزبير
على عائشة رضي الله عنها فقالت لو رأيتما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض له وكانت
عندي ستة دنانير او سبعة فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افرقها قالت فشغلني
وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال ما فعلت اكنت
فرقت الستة الدنانير فقلت لا والله لقد كان شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها
في كفه فقال ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده وفي لفظ ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه

عنده فيالله ما ظن اصحاب الكبائر والظلمة بالله اذا لقوه ومظالم العباد عندهم فان كان
ينفعهم قولهم حسنا ظنوننا بك لم تعذب ظالم ولا فاسق فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل
مانهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار لاتمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد
وقد قال ابراهيم لقومه ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العلمين اي ما ظنكم ان
يفعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تامل هذا الموضع حق التامل علم ان حسن الظن
بالله هو حسن العمل نفسه فان العبد انما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه ان يجازيه على اعماله ويثيبه
عليها ويتقبلها منه فالذي حمله على العمل حسن الظن فكلما حسن ظنه حسن عمله والا فحسن الظن مع اتباع
الهوى عجز كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وبالجملة
فحسن الظن انما يكون مع انعقاد اسباب النجاة واما مع انعقاد اسباب الهلاك فلا يتاتى احسان الظن فان قيل بل يتاتى
ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته سبقت غضبه
17 وانه لاتنفعه العقوبة ولا يضره العفو قيل الامر هكذا والله فوق ذلك واجل واكرم واجود وارحم
ولكن انما يضع ذلك في محله اللائق به فانه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش
وعقوبة من يستحق العقوبة فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته واسمائه لاشترك في ذلك
البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه فما ينفع المجرم اسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض
للعنته واوضع في محارمه وانتهك حرماته بل حسن الظن ينفع من تاب وندم واقلع وبدل السيئة اوقع
بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم احسن الظن فهذا احسن ظن والاول غرور والله المستعان
ولا تستطل هذا الفصل فان الحاجة اليه شديدة لكل احد ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرة به
قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فجعل
هؤلاء اهل الرجاء لا البطالين والفاسقين وقال تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما نسخة الظالمين
فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فاخبر سبحانه انه بعد هذه الاشياء غفور
رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء مواضعه والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه

فصل

وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه وضيعوا امره ونهيه ونسوا انه شديد العقاب
وانه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الاصرار على الذنب فهو كالمعاند وقال
معروف رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق وقال بعض العلماء من قطع عضوا
منك في الدنيا بسرقة ثلثة دراهم لا تأمن ان تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا وقيل للحسن
نراك طويل البكاء فقال اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي وسأل رجل الحسن فقال
يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالسة اقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله لان تصحب تتقطع
اقواما يخوفونك حتى تدرك امنا خير لك من ان تصحب اقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف
وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور في النار
كما يدور الحمار برحاه فيطوف به اهل النار فيقولون يا فلان ما اصابك الم تكن تأمرنا بالمعروف
وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وذكر الامام ١٨
احمد من حديث ابي رافع قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال اُف لك
اُف لك فظننت انه يريدني قال لا ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا الى آل فلان فغل على دينى
نمرة فدرع الآن مثلها من نار وفي مسنده ايضا من حديث انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض
من نار فقلت من هؤلاء قالوا خطباء من امتك من اهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم
افلا يعقلون وفيه ايضا من حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج
بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل
فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وفيه ايضا عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك
فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين
من اصابع الله يقلبها كيف يشاء وفيه ايضا عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لجبرئيل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك منذ خلقت النار وفي صحيح مسلم عنه قال

قال رسول الله صلی الله علیه وسلم یوتی بانعم اهل الدنیا من اهل النار فیصبغ فی النار صبغة
ثم یقال له یا ابن آدم هل رایت خیرا قط هل مر بک نعیم قط فیقول لا والله یا رب ویوتی
باشد الناس بؤسا فی الدنیا من اهل الجنة فیصبغ فی الجنة صبغة فیقال له یا ابن آدم
هل رایت بؤسا قط هل مر بک شدة قط فیقول لا والله یا رب ما مر بی بؤس قط ولا رایت
شدة قط وفی المسند من حدیث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلی الله علیه
وسلم فی جنازة رجل من الانصار فانتهینا الی القبر ولما یلحد فجلس رسول الله صلی الله علیه
وسلم وجلسنا حوله کان علی رؤسنا الطیر وفی یده عود ینکت به فی الارض فرفع راسه
فقال استعیذوا بالله من عذاب القبر مرتین او ثلثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا کان فی
انقطاع من الدنیا واقبال من الآخرة نزل الیه ملئکة من السماء بیض الوجوه کان
وجوههم الشمس معهم کفن من اکفان اهل الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتی یجلسوا منه
مد البصر ثم یجیئ ملک الموت حتی یجلس عند راسه فیقول اخرجی ایتها النفس المطمئنة اخرجی
الی مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسیل کما تسیل القطرة من فی السقاء فیاخذها فاذا
اخذها لم یدعوها فی یده طرفة عین حتی یاخذوها فیجعلوها فی ذلک الکفن وفی ذلک الحنوط
ویخرج منها کاطیب نفحة مسک وجدت علی وجه الارض فیصعدون بها فلا یمرون بها علی
ملأ من الملئکة الا قالوا ما هذا الروح الطیبة فیقولون فلان بن فلان باحسن اسمائه التی
کانوا یسمونه بها فی الدنیا حتی ینتهوا به الی سماء الدنیا فیستفتحون له فیفتح له فیشیعه من کل سماء
مقربوها الی السماء التی تلیها حتی ینتهی به الی السماء السابعة فیقول الله عز وجل اکتبوا کتاب
عبدی فی علیین واعیدوه الی الارض فانی منها خلقتهم وفیها اعیدهم ومنها اخرجهم تارة اخری
قال فتعاد روحه فیاتیه ملکان فیجلسانه فیقولان له من ربک فیقول ربی الله عز وجل
فیقولان له ما دینک فیقول دینی الاسلام فیقولان له ما هذا الرجل الذی بعث فیکم فیقول هو محمد رسول الله فیقولان له وما علمک
فیقول قرات کتاب الله عز وجل فآمنت به وصدقت فینادی مناد من السماء ان صدق عبدی فافرشوه
من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الی الجنة قال فیاتیه من روحها وطیبها ویفسح له فی قبره
مد بصره قال ویاتیه رجل حسن الوجه حسن الثیاب طیب الریح فیقول ابشر بالذی یسرک هذا یومک الذی

رایت بؤسا

كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه الذي يجئ بالخير فيقول انا عملك الصالح
فيقول رب اقم الساعة ثم رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال وان العبد
الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملئكة من السماء سود
الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول
ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع
السفود من الصوف المبتل فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المبلول
المسوح ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها
على ملأ من الملئكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه
التي كان يسمى بها في الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسمونه
لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل
اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان ٢٠
فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول
هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي
مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوا له من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى
النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل
قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت
توعد فيقول ومن انت فوجهك الوجه الذي يجئ بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول
رب لا تقم الساعة وفي لفظ لاحمد ايضا ثم يقيض له اعمى اصم ابكم في يده مرزبة لو ضرب بها
جبلا كان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة اخرى
فيصيح صيحة يسمعها كل شئ الا الثقلين قال البراء ثم يفتح له باب الى النار ويمهد له من
فرش النار وفي المسند ايضا عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ ابصر بجماعة فقال علام اجتمع هؤلاء قيل على قبر يحفرونه ففزع رسول الله صلى الله عليه

وسلم فسيد ربين يدي اصحابه مسرعا حتى انتهى الى القبر فجثى على ركبتيه فاستقبلته من بين
يديه لانظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم اقبل علينا فقال اي اخواني لمثل هذا
اليوم فاعدوا وفي المسند من حديث بريدة قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما فنادى ثلث مرات يا ايها الناس اتدرون ما مثلي ومثلكم فقالوا الله ورسوله
اعلم فقال انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا ايأتيهم فبعثوا رجلا يترايا لهم فابصر العدو يأخذهم
فاقبل لينذرهم وخشي ان يدركه العدو قبل ان ينذر قومه فاهوى بثوبه ايها الناس اتيتم
ايها الناس اتيتم ثلث مرات وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل ما اسكر حرام وان على الله عزوجل عهدا لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة لمسكر عهدا
الخبال قيل وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وفي المسند ايضا
من حديث ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع
ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك
٢١ يسبح الله ساجدا لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى
الصعدات تجارون الى الله تعالى قال ابو ذر والله لوددت اني شجرة تعضد وفي المسند ايضا
من حديث حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر
قعد على ساقيه فجعل يرد بصره فيه ثم قال يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله ويملأ
على الكافر نارا والحمائل عروق الانثيين وفي المسند ايضا من حديث جابر قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ حين توفي فلما صلى عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووضع في قبره وسوي عليه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبحنا طويلا ثم كبر فكبرنا فقيل يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت فقال لقد تضايق على
هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وفي صحيح البخاري من حديث ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان
كانت صالحة قالت قدموني وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين تذهبون بها
يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق وفي مسند احمد من حديث

ابی امامة قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم تدنو الشمس یوم القیمة علی قدر میل
ویزاد فی حرھا کذا وکذا تغلی منھا الرؤس کما تغلی القدور یعرقون فیھا علی قدر خطایاھم منھم
من یبلغ الی کعبیہ ومنھم من یبلغ الی ساقیہ ومنھم من یبلغ الی وسطہ ومنھم من یلجمہ العرق وفیہ
عن ابن عباس عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال کیف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنی جبھتہ یسمع متی
یؤمر فینفخ فقال اصحابہ کیف نقول قال قولوا حسبنا اللہ ونعم الوکیل علی اللہ توکلنا وفی السند ایضا عن ابن عمر رفعہ
من تعظم فی نفسہ او اختال فی مشیتہ لقی اللہ تعالیٰ وھو علیہ غضبان وفی الصحیحین عنہ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ
وسلم ان المصورین یعذبون یوم القیمة ویقال لھم احیوا ما خلقتم وفیہ ایضا عنہ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم ان احدکم اذا مات
عرض علیہ مقعدہ من الغداة والعشی ان کان من اھل الجنة فمن اھل الجنة
وان کان من اھل النار فمن اھل النار فیقال ھذا مقعدک حتی یبعثک اللہ عزوجل
یوم القیمة وفیھما ایضا عنہ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم اذا صار اھل الجنة فی الجنة واھل
النار فی النار جیء بالموت حتی یوقف بین الجنة والنار ثم یذبح ثم ینادی مناد یا اھل الجنة
خلود ولا موت ویا اھل النار خلود ولا موت فیزداد اھل الجنة فرحا الی فرحھم ویزداد اھل النار
حزنا الی حزنھم وفی السند عنہ قال من اشتری ثوبا بعشرة دراھم فیھا درھم حرام لم یقبل اللہ لہ
صلوة مادام علیہ ثم ادخل اصبعیہ فی اذنیہ ثم قال صمتا ان لم اکن سمعت النبی صلی اللہ علیہ
وسلم یقولہ وفیہ عن عبد اللہ بن عمرو عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال من ترک الصلوة سکرا مرة واحدة
فکانما کانت لہ الدنیا وما علیھا فسلبھا ومن ترک الصلوة سکرا اربع مرات کان حقا علی اللہ
ان یسقیہ من طینة الخبال قیل وما طینة الخبال یا رسول اللہ قال عصارة اھل جھنم وفیہ
ایضا عنہ مرفوعا من شرب الخمر شربة لم تقبل لہ صلوة اربعین صباحا فان تاب تاب اللہ
علیہ فلا ادری فی الثالثة او فی الرابعة قال فان عاد کان حقا علی اللہ ان یسقیہ من ردغة
الخبال یوم القیمة وفی السند ایضا من حدیث ابی موسی قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم من مات مدمنا للخمر سقاہ اللہ من نھر الغوطة قیل وما نھر الغوطة قال نھر یجری من
فروج المومسات یؤذی اھل النار ریح فروجھن وفیہ ایضا عنہ قال قال رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم تعرض الناس یوم القیمة ثلث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذیر واما

الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله وفي المسند ايضاً من حديث
ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على
الرجل حتى يهلكنه وضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً كمثل قوم نزلوا ارض فلاة العبد
فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً واججوا
ناراً وانضجوا ما قذفوا فيها وفي الصحيح من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضرب الجسر على جهنم فاكون اول من يجوز ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم
وحافتيه كلاليب مثل شوك السعدان تختطف الناس باعمالهم فمنهم الموثق بعمله ومنهم المخردل يخطف
ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج من النار من اراد ان يرحم الناس
ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملئكة ان يخرجوه فيعرفونه بعلامة اثر السجود وحرم الله
على النار ان تأكل من ابن آدم اثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم من ماء يقال له ماء
الحيوة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل وفي صحيح مسلم عنه قال سمعت رسول الله صلى ۲۳
الله عليه وسلم يقول ان اول الناس يقضى فيه يوم القيمة ثلثة رجل استشهد فاتى به
فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكن
قاتلت ليقال هو جري فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه
وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت فيك
القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو
قاري فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل وسع الله عليه في رزقه واعطاه
من اصناف المال كله فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من
سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو
جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار وفي لفظ فهؤلاء اول خلق الله تسعر
بهم النار يوم القيمة وسمعت شيخ الاسلام يقول كما ان خير الناس الانبياء فشر الناس من
تشبه بهم من الكذابين وادعى انه منهم وليس منهم فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والصديقون
والمخلصون فشر الناس من تشبه بهم يوهم انه منهم وليس منهم وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في مال او عرض فليأته فليستحلها منه
قبل ان يؤخذ وليس عنده دينار ولا درهم فان كانت له حسنات اخذ من حسناته فاعطيها
هذا والا اخذ من سيئات هذا فطرحت عليه ثم طرح في النار وفي الصحيح من حديث ابي
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من اخذ شبرا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيمة الى سبع
ارضين وفي الصحيحين عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي توقد
بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية قال فانها
قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وفي المسند عن معاذ قال اوصاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشرك بالله شيئا وان قتلت او حرقت ولا تعقن
والديك وان امراك ان تخرج من مالك واهلك ولا تتركن صلوة مكتوبة متعمدا فان
من ترك صلوة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشرب خمرا فانه رأس كل فاحشة
واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله والاحاديث في هذا الباب اضعاف اضعاف ۲۴
ما ذكرنا فلا ينبغي لمن نصح لنفسه ان يتعامى عنها ويرسل نفسه في المعاصي ويتعلق بحسن الرجاء
وحسن الظن قال ابو الوفاء ابن عقيل احذر ولا تغتر فانه قطع اليد في ثلثة دراهم وجلد الحد في
مثل رأس الابرة من الخمر وقد دخلت المرأة النار في هرة واشتعلت الشملة نارا على من غلها وقد
قتل شهيدا وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن
شهاب يرفعه قال دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئا فقالوا لاحدهما
قرب فقال ليس عندي شيء قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا
للآخر قرب فقال ما كنت اقرب شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة وهذه
الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وربما اتكل بعض
المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وانه يغتر به ويظن ان ذلك من محبة الله
له وانه يعطيه في الآخرة افضل من ذلك فهذا من الغرور قال الامام احمد ثنا يحيى بن غيلان
ثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما
هو استدراج ثم تلى قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال بعض السلف اذا رأيت الله عز وجل يتابع عليك
نعمه وانت مقيم على معاصيه فاحذره فانما هو استدراج منه يستدرجك به وقد قال تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة
عند ربك للمتقين وقد رد سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي
ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه اكون قد اكرمته وليس كل من ابتليته وضيقت عليه
رزقه اكون قد اهنته بل ابتلي هذا بالنعم واكرم هذا بالابتلاء وفي جامع الترمذي عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب
٢٥ وقال بعض السلف رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ورب مفتون بثناء الناس
عليه وهو لا يعلم ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم

فصل

الناس
واعظم الخلق غرورا من اغتر بالدنيا وعاجلها فآثرها على الآخرة ورضي بها من الآخرة حتى يقول
بعض هؤلاء الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد انفع من النسيئة ويقول بعضهم ذرة منقود
ولا ذرة موعود ويقول آخر منهم لذات الدنيا متيقنة ولذات الآخرة مشكوك فيها ولا
ادع اليقين للشك وهذا من اعظم تلبيس الشيطان وتسويله والبهائم العجم اعقل من
هؤلاء فان البهيمة اذا خافت مضرة شيء لم تقدم عليه ولو ضربت وهؤلاء يقدم احدهم
على عطبه وهو بين مصدق ومكذب فهذا الضرب ان آمن احدهم بالله ورسوله ولقائه
والجزاء فهو من اعظم الناس حسرة لانه اقدم على علم وان لم يؤمن بالله ورسوله فابعد له وقول
هذا القائل النقد خير من النسيئة جوابه انه اذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير وان تفاوتا
وكانت النسيئة اكبر وافضل فهي خير فكيف والدنيا كلها من اولها الى آخرها كنفس واحد من

انفاس الآخرة كما في مسند احمد والترمذي من حديث المستورد بن شداد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فايثار
هذا النقد على هذه النسيئة من اعظم الغبن واقبح الجهل واذا كان هذا نسبة الدنيا بمجموعها الى الآخرة
فما مقدار عمر الانسان بالنسبة الى الآخرة فايما اولى بالعاقل ايثار العاجل في هذه المدة اليسيرة فايهما
وحرمان الخير الدائم في الآخرة ام ترك شيء حقير صغير منقطع عن قرب ليأخذ ما لا قيمة له ولا خطر له ولا
نهاية لعدده ولا غاية لامده وأما قول الآخر لا اترك متيقنا لمشكوك فيه فيقال له اما ان تكون
على شك من وعد الله ووعيده وصدق رسله او تكون على يقين من ذلك فان كنت
على يقين فما تركت الا ذرة عاجلة منقطعة فانية عن قرب لمتيقن لا شك فيه ولا انقطاع له
وان كنت على شك فتأمل آيات الرب تعالى الدالة على وجوده وقدرته ومشيئته ووحدانيته فراجع
وصدق رسله فيما اخبروا به عنه وتجرد وقم لله ناظرا او مناظرا حتى يتبين لك ان ما جاءت به الرسل
عن الله فهو الحق الذي لا شك فيه وان خالق هذا العالم هو رب السموات والارض يتعالى ٢٦
ويتقدس ويتنزه عن خلاف ما اخبرت به رسله عنه ومن نسبه الى غير ذلك فقد شتمه وكذبه
وانكر ربوبيته وملكه اذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة ان يكون الملك الحق عاجزا
او جاهلا لا يعلم شيئا ولا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعز
من يشاء ويذل من يشاء ولا يرسل رسله الى اطراف مملكته ونواحيها ولا يعتني باحوال رعيته
بل يتركهم سدى ويخليهم هملا وهذا يقدح في ملك آحاد ملوك البشر ولا يليق به فكيف يجوز نسبة انتخاب
الملك الحق المبين اليه واذا تأمل الانسان حاله من مبدأ كونه نطفة الى حين كماله واستوائه
تبين له ان من عني به هذه العناية ونقله الى هذه الاحوال وصرفه في هذه الاطوار لا يليق به
ان يهمله ويتركه سدى لا يأمره ولا ينهاه ولا يعرفه بحقوقه عليه ولا يثيبه ولا يعاقبه ولو تأمل العبد
حق التأمل لكان كل ما يبصره وما لا يبصره دليلا له على التوحيد والنبوة والمعاد وان القرآن كلامه وقد
ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في كتاب ايمان القرآن عند قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون انه لقول رسول كريم وذكرنا طرفا من ذلك عند قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان
الانسان دليل نفسه على وجود خالقه وتوحيده وصدق رسله واثبات صفات كماله فقد بان

ان المضيع مغرور على التقديرين تقدير تصديقه ويقينه وتقدير تكذيبه وشكه فان قلت كيف
يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل وهل في الطباع
البشرية ان يعلم العبد انه مطلوب غداً الى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه اشد عقوبة
او يكرمه اتم كرامة ويبيت ساهياً غافلاً لا يتذكر موقفه بين يدي الملك ولا يستعد له ولا ياخذ له اهبته
قيل هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على اكثر هذا الخلق واجتماع هذين الامرين من اعجب
الاشياء وهذا التخلف له عدة اسباب احدها ضعف العلم ونقصان اليقين ومن ظن ان
العلم لا يتفاوت فقوله من افسد الاقوال وابطلها وقد سأل ابراهيم الخليل ربه ان يريه احياء
الموتى عياناً بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمانينة ويصير المعلوم غيباً شهادة وقد
روى احمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الخبر كالمعاين فاذا اجتمع الى
ضعف العلم عدم استحضاره او غيبته عن القلب كثيراً من اوقاته او اكثرها لاشتغاله بما يضاده
وانضم الى ذلك تقاضي الطبع وغلبات الهوى واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان واستبطاء
27 الوعد وطول الامل ورقدة الغفلة وحب العاجلة ورخص التاويل والف العوائد فهناك
لا يمسك الايمان في القلب الا الذي يمسك السموات والارض ان تزولا وبهذا السبب يتفاوت
الناس في الايمان والاعمال حتى ينتهي الى ادنى مثقال ذرة في القلب وجماع هذه الاسباب
يرجع الى ضعف البصيرة والصبر ولهذا مدح الله سبحانه اهل الصبر واليقين وجعلهم ائمة في الدين
فقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون

فصل

وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق
اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن الظن هو الرجاء فمن
جاذباً له كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة
وتفريطاً فهو المغرور ولو ان رجلاً كانت له ارض يؤمل ان يعود عليه من مغلها ما ينفعه فاهملها ولم يبذرها
ولم يحرثها وحسن ظنه بانه ياتي من مغلها ما ياتي من حرث وبذر وسقي وتعاهد الارض لعده
بان يأتيه الناس من اسفه السفهاء وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاؤه بان يجيئه ولد من غير جماع او يصير

اعلم اهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام عليه وامثال ذلك فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب الى الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فتامل كيف جعل رجاءهم باتيانهم بهذه الطاعات وقال المغترون ان المفرطين المضيعين لحقوق الله المعطلين لاوامره الباغين على عباده المتجرئين على محارمه اولئك يرجون رحمة الله وسر المسئلة ان الرجاء وحسن الظن انما يكون مع الاتيان بالاسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته فياتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ان لا يكله اليها وان يجعلها موصلة الى ما ينفعه ويصرف ما يعارضها ويبطل اثرها

فصل

ومما ينبغي ان يعلم ان من رجا شيئا استلزم رجاؤه امورا احدها محبته ما يرجوه الثاني خوفه من فواته الثالث سعيه في تحصيله بحسب الامكان واما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب ٢٨
الاماني والرجاء شيء والاماني شيء آخر فكل راج خائف والسائر على الطريق اذا خاف اسرع السير مخافة الفوات وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وهو سبحانه كما جعل الرجاء لاهل الاعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل الاعمال الصالحة فعلم ان الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل قال الله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقالت اهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون قال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان لا يتقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وقد روي من حديث ابي هريرة ايضا
والله سبحانه وصف اهل السعادة بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقياء بالاساءة اهل الشقاء

مع الامن ومن تأمل احوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن
جميعا بين التقصير بل التفريط والامن فهذا الصديق يقول وددت اني شعرة في جنب عبد
مؤمن ذكره احمد عنه وذكر عنه ايضا انه كان يمسك بلسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وكان
يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وكان اذا قام الى الصلوة كانه عود من خشية الله
عز وجل واتي بطائر فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة الا بما ضيعت من التسبيح عضد شجر
ولما احتضر قال لعائشة يا بنية اني اصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذه الحلاب وهذا العبد فاسرعي
به الى ابن الخطاب وقال والله لوددت اني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد وقال قتادة
بلغني ان ابابكر قال ليتني خضرة تأكلني الدواب وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور الى ان بلغ وددت اني
قوله ان عذاب ربك لواقع فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهو في الموت ويحك
ضع خدي على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يغفر الله لي ثلثا ثم قضى وكان لعل الله
يمر بالآية في ورده بالليل فتخنقه فيبقى في البيت اياما يعاد يحسبونه مريضا وكان في وجهه ٢٩
رضي الله عنه خطان اسودان من البكاء وقال له ابن عباس مصر الله بك الامصار
وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت اني انجو لا اجر ولا وزر وهذا عثمان بن
عفان كان اذا وقف على القبر بكى حتى تبل لحيته وقال لو انني بين الجنة والنار لا ادري
الى ايتهما يؤمر بي لاخترت ان اكون رمادا قبل ان اعلم الى ايتهما اصير وهذا علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وبكاؤه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنين طول الامل واتباع الهوى قال فاما
طول الامل فينسي الآخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق الا وان الدنيا قد ولت مدبرة
والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان
اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وهذا ابو الدرداء كان يقول ان اشد ما
اخاف على نفسي يوم القيمة ان يقال لي يا ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت
وكان يقول لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا
تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على انفسكم ولوددت
اني شجرة تعضد ثم تؤكل وهذا عبد الله بن عباس كان اسفل عينيه مثل الشراك البالي

من الدموع وكان ابوذر يقول يا ليتني كنت شجرة تعضد ووددت اني لم اخلق وعرضت عليه النفقة فقال عندنا عنز نحلبها وحمر ننقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباءة واني اخاف الحساب فيها وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية فلما اتى على هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات جعل يرددها ويبكي حتى اصبح وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فذبحني اهلي واكلوا لحمي وحسوا مرقي وهذا باب يطول تتبعه قال البخاري في صحيحه باب خوف المؤمن ان يحبط عمله وهو لا يشعر وقال ابراهيم التيمي ما عرضت قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبرئيل وميكائيل ويذكر عن الحسن ما خافه الا مؤمن ولا امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة انشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنافقين فيقول لا ولا ازكي بعدك احدا فسمعت شيخنا يقول ليس مراده اني لا ابرئ غيرك من النفاق بل المراد اني لا افتح على هذا الباب فكل من سألني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكته قلت وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي ساله ان يدعو له ان يكون من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب سبقك بها عكاشة ولم يرد ان عكاشة وحده احق بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساك اولى والله اعلم

نسخه حمارة نستقي

٣٠

نسخه فازكيه

فصل

فلنرجع الى ما كنا فيه مما ذكرنا من ذكر دواء الداء الذي ان استمر افسد دنيا العبد وآخرته فمما ينبغي ان يعلم ان الذنوب والمعاصي تضر ولا شك ان ضررها في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء الا سببه الذنوب والمعاصي فما الذي اخرج الابوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار الآلام والاحزان والمصائب وما الذي اخرج ابليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته اقبح صورة واشنعها وباطنه اقبح من صورته وافظع وبدل بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحا وبالجنة نارا تلظى وبالايمان كفرا وبموالاة الولي الحميد اعظم عداوة ومشاقة وبزجل التسبيح

نسخه سموات

والتقديس والتهليل بزجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش وبلباس الايمان لباس الكفر
والفسوق والعصيان فهان على الله غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه
غضب الرب تعالى فاهواه ومقته اكبر المقت فارداه فصار قوادا لكل فاسق ومجرم رضي
لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة فعياذا بك اللهم من مخالفة امرك وارتكاب
نهيك وما الذي اغرق اهل الارض كلهم حتى علا الماء فوق رؤس الجبال وما الذي سلط الريح العقيم
على قوم عاد حتى القتهم موتى على وجه الارض كانهم اعجاز نخل خاوية ودمرت ما مرت عليه من
ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للامم الى يوم القيمة وما الذي ارسل على قوم
ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في اجوافهم وماتوا عن آخرهم وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت
الملئكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فاهلكهم جميعا ثم اتبعهم حجارة من سجيل السماء
امطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على امة غيرهم ولاخوانهم امثالها وما هي من الظالمين
ببعيد وما الذي ارسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤسهم امطر عليهم
نارا تلظى وما الذي اغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت ارواحهم الى جهنم فالاجساد للغرق والارواح ٣١
للحرق وما الذي خسف بقارون وداره وماله واهله وما الذي اهلك القرون من بعد نوح بانواع
العقوبات ودمرها تدميرا وما الذي اهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم وما اصحاب
الذي بعث على بني اسرائيل قوما اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا
الذرية والنساء واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما قدروا عليه وتبروا الذراري اخربوا
ما علوا تتبيرا وما الذي سلط عليهم انواع العذاب والعقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور الديار
الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير وآخر ذلك اقسم الرب تبارك وتعالى ليبعثن عليهم الى يوم
القيمة من يسومهم سوء العذاب قال الامام احمد ثنا الوليد بن مسلم ثنا صفوان بن عمرو حدثني
عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه قال لما فتحت قبرس فرق بين اهلها فبكى بعضهم الى بعض
فرايت ابا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا ابا الدرداء ما يبكيك في يوم اعز الله فيه الاسلام
واهله فقال ويحك يا جبير ما اهون الخلق على الله عز وجل اذا اضاعوا امره بينما هي امة قاهرة ضيعوا
ظاهرة لهم الملك تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى وقال علي بن الجعد انا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت

ابا البختري يقول اخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لن يهلك الناس حتى
يعذروا من انفسهم وفي مسند احمد من حديث ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصي في امتي عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله
اما فيهم يومئذ اناس صالحون قال بلى قلت فكيف يصنع باولئك قال يصيبهم ما اصاب
الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمال قراؤها امراءها وما لم يزك صلحاؤها فجارها
وما لم يهن خيارها شرارها فاذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب
ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر وفي المسند من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوشك ان تداعى عليكم الامم من كل افق كما تداعى الاكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله امن قلة
بنا يومئذ قال انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في اعدائكم
قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحيوة وكراهية الموت وفي المسند من حديث انس قال ٣٣
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس
ويقعون في اعراضهم وفي جامع الترمذي من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس مسوك الضان
من اللين السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذياب يقول الله عز وجل ابي تغترون
وعلي تجترؤن فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم منهم حيرانا وذكر ابن ابي الدنيا
من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال علي يأتي على الناس زمان لا يبقى من
الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى
علماؤهم اشر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود وذكر من حديث سماك بن
حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه قال اذا ظهر الربو والزنا في قرية
اذن الله عز وجل بهلاكها وفي مراسيل الحسن اذا اظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا

بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالارحام لعنهم الله عزوجل عند ذلك فاصمهم واعمى
ابصارهم وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال كنت عاشر
عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال واعوذ بالله ان تدركوهن
ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى اعلنوا بها الا ابتلوا بالطواعين والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم
الذين مضوا ولا نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما منع
قوم زكوة اموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم العهد الا سلط الله عليهم
عدوهم من غيرهم فاخذوا بعض ما في ايديهم وما لم تعمل ائمتهم بما انزل الله في كتابه الا جعل الله
بأسهم بينهم وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي عبيدة بن
عبد الله بن مسعود عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم
كان اذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهي تعذيرا فقال يا هذا اتق الله فاذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه
٣٣
كانه لم يره على خطيئة بالامس فلما رأى الله عزوجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض
ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفس محمد
بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق اطرا او ليضربن
الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وذكر ابن ابي الدنيا عن ابراهيم بن عمرو الصنعاني
قال اوحى الله الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا
من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم
ويشاربونهم وذكر ابو عمر بن عبد البر عن ابي عمران قال بعث الله عزوجل ملكين الى قرية ان دمراها بمن فيها فوجدا فيها رجلا قائما
يصلي في مسجد فقالا يا رب ان فيها عبدك فلانا يصلي فقال الله عزوجل دمراها ودمراه معهم فانه ما تمعر وجهه في قط وذكر الحميدي
عن سفيان بن عيينة قال حدثني سفيان بن سعيد عن مسعر ان ملكا امر ان يخسف بقرية فقال يا رب ان فيها فلانا العابد فاوحى الله
اليه ان به فابدأ فانه لم يتمعر وجهه في ساعة قط وذكر ابن ابي الدنيا عن وهب بن منبه قال لما اصاب داود الخطيئة قال يا رب اغفر لي قال قد غفرت لك
والزمت عارها بني اسرائيل قال يا رب كيف وانت الحكم العدل لا تظلم احدا انا اعمل الخطيئة وتلزم عارها غيري فاوحى الله اليه انك لما
عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالانكار وذكر ابن ابي الدنيا عن انس بن مالك انه دخل على عائشة هو

ورجل آخر فقال لها الرجل يا ام المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا
الخمور وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل فی سمائه فقال للارض تزلزلی بهم فان تابوا ونزعوا
والا هدمها عليهم قال يا ام المؤمنين اعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا
وسخطا على الكافرين فقال انس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشد
فرحا منی بهذا الحديث وذكر ابن ابی الدنيا حديثا مرسلا ان الارض تزلزلت على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ثم قال اسكنی فانه لم يان لك بعد ثم التفت الى
اصحابه فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب
فقال ايها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا عن شیء احدثتموه والذی نفسی بيده لان عادت
لا اساكنكم فيها ابدا وفی مناقب عمر لابن ابی الدنيا ان الارض تزلزلت على عهد عمر فضرب
يده عليها وقال مالك مالك اما انها لو كانت القيمة حدثت اخبارها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة فليس فيها ذراع ولا شبر الا وهو ينطق وذكر الامام
احمد عن صفية قالت زلزلت المدينة على عهد عمر فقال ايها الناس ما هذا ما اسرع ما احدثتم
لان عادت لا تجدونی فيها وقال كعب انما تزلزلت الارض اذا عمل فيها بالمعاصی فترعد
فرقا من الرب عز وجل ان يطلع عليها وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار اما بعد فان
هذا الرجف شیء يعاتب الله عز وجل به العباد وقد كتبت الى سائر الامصار ان يخرجوا فی
يوم كذا وكذا فی شهر كذا وكذا فمن كان عنده شیء فليتصدق به فان الله عز وجل قال قد
افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقولوا كما قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقولوا كما قال نوح والا تغفر لی وترحمنی اكن من الخاسرين
وقولوا كما قال يونس لا اله الا انت سبحانك انی كنت من الظالمين وقال الامام احمد
ثنا اسود بن عامر ثنا ابو بكر عن الاعمش عن عطاء بن ابی رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا
اذناب البقر وتركوا الجهاد فی سبيل الله انزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ورواه
ابو داود باسناد حسن وذكر ابن ابی الدنيا من حديث ابن عمر قال لقد رايتنا وما احد احق

فقال الصحابة
الشیء
بيده
٣٣
فزعت
يعاقب
يقول

بديناره ودرهمه من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ضن الناس
بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد في سبيل الله واتبعوا اذناب البقر انزل الله عليهم من السماء
بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم وقال الحسن ان الفتنة والله ما هي الا عقوبة من الله عز
وجل على الناس ونظر بعض انبياء بني اسرائيل الى ما يصنع بهم بخت نصر فقال بما كسبت
ايدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا وقال بخت نصر لدانيال ما الذي سلطني
على قومك قال عظم خطيئتك وظلم قومي انفسهم وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عمار بن
ياسر وحذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا اراد بالعباد نقمة امات
الاطفال واعقم ارحام النساء فتنزل النقمة وليس فيهم مرحوم وذكر عن مالك بن دينار قال قرأت
في الحكمة يقول الله عز وجل انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم
عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم وفي مراسيل الحسن اذا اراد الله بقوم خيرا جعل امرهم الى حلمائهم وفيئهم عند سمحائهم واذا
اراد بقوم شرا جعل امرهم الى سفهائهم وفيئهم عند بخلائهم وذكر الامام احمد وغيره عن قتادة قال
يونس يا رب انت في السماء ونحن في الارض فما علامة غضبك من رضاك قال اذا استعملت
عليكم خياركم فهو من علامة رضائي عليكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو من علامة سخطي عليكم وذكر
ابن ابي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال اوحى الله الى بعض الانبياء اذا عصاني من يعرفني
سلطت عليه من لا يعرفني وذكر ايضا من حديث ابن عمر يرفعه والذي نفسي بيده لا تقوم
الساعة حتى يبعث الله امراء كذبة ووزراء فجرة واعوانا خونة وعرفاء ظلمة وقراء فسقة سيماهم سيما الرهبان
وقلوبهم انتن من الجيف اهواؤهم مختلفة فيفتح الله لهم فتنة غبراء مظلمة فيتهاوكون فيها والذي
نفس محمد بيده لينقضن الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب
لهم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر
كبيركم وفي معجم الطبراني وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما طففت قوم كيلا ولا بخسوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر وما ظهر

رأيت

في ٣٥ نسخة موسى عنكم

ط
اي يقعون فيها من غير مبالاة ١٢

في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت وما ظهر في قوم الربا إلا سلط الله عليهم الجنون ولا ظهر في قوم القتل
يقتل بعضهم بعضاً إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف وما ترك
قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم ولم يسمع دعاؤهم رواه ابن أبي الدنيا
من حديث إبراهيم بن الأشعث عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن سعيد به وفي المسند وغيره
من حديث عروة عن عائشة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفزه النفس
فعرفت في وجهه أن قد حفزه شيء فما تكلم حتى توضأ وخرج فلصقت بالحجرة فصعد المنبر فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إن الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتستنصروني فلا أنصركم وتسألوني فلا أعطيكم وقال العمري الزاهد إن
من غفلتك عن نفسك وإعراضك عن الله أن ترى ما يسخط الله فتتجاوزه ولا تأمر فيه ولا تنهى
عنه خوفاً ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وقال من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة من
المخلوقين نزعت منه الطاعة ولو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخف بحقه وذكر الإمام أحمد في مسنده
من حديث قيس بن أبي حازم قال قال أبو بكر الصديق يا أيها الناس إنكم تتلون هذه الآية
وأنتم تضعونها على غير مواضعها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على
يديه وفي لفظ إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده وذكر الأوزاعي
عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا اخفيت الخطيئة فلا تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة وذكر الإمام أحمد
عن عمر بن الخطاب يوشك القرى أن تخرب وهي عامرة قيل وكيف تخرب وهي عامرة قال إذا علا فجارها على أبرارها
وساد القبيلة منافقوها وذكر الأوزاعي عن حسان بن أبي عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ستظهر شرار أمتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم وذكر ابن أبي
الدنيا من حديث ابن عباس يرفعه قال يأتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب
الملح في الماء قيل مم ذاك يا رسول الله قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره وذكر الإمام
أحمد من حديث جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز

واكثر من يعمل الظلم لغيره الا عمهم الله بعقاب وفي صحيح البخاري عن اسامة بن زيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه
في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون اي فلان ما شانك الست الم
كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر تكن
وآتيه وذكر الامام احمد عن مالك بن دينار قال كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله
الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بايام الله فرأى بعض بنيه يوما يغمز النساء فقال مهلا يا بني
فسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه فاوحى الله الى نبيهم ان اخبر
فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان غضبك لي الا ان قلت مهلا اني نسلك
يا بني مهلا يا بني وذكر الامام احمد من حديث عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل القوم نزلوا ارض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ۳۷
ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا وانضجوا ما قذفوا فيها وفي صحيح
البخاري عن انس بن مالك قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا لنعدها
على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عهد
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت حبستها
النار لا هي اطعمتها واسقتها ولا تركتها تاكل من خشاش الارض وفي الحلية لابي نعيم عن
حذيفة انه قيل له في يوم واحد تركت بنو اسرائيل دينهم قال لا ولكنهم كانوا اذا امروا بشيء تركوه
واذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه ومن ههنا قال بعض فعلوه
السلف المعاصي بريد الكفر كما ان القبلة بريد الجماع والغناء بريد الزنا والنظر بريد العشق والمرض القبل
بريد الموت وفي الحلية ايضا عن ابن عباس انه قال يا صاحب الذنب لا تأمن فتنة الذنب وسوء عاقبته الذ
ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته فلة حياءك ممن على اليمين وعلى الشمال وانت على
الذنب اعظم من الذنب وضحكك وانت لم تدر ما الله صانع بك اعظم من الذنب وفرحك لا تدري
بالذنب اذا ظفرت به اعظم من الذنب وحزنك على الذنب اذا فاتك اعظم من الذنب وخوفك

من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب لا يضطرب فؤادك من نظر الله اليك اعظم من الذنب ويحك هل تدري
ما كان ذنب ايوب عليه السلام فابتلاه بالبلاء في جسده وذهاب ماله انما استغاث به مسكين على ظالم يدرءه عنه فلم يغثه ولم ينه الظالم عن ظلمه
فابتلاه الله وقال الامام احمد ثنا الوليد قال سمعت الاوزاعي يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن
انظر الى من عصيت وقال الفضيل بن عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله وقيل اوحى الله تعالى الى موسى يا
موسى ان اول من مات من خلقي ابليس وذلك لانه اول من عصاني وانما اعد من عصاني من الاموات

وفي المسند وجامع الترمذي من حديث ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المؤمن اذا اذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فاذا تاب ونزع واستغفر
صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الترمذي هذا حديث صحيح وقال حذيفة اذا اذنب العبد ذنبا نكتت
في قلبه نكتة سوداء حتى يصير قلبه كالشاة الربداء وقال الامام احمد ثنا يعقوب ثنا ابي عن صالح
عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش فانكم اهل لهذا الامر ما لم تعصوا الله فاذا
عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب في يده ثم لحى قضيبه فاذا هو
ابيض يصلد وذكر الامام احمد عن وهب قال ان الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل
اني اذا اطعت رضيت واذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية واذا عصيت غضبت
واذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد وذكر ايضا عن وكيع ثنا زكريا عن عامر
قال كتبت عائشة الى معاوية اما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس
ذاما وذكر ابو نعيم عن سالم بن ابي الجعد عن ابي الدرداء قال ليحذر امرؤ ان تلعنه قلوب المؤمنين
من حيث لا يشعر ثم قال اتدري مم هذا قلت لا قال ان العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله
بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر وذكر عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه
عن محمد بن سيرين انه لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال اني لاعرف هذا الغم بذنب اصبته
منذ اربعين سنة وههنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في امر الذنب وهي انهم لا يرون
تاثيره في الحال وقد يتاخر تاثيره فينسى ويظن العبد انه لا يغبر بعد ذلك وان الامر كما قال

٣٨

القائل ؎ اذا لم يغبر حائط فى وقوعه ؍ فليس له بعد الوقوع غبار ؍ وسبحان الله ماذا اهلكت بوقوعه

هذه البلية من الخلق وكم ازالت من نعمة وكم جلبت من نقمة وما اكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء البلية

فضلاً عن الجهال ولم يعلم المغتر ان الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم وكما ينقض الجرح

المندمل على الغش والدغل وقد ذكر الامام احمد عن ابى الدرداء اعبدوا الله كانكم ترونه وعدوا

انفسكم فى الموتى واعلموا ان قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا ان البر لايبلى وان الاثم يغنيكم

لاينسى ونظر بعض العباد الى صبى فتأمل محاسنه فاتى فى منامه وقيل له لتجدن غبها بعد

اربعين سنة هذا مع ان للذنب نقداً معجلاً لايتاخر عنه قال سليمان التيمى ان الرجل

ليصيب الذنب فى السر فيصبح وعليه مذلته وقال يحيى بن معاذ الرازى عجبت من ذى عقل

يقول فى دعائه اللهم لاتشمت بى الاعداء ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له قيل وكيف ذلك

قال يعصى الله فيشمت به فى القيمة قال ذو النون من خان الله فى السر هتك ستره فى العلانية

فصل

وللمعاصى من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن فى الدنيا والآخرة مالا يعلمه ٣٩ ومنها

الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله فى القلب والمعصية تطفئ ذلك النور

ولما جلس الامام الشافعى بين يدى مالك وقرأ عليه اعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقد

ذكائه وكمال فهمه فقال انى ارى الله قد القى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية

وقال الشافعى ؎ شكوت الى وكيع سوء حفظى ؍ فارشدنى الى ترك المعاصى ؍ وقال

اعلم بان العلم فضل ؍ وفضل الله لايؤتاه عاصى ؍ ومنها حرمان الرزق وفى المسند

ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد تقدم وكما ان تقوى الله مجلبة للرزق فترك

التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصى ومنها وحشة يجدها العاصى فى قلبه

بينه وبين الله لاتوازنها ولا تقارنها لذة اصلاً ولو اجتمعت له لذات الدنيا باسرها لم تف

بتلك الوحشة وهذا امر لايحس به الا من فى قلبه حيوة وما لجرح بميت ايلام فلو لم تترك

الذنوب الا حذراً من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها وشكى رجل الى

بعض العارفين وحشة يجدها فى نفسه فقال له ؎ اذا كنت قد اوحشتك الذنوب ؍ فدعها

والمراد بذلك علم النافع والا فقد يكون الفاجر والمنافق عالما بالحق لكن لا ينتفع به والله اعلم ١٢

قلب امر واضر
اذا اشتدت واستأنس وليس على القلب امر من وحشة الذنب على الذنب فالله المستعان ـ
ومنها الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس ولا سيما اهل الخير منهم فانه يجد وحشة بينه وبينهم
وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان
بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده
واقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه وقال بعض السلف اني لاعصي الله
الى امر
فارى ذلك في خلق دابتي وامرأتي ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا
دونه او متعسرا عليه وهذا كما ان من اتقى الله جعل له من امره يسرا فمن عطل التقوى جعل الله
فيا
له من امره عسرا ويا لله العجب كيف يجد العبد ابواب الخير والمصالح مسدودة عنه وطرقها متعسرة عليه
وهو لا يعلم من اين اتي ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا
فی قلبه
ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فان الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت
الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر كاعمى خرج
۴۰
في ظلمة الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير
سوادا في الوجه حتى يراه كل احد قال عبد الله بن عباس ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب
وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة
في القبر والقلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق ومنها ان
المعاصي توهن القلب والبدن اما وهنها للقلب فامر ظاهر بل لا يزال توهنه حتى تزيل
حياته بالكلية واما وهنها للبدن فان المؤمن قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه واما الفاجر
فانه وان كان قوي البدن فهو اضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته عند احوج ما يكون الى نفسه
فتأمل قوة ابدان فارس والروم كيف خانتهم عند احوج ما كانوا اليها وقهرهم اهل الايمان بقوة ابدانهم
وقلوبهم ومنها حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة الا انه يصد عن طاعة تكون بدله ويقطع
طريق طاعة اخرى فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنب طاعات
كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل اكل اكلة اوجبت له مرضة طويلة منعته
من عدة اكلات اطيب منها والله المستعان ومنها ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد

فان البر كما يزيد في العمر فالفجور ينقص العمر وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقالت طائفة نقصان وان يقصر
عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تاثير المعاصي وقالت طائفة
بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق اسبابا كثيرة تكثره وتزيده وللبركة
في العمر اسبابا تكثره وتزيده قالوا ولا تمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب فالارزاق
والآجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقر وان كانت بقضاء الله عز الرتب
وجل فهو يقضي بما يشاء باسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى
تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحيوة هي حيوة القلب ولهذا جعل الله سبحانه الكافر
ميتا غير حي كما قال تعالى اموات غير احياء فالحيوة في الحقيقة حيوة القلب وعمر الانسان
مدة حياته فليس عمره الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة
تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله
واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية التي يجد غب اضاعتها يوم يقول يا ليتني ١٣
قدمت لحياتي فلا يخلو اما ان يكون له مع ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية او لا فان
لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع عليه عمره كله وذهبت حياته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت
عليه الطريق بسبب العوائق وتعسرت عليه اسباب الخير بحسب اشتغاله باضدادها وذلك نقصان حقيقي تعسرت بسبب
من عمره وسر المسالة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حيوة له الا باقباله على ربه والتنعم بحبه وذكره وايثار مرضاته

فصل

ومنها ان المعاصي تزرع امثالها وتولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج
منها كما قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة عقوبات
بعدها فالعبد اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جنبها اعملني ايضا فاذا عملها قالت الثالثة
كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك كانت السيئات ايضا حتى تصير تزايدت عملها جانب
الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعة
لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه بانه كالحوت اذا كانه الحوت
فارق الماء حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية واقبل على الطاعة

فضاقت عليه نفسه وضاق صدره واعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية اليها الا لما يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هانئ حيث يقول ؎ وكأس شربت على لذة ٭ واخرى تداويت منها بها ٭ وقال الآخر ؎ وكانت دوائي وهي دائي بعينه ٭ كما يتداوى شارب الخمر بالخمر ٭ ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تؤزه اليها ازا وتحرضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه اليها ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله اليه الشياطين فتؤزه اليها ازا فالاول قوى جند الطاعة بالمدد فكانوا اكبر من اعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا اعوانا عليه ٭

فصل

ومنها وهو من اخوفها على العبد انها تضعف القلب عن ارادته فتقوى ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا الى ان تنسلخ من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب الى الله فيأتي بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على مواقعتها متى امكنه وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك ٭

فصل

ومنها انه ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه وهو عند ارباب الفسوق هو غاية التفكه وتمام اللذة حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا المجاهرين وان من الاجهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فتهتك نفسه وقد بات يستره ربه ٭ ومنها ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فاللوطية ميراث عن قوم لوط واخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص ميراث عن قوم شعيب والعلو في الارض بالفساد ميراث عن فرعون وقوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي

لا البس ثياب بعض هذه الامم وهم اعداء الله وقد روى عبد الله بن احمد فی کتاب الزهد لابیه عن مالک بن دینار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بنی اسرائیل ان قل لقومک لا تدخلوا مداخل اعدائی ولا تلبسوا ملابس اعدائی ولا ترکبوا مراکب اعدائی ولا تطعموا مطاعم اعدائی فتکونوا اعدائی کما هم اعدائی وفی مسند احمد من حدیث عبد الله بن عمر عن النبی صلی الله علیه وسلم قال بعثت بالسیف بین یدی الساعة حتی یعبد الله وحده لا شریک له وجعل رزقی تحت ظل رمحی وجعل الذلة والصغار علی من خالف امری ومن تشبه بقوم فهو منهم ٥

فصل

عيينة

ومنها ان المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصری هانوا علیه فعصوه ولو عزوا علیه لعصمهم واذا هان العبد علی الله لم یکرمه احد کما قال الله تعالی ومن یهن الله فما له من مکرم وان عظمهم الناس فی الظاهر لحاجتهم الیهم او خوفا من شرهم

٤٣ الذنب

فهم فی قلوبهم احقر شیء واهونه ومنها ان العبد لا یزال یرتکب الذنوب حتی یهون علیه

كبر

ویصغر فی قلبه وذلک علامة الهلاک فان الذنب کلما صغر فی عین العبد عظم عند الله وقد ذکر البخاری فی صحیحه عن ابن مسعود قال ان المؤمن یری ذنوبه کانه فی اصل جبل یخاف ان یقع علیه وان الفاجر یری ذنوبه کذباب وقع علی انفه فقال به هکذا فطار ٥

فصل

ذنوبه

ومنها ان غیره من الناس والدواب یعود علیه شؤم ذنبه فیحترق هو وغیره بشؤم الذنوب

بظلم

والظلم قال ابو هریرة ان الحباری لتموت فی وکرها من ظلم الظالم وقال مجاهد ان البهائم تلعن عصاة بنی آدم اذا اشتدت السنة وامسک المطر وتقول هذا بشؤم معصیة

لبنى

ابن آدم وقال عکرمة دواب الارض وهوامها حتی الخنافس والعقارب یقولون منعنا

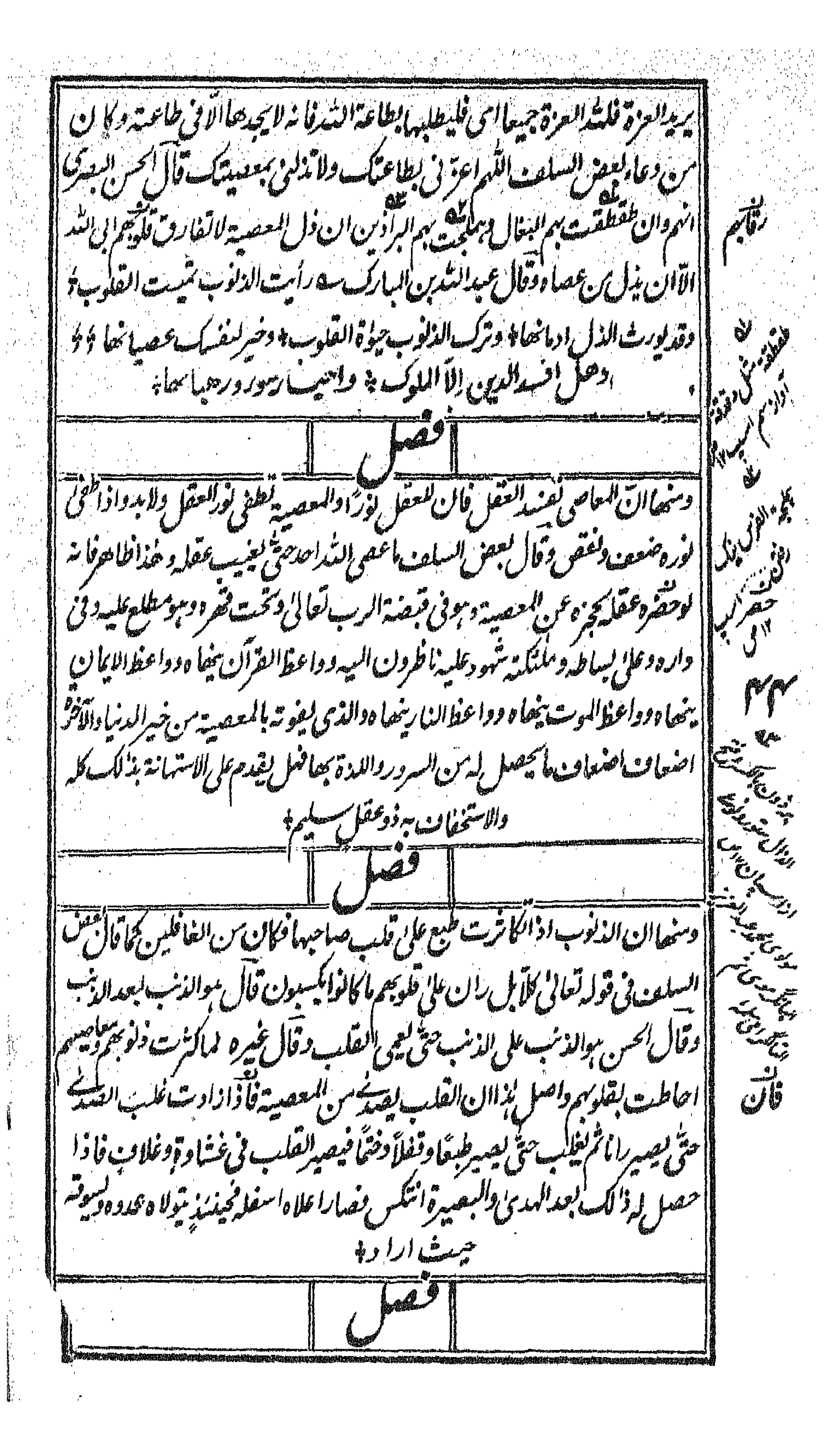
المطر

القطر بذنوب بنی آدم فلا یکفیه عقاب ذنبه حتی یبوء بلعنة من لا ذنب له ٥ ٥ ٥ ٥

فصل

وان

ومنها ان المعصية تورث الذل ولا بد فان العز کل العز فی طاعة الله تعالی قال تعالی من کان



يريد العزة فلله العزة جميعا اى فليطلبها بطاعة الله فانه لايجدها الا فى طاعته وكان من دعاء بعض السلف اللهم اعزنى بطاعتك ولا تذلنى بمعصيتك قال الحسن البصرى انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين ان ذل المعصية لاتفارق قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه وقال عبد الله بن المبارك سه رأيت الذنوب تميت القلوب ٭ وقد يورث الذل ادمانها ٭ وترك الذنوب حيوة القلوب ٭ وخير لنفسك عصيانها ٭٭ وهل افسد الدين الا الملوك ٭ واحبار سوء ورهبانها ٭

فصل

ومنها ان المعاصى تفسد العقل فان للعقل نورًا والمعصية تطفى نور العقل ولابد واذا طفى نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف ما عصى الله احد حتى يغيب عقله وهذا ظاهر فانه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو فى قبضة الرب تعالى وتحت قهره وهو مطلع عليه وفى داره وعلى بساطه وملٰئكته شهود عليه ناظرون اليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ الايمان ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذى يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة اضعاف اضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم ٭

فصل

ومنها ان الذنوب اذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال بعض السلف فى قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال هو الذنب بعد الذنب وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب وقال غيره لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم احاطت بقلوبهم واصل هذا ان القلب يصدى من المعصية فاذا زادت غلب الصدى حتى يصير رانا ثم يغلب حتى يصير طبعًا وقفلًا وختمًا فيصير القلب فى غشاوة وغلاف فاذا حصل له ذالك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار اعلاه اسفله فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث اراد ٭

فصل

ومنها ان الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لعن على معاصى
والتي غيرها اكبر منها فهي اولى بدخول فاعلها تحت اللعنة فلعن الواشمة والمستوشمة والواصلة
والموصولة والنامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة ولعن آكل الربو ومؤكله وكاتبه
وشاهده ولعن المحلل والمحلل له ولعن السارق ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها شاهديه
ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن من غير منار الارض له
وهي اعلامها وحدودها ولعن من لعن والديه ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا يرميه
بسهم ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن من ذبح لغير الله ولعن بالسهام المتخذ
من احدث حدثا او آوى محدثا ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب اباه وامه ولعن من
كمه اعمى عن الطريق ولعن من اتى بهيمة ولعن من وسم دابة في وجهها ولعن من ضار على
بمسلم او مكر به ولعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ولعن من افسد لمسلم مسلما
امراة على زوجها او مملوكا على سيده ولعن من اتى امراة في دبرها واخبر ان من باتت
مهاجرة لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ولعن من انتسب الى غير ابيه واخبر ان ۴۵
من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه ولعن من سب الصحابة وقد لعن الله من افسد اصحابه رضي الله عنهم
في الارض وقطع رحمه واذاه واذى رسوله ولعن من كتم ما انزل الله سبحانه من البينات
والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات بالفاحشة ولعن من
جعل سبيل الكافر اهدى من سبيل المسلم ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس
لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل ولعن الراشي والمرتشي والرائش وهو الواسطة في الرشوة ولعن
على اشياء اخر غير هذه فلو لم يكن في فعل ذلك الا رضا فاعله بان يكون ممن يلعنه الله
ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعو الى تركه

فصل

ومنها حرمان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملائكة فان الله سبحانه امر
نبيه ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون فقال
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين

تابوا واتبعوا سبیلک وقهم عذاب الجحیم ربنا وادخلهم جنات عدن التی وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذریاتهم انک انت العزیز الحکیم وقهم السیئات فهذا دعاء الملائکة للمؤمنین التائبین المتبعین لکتاب وسنة رسوله الذین لا سبیل لهم غیرهما فلا یطمع غیر هؤلاء باجابة هذه الدعوة اذا لم یتصف بصفات المدعو له بهاء

فصل

ومن عقوبات المعاصی ما رواه البخاری فی صحیحه من حدیث سمرة بن جندب قال کان النبی صلی الله علیه وسلم مما یکثر ان یقول لاصحابه هل رأی احد منکم البارحة رؤیا فیقص علیه ما شاء الله ان یقص وانه قال لنا ذات غداة انه اتانی اللیلة آتیان وانهما ابتعثانی وانهما قالا لی انطلق وانی انطلقت معهما وانا اتینا علی رجل مضطجع واذا آخر قائم علیه بصخرة واذا هو یهوی بالصخرة لرأسه فیثلغ رأسه فیتدهده الحجر ههنا فیتبع الحجر فیأخذه فلا یرجع الیه حتی یصح رأسه کما کان ثم یعود علیه فیفعل به مثل ما فعل المرة الاولی قال قلت لهما سبحان الله ما هذان قالا لی انطلق انطلق فانطلقنا فاتینا علی رجل مستلق لقفاه واذا آخر قائم علیه بکلوب من حدید واذا هو یأتی احد شقی وجهه فیشرشر شدقه الی قفاه ومنخره الی قفاه وعینه الی قفاه ثم یتحول الی الجانب الآخر فیفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول فما یفرغ من ذلک الجانب حتی یصح ذلک الجانب کما کان ثم یعود علیه فیفعل مثل ما فعل فی المرة الاولی قال قلت سبحان الله ما هذان فقالا لی انطلق انطلق فانطلقنا فاتینا علی مثل التنور واذا فیه لغط واصوات قال فاطلعنا فیه فاذا فیه رجال ونساء عراة واذا هم یأتیهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلک اللهب ضوضوا فقال قلت من هؤلاء قال فقالا لی انطلق انطلق قال فانطلقنا فاتینا علی نهر احمر مثل الدم فاذا فی النهر رجل سابح یسبح واذا علی شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة کثیرة واذا ذلک السابح یسبح ما یسبح ثم یأتی ذلک الذی قد جمع عنده الحجارة فیفغر له فاه فیلقمه حجرا فینطلق فیسبح ثم یرجع الیه کلما رجع الیه فغر له فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لی انطلق انطلق فانطلقنا فاتینا علی رجل کریه المرآة کاکره ما انت راء رجلا مرآة واذا هو عنده نار یحشها ویسعی

دعاءهم فی اجابته

بصفات

۴۹

یحشها

حولها قال قلت لهما ما هذا قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة فيها من
كل نور الربيع واذا بين ظهرانی الروضة رجل طويل لا اكاد ارى رأسه طولا في السماء واذا
حول الرجل من اكثر ولدان رأيتهم قط قال قلت ما هذا و ما هؤلاء قال قالا لي انطلق انطلق
فانطلقنا فاتينا الى دوحة عظيمة لم ار دوحة قط اعظم منها ولا احسن قال قالا لي ارق فيها
فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة قال فاتينا باب المدينة فاستفتحنا
ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء
قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض يجري كان ماءه المحض في
البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم قال قالا لي هذه جنة
صعودا عدن وهذاك منزلك قال فسما بصري صعدا فاذا قصر مثل الربابة البيضاء قال قالا
لي هذاك منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني فادخله قالا اما الآن فلا وانت داخله
هذه قال قلت لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت قال قالا لي اما انا سنخبرك
۴۷ اما الرجل الاول الذي اتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام
عن الصلوة المكتوبة واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
فتبلغ وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق واما الرجال والنساء
العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح
المرآى يحشها في النهر ويلقم الحجارة فانه آكل الربو واما الرجل الكريه المنظر الذي عند النار يحشها ويسعى حولها
فانه مالك خازن جهنم واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما الولدان الذين
حوله فكل مولود مات على الفطرة وفي رواية البرقاني ولد على الفطرة فقال بعض المسلمين يا
رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين واما القوم
الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم

فصل

انا ومن آثار الذنوب والمعاصي انها تحدث في الارض انواعا من الفساد في المياه والهوى والزرع
والثمار والمساكن قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض

الذي عملوا لعلهم يرجعون قال مجاهد اذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد فيحبس بذلك القطر
فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ثم قرأ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي
الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ثم قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل
قرية على ماء جار فهو بحر وقال عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر اما اني لا اقول لكم بحركم هذا ولكن كل بحر نهر
قرية على ماء وقال قتادة اما البر فاهل العمود واما البحر فاهل القرى والريف قلت وقد سمى الله
تعالى الماء العذب بحرا فقال هو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا
ملح اجاج وليس في العالم بحر حلو واقفا وانما هي الانهار الجارية والبحر المالح هو الساكن فتسمى القرى
التي على المياه الجارية باسم تلك المياه وقال ابن زيد ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب قلت
اراد ان الذنب سبب الفساد الذي ظهر وان اراد ان الفساد الذي ظهر هو الذنوب الذنوب
نفسها فيكون قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لام العاقبة والتعليل وعلى الاول فالمراد
بالفساد النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الارض بمعاصي العباد فكلما احدثوا ذنبا عند معاصی
احدث لهم عقوبة كما قال بعض السلف كلما احدثتم ذنبا احدث الله لكم من سلطانه ۴۸
عقوبة والظاهر والله اعلم ان الفساد المراد به الذنوب وموجباتها ويدل عليه قوله تعالى اقول
ليذيقهم بعض الذي عملوا فهذا حالنا وانما اذاقنا الشيء اليسير من اعمالنا فلو اذاقنا كل اعمالنا
لما ترك على ظهرها من دابة ومن تاثير معاصي الله في الارض ما يحل بها من الخسف والزلازل
ويمحق بركتها وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود فمنعهم من دخول ديارهم الا
وهم باكون ومن شرب مياههم ومن الاستسقاء من ابارهم حتى امر ان يعلف العجين الذي
عجن بمياههم للنواضح الابل لتاثير شوم المعصية في الماء وكذلك شوم تاثير الذنوب في نقص بمیاہم للنواضح
الثمار وما ترى به من الآفات وقد ذكر الامام احمد في مسنده في ضمن حديث قال وجدت في خزائن بعض ما یسقی علیہ من بعیر
بني امية حنطة الحبة بقدر نواة التمرة وهي في صرة مكتوب عليها كان هذا ينبت في
زمن العدل وكثير من هذه الآفات احدثها الله سبحانه وتعالى بما احدث العباد زمان
من الذنوب واخبرني جماعة من شيوخ الصحراء انهم كانوا يعهدون الثمار اكبر مما هي شیخ
الآن وكثير من هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها وانما حدثت من قرب

تأثير الذنوب في الصور والخلق فقد روى الترمذي في جامعه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا ولم يزل الخلق ينقص حتى الآن فاذا
اراد الله ان يطهر الارض من الظلمة والخونة والفجرة يخرج عبدا من عباده من اهل
بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فيملا الارض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى ويقيم الدين الذي
بعث الله به رسوله وتخرج الارض بركاتها وتعود كما كانت حتى ان العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون
بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير ولبن اللقحة الواحدة يكفي الفئام من الناس وهذا لان الارض لما
طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التي محقتها الذنوب والكفر ولا ريب ان العقوبات
التي انزلها الله في الارض لبقية آثارها سارية في الارض تطلب ما يشاكلها من الذنوب
التي هي آثار تلك الجرائم التي عذبت بها الامم فهذه الآثار في الارض من آثار العقوبات
كما ان هذه المعاصي من آثار الجرائم فتناسبت كلمة الله وحكمه الكوني اولا وآخرا
وكان العظيم من العقوبة للعظيم من الجناية والاخف للاخف وهكذا يحكم سبحانه بين
خلقه في دار البرزخ ودار الجزاء وتأمل مقارنة الشيطان ومحله وداره فانه لما قارن العبد
واستولى عليه نزعت البركة من عمره وعمله وقوله ورزقه ولما اثرت طاعته في الارض ما اثرت
نزعت البركة من كل محل ظهرت فيه طاعته وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك
شيء من الروح والرحمة والبركة

فصل

ومن عقوباتها انها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة
الغريزية لحياة جميع البدن فان الغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات
المذمومة كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد واشرف الناس واعلاهم
قدرا وهمة اشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي صلى الله عليه
وسلم اغير الخلق على الامة والله سبحانه اشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الصحيح ايضا
عنه انه قال صلى الله عليه وسلم في خطبة الكسوف يا امة محمد ما احد اغير من الله ان في

نسخة: فلم ولما
نسخة: يطهر الله سبحانه
٣٩
نسخة: عقوبات الذنوب
نسخة: اشرفهم

عبده او تزنی امته وفی الصحیح ایضا عنه انه قال لا احد اغیر من الله من اجل ذلک حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب الیه العذر من الله من اجل ذلک ارسل الرسل مبشرین ومنذرین
ولا احد احب الیه المدح من الله من اجل ذلک اثنی علی نفسه فجمع فی هذا الحدیث بین الغیرة التی
اصلها کراهة القبائح وبغضها وبین محبة العذر الذی یوجب کمال العدل والرحمة والاحسان
والله سبحانه مع شدة غیرته یحب ان یعتذر الیه عبده ویقبل عذر من اعتذر الیه وانه لا یؤاخذ
عبیده بارتکاب ما یغار من ارتکابه حتی یعذر الیهم ولاجل ذلک ارسل رسله وانزل کتبه اعذارا
وانذارا وهذا غایة المجد والاحسان ونهایة الکمال فان کثیرا ممن تشتد غیرته من المخلوقین تحمله شدة
الغیرة علی سرعة الایقاع والعقوبة من غیر اعذار منه ومن غیر قبول العذر ممن اعتذر الیه بل یکون
له فی نفس الامر عذر ولا تدعه شدة الغیرة ان یقبل عذره وکثیر ممن یقبل المعاذیر یحمله علی قبولها
قلة الغیرة حتی یتوسع فی طرق المعاذیر ویری عذرا ما لیس بعذر حتی یعتذر کثیر منهم بالقدر وکل منهما غیر ممدوح علی الاطلاق
وقد صح عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال ان من الغیرة ما یحبها الله ومنها ما یبغضها الله فالتی
یبغضها الله الغیرة من غیر ریبة وذکر الحدیث وانما الممدوح اقتران الغیرة بالعذر فیغار فی محل
الغیرة ویعذر فی موضع العذر ومن کان هکذا فهو الممدوح حقا ولما جمع سبحانه صفات
الکمال کلها کان احق بالمدح من کل احد ولا یبلغ احد ان یمدحه کما ینبغی له بل هو کما مدح نفسه واثنی
علی نفسه فالغیور قد وافق ربه سبحانه فی صفة من صفاته ومن وافق الله فی صفة من صفاته
قادته تلک الصفة الیه بزمامه وادخلته علی ربه وادنته منه وقربته من رحمته وصیرته محبوبا له فانه
سبحانه رحیم یحب الرحماء کریم یحب الکرماء علیم یحب العلماء قوی یحب المؤمن القوی وهو احب
الیه من المؤمن الضعیف حیی یحب اهل الحیاء جمیل یحب اهل الجمال وتر یحب اهل الوتر ولو لم یکن
فی الذنوب والمعاصی الا انها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات وتمنعه من الاتصاف
بها لکفی بها عقوبة فان الخطرة تنقلب وسوسة والوسوسة تصیر ارادة والارادة تقوی
فتصیر عزیمة ثم تصیر فعلا ثم تصیر صفة لازمة وهیئة ثابتة راسخة وحینئذ یتعذر الخروج
منها کما یتعذر علیه الخروج من صفاته القائمة به والمقصود انه کلما اشتدت ملابسته للذنوب اخرجت
من قلبه الغیرة علی نفسه واهله وعموم الناس وقد تضعف فی القلب جدا حتی لا یستقبح

٥٠

بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره واذا وصل الى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك وكثير من
هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه
اليه ويحثه عليه ويسعى له في تحصيله ولهذا كان الديوث اخبث خلق الله والجنة عليه حرام صاحب الذنوب
وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه لغيره فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة وهذا يدلك
على ان اصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح
فتدفع السوء والفواحش وعدم الغيرة تميت القلب فتموت الجوارح فلا يبقى عندها
دفع البتة ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه فاذا ذهبت
القوة وجد الداء المحل قابلا ولم يجد دافعا فتمكن فكان الهلاك ومثلها مثل صياصي الجاموس كمثل
التي تدفع بها عن نفسه وعن ولده فاذا تكسرت طمع فيها عدوه

فصل

ومن عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب وهو اصل كل خير وذهابه 51
ذهاب كل خير باجمعه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء خير كله وقال الخير اجمعه
ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وفيه تفسيران احدهما
انه على التهديد والوعيد والمعنى من لم يستح فانه يصنع ما شاء من القبائح اذ الحامل على
تركها الحياء فاذا لم يكن هناك حياء يزعه عن القبائح فانه يواقعها وهذا تفسير ابي عبيدة واذا هنالك
والثاني ان الفعل اذا لم تستح منه من الله فافعله وانما الذي ينبغي تركه ما يستحيى منه فيه فيه
من الله وهذا تفسير الامام احمد في رواية ابن هانئ فعلى الاول يكون تهديدا كقوله
اعملوا ما شئتم وعلى الثاني يكون اذنا واباحة فان قيل فهل من سبيل الى حمله على
على المعنيين قلت لا ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه لما بين الاباحة والتهديد من المنافاة
ولكن اعتبار احد المعنيين يوجب اعتبار الآخر والمقصود ان الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما
انسلخ منه بالكلية حتى ربما انه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله
وقبح ما يفعله والحامل على ذلك انسلاخه من الحياء واذا وصل العبد الى هذه الحالة لم يبق
في صلاحه مطمع واذا راى ابليس طلعة وجهه حيا وقال فديت من لا يفلح والحياء

مشتق من الحيوة والغيث يسمى حيا بالقصر لان به حيوة الارض والنبات والدواب
وكذلك سميت بالحيوة حيوة الدنيا والآخرة فمن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي
في الآخرة وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكل
منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا ومن استحيى من الله عند معصيته استحيى الله من عقوبته
يوم يلقاه ومن لم يستح من الله تعالى من معصيته لم يستح الله من عقوبته ✣ بالمعصية

فصل

ومن عقوباتها انها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره عقوبات الذنوب
في قلب العبد ولا بد شاء ام ابى ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرى على قلبه
معاصيه وربما اغتر المغتر وقال انما يحملني على المعاصي حسن الرجاء وطمعي في عفوه لا ضعف
عظمته في قلبي وهذا من مغالطة النفس فان عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد
وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرؤن على معاصيه ما قدروه حق قدره وكيف
يقدره حق قدره او يعظمه او يكبره او يرجو وقاره ويجله من يهون عليه امره ونهيه هذا من ٥٣
امحل المحال وابين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة ان يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله
وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه ومن بعض عقوبة هذا ان يرفع الله عز وجل مهابته
من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به كما هان عليه امره واستخف به فعلى قدر محبة العبد
لله يحبه الناس وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس وعلى قدر تعظيمه الله وحرماته الخلق
يعظم الناس حرماته وكيف ينتهك عبد حرمات الله ويطمع ان لا ينتهك الناس
حرماته ام كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس ام كيف يستخف بمعاصي الله
ولا يستخف به الخلق وقد اشار سبحانه الى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب
وانه اركسهم بما كسبوا وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم وانه نسيهم كما نسوه
واهانهم كما اهانوا دينه وضيعهم كما ضيعوا امره ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات
له ومن يهن الله فما له من مكرم فانهم لما هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه
اهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد ان اهانهم ومن ذا يكرم من اهانه الله او يهين من اكرم ✣ اكرمه الله

فصل

ومن عقوباتها انها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه
وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون فامر بتقواه ونهى ان يتشبه عباده المؤمنون بمن نسيه بترك
تقواه واخبر انه عاقب من ترك التقوى بان انساه نفسه اي انساه مصالحها وما ينجيها
من عذابه وما يوجب له الحيوة الابدية وكمال لذتها وسرورها ونعيمها فانساه الله ذلك
كله جزاء لما نسيه من عظمته وخوفه والقيام بامره فترى العاصي مهملا لمصالح نفسه مضيعا
لها قد اغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا قد انفرطت عليه مصالح دنياه
وآخرته وقد فرط في سعادته الابدية واستبدل بها ادنى ما يكون من لذة انما هي سحابة صيف
او خيال طيف ؎ احلام نوم او كظل زائل ✽ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ✽ واعظم العقوبات
نسيان العبد لنفسه واهماله لها واضاعته حظها ونصيبها من الله وبيعها ذلك بالغبن
والهوان وابخس الثمن فضيع من لا غنى له عنه ولا عوض له منه واستبدل به من عنه
كل الغنى او منه كل العوض ؎ من كل شئ اذا ضيعته عوض ✽ وليس في الله ان
ضيعت من عوض ✽ فالله سبحانه يعوض عن كل شئ ما سواه ولا يعوض منه شئ ويغني
عن كل شئ ولا يغني عنه شئ ويمنع من كل شئ ولا يمنع منه شئ ويجير من كل شئ ولا يجير
منه شئ كيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شانه طرفة عين وكيف ينسى ذكره ويضيع
امره حتى ينسيه نفسه فيخسرها ويظلمها اعظم الظلم فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه وما ظلمه ربه
ولكن هو الذي ظلم نفسه ✽

فصل

ومن عقوباتها انها تخرج العبد من دائرة الاحسان وتمنعه من ثواب المحسنين فان
الاحسان اذا باشر القلب منعه عن المعاصي فان من عبد الله كانه يراه لم يكن كذلك
الا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه بحيث يصير كانه يشاهده وذلك يحول

هنالك
نسخة: كمالها بها
نسخة: مصالح
نسخة: نفسه
نسخة: الاثمان
نسخة: ما من
نسخة: ضيعته عنه
نسخة: من ذلك

بينه وبين ارادة المعاصي فضلاً عن مواقعتها فاذا اخرج من دائرة الاحسان فاته صحبة
رفقته الخاصة وعيشهم الهني ونعيمهم التام فان اراد الله به خيراً اقره في دائرة عموم المؤمنين فان
عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربه وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين
يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع اليه الناس فيها ابصارهم حين
ينتهبها وهو مؤمن فاياكم اياكم والتوبة معروضة بعد

فصل

ومن فاته رفقة المؤمنين وخرج عن دائرة الايمان فاته حسن دفاع الله عن المؤمنين عنهم
فان الله يدافع عن الذين آمنوا وفاته كل خير رتبه الله في كتابه على الايمان وهو نحو مائة خصلة كل
خصلة منها خير من الدنيا وما فيها فمنها الاجر العظيم وسوف يؤت الله المؤمنين اجراً عظيماً
ومنها الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة ان الله يدافع عن الذين آمنوا ومنها استغفار حملة العرش لهم الذين
يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ومنها ٥٤
موالاة الله لهم ولا يذل من والاه الله قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا ومنها امره ملائكته
بتثبيتهم اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ومنها ان لهم الدرجات عند ربهم والمغفرة والرزق الكريم ومنها
العزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومنها معية الله لاهل الايمان وان الله لمع المؤمنين
ومنها الرفعة في الدنيا والآخرة يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
ومنها اعطاهم كفلين من رحمته واعطاهم نوراً يمشون به ومغفرة ذنوبهم ومنها الود الذي
يجعل سبحانه لهم وهو انه يحبهم ويحببهم الى ملائكته وانبيائه وعباده الصالحين ومنها امانهم
من الخوف يوم يشتد الخوف فمن آمن وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ومنها انهم المنعم عليهم الذين امرنا ان نسأله ان يهدينا الى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة
مرة ومنها ان القرآن انما هو هدى لهم وشفاء قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر
وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد والمقصود ان الايمان سبب جالب
لكل خير وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الايمان فكيف يهون على العبد ان يرتكب شيئاً

يخرجه من دائرة الايمان ويحول بينه وبينه ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين فان استمر على الذنوب واصر
عليها خيف عليه ان يرين على قلبه فيخرجه عن الاسلام بالكلية ومن هنا اشتد خوف السلف كما
قال بعضهم انتم تخافون الذنوب وانا اخاف الكفر

فصل

ومن عقوباتها انها تضعف سير القلب الى الله والدار الآخرة او تعوقه وتوقفه وتقطعه عن السير
فلا تدعه يخطو الى الله خطوة هذا ان لم ترده عن وجهته الى ورائه فالذنب يحجب الواصل
ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب انما يسير الى الله بقوته فاذا مرض بالذنوب
ضعفت تلك القوة التي تسيره فان زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يبعد تداركه
والله المستعان فالذنب اما يميت القلب او يمرضه مرضا مخوفا او يضعف قوته ولا بد
حتى ينتهي ضعفه الى الاشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم
وهي الهم والحزن والكسل والعجز والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال وكل
اثنين منها قرينان فالهم والحزن قرينان فان المكروه الوارد على القلب ان كان
من امر مستقبل يتوقعه احدث الهم وان كان من امر ماض قد وقع احدث الحزن والعجز والكسل
قرينان فان تخلف العبد عن اسباب الخير والفلاح ان كان لعدم قدرته فهو العجز
وان كان لعدم ارادته فهو الكسل والجبن والبخل قرينان فان عدم النفع منه ان كان ببدنه
فهو الجبن وان كان بماله فهو البخل وضلع الدين وقهر الرجال قرينان فان استعلاء
الغير عليه ان كان بحق فهو من ضلع الدين وان كان بباطل فهو من قهر الرجال
والمقصود ان الذنوب من اقوى الاسباب الجالبة لهذه الثمانية كما انها من اقوى
الاسباب الجالبة لجهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء ومن اقوى الاسباب
الجالبة لزوال نعم الله تعالى وتقدس وتحول عافيته وفجاءة نقمته وجميع سخطه

فصل

ومن عقوبات الذنوب انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بسبب
ذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما نزل

بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاخبر الله تعالى انه لا يغير نعمته التي انعم بها على احد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره واسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غير غير عليه جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وفي بعض الآثار الالهية عن الرب تبارك وتعالى انه قال وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما احب ثم ينتقل عنه الى ما اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي على ما اكره فينتقل عنه الى ما احب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد احسن القائل

عبادي

عبادي ثم ينتقل

اذا كنت في نعمة فارعها ❊ فان الذنوب تزيل النعم ❊
وحطها بطاعة رب العباد ❊ فرب العباد سريع النقم ❊
واياك والظلم مهما استطعت ❊ فظلم العباد شديد الوخم ❊
وسافر بقلبك بين الورى ❊ لتبصر آثار من قد ظلم ❊
فتلك مساكنهم بعدهم ❊ شهود عليهم ولا تتهم ❊
وما كان شيء عليهم اضر ❊ من الظلم وهو الذي قد قصم ❊
فكم تركوا من جنان ومن ❊ قصور واخرى عليهم اطم ❊
صلوا بالجحيم وفات النعيم ❊ وكان الذي نالهم كالحلم ❊

فيما

لتنظر

جار

فصل

ومن عقوباتها ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه الا خائفا مرعوبا فان الطاعة حصن الله الاعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة ومن خرج عنه احاطت به المخاوف من كل جانب فمن اطاع الله انقلبت المخاوف في حقه امانا ومن عصاه انقلبت مأمنه مخاوف فلا تجد العاصي الا وقلبه كانه بين جناحي طائر ان حركت الريح الباب قال جاء الطلب وان سمع وقع قدم خاف ان يكون نذيرا بالعطب يحسب كل صيحة عليه

عقوبة

وكل مكروه قاصد اليه ومن خاف الله آمنه من كل شئ ومن لم يخف الله اخافه من كل شئ ٥ بدا قصاه الله
من الخلق من خلقوا وان المخاوف الاجرام في قرن ثم من عقوباتها انها توقع الوحشة العظيمة في القلب التأنس توجب
فيجد المذنب نفسه مستوحشا قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبينه وبين الخلق وبينه وبين
نفسه وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة وامر العيش عيش المستوحشين الخائفين واطيب
العيش عيش المستأنسين فلو نظر العاقل ووازن بين لذة المعصية وما توقعه من الخوف والوحشة فكر توقعه
لعلم سوء حاله وعظيم غبنه اذ باع انس الطاعة وامنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه
من الخوف اذا كنت قد اوحشتك الذنوب فدعها اذا شئت استأنس وسر المسألة ان الطاعة توجب فان
القرب من الرب سبحانه وكلما اشتد القرب قوى الانس والمعصية توجب البعد من الرب وكلما ازداد البعد قويت الوحشة
ولهذا يجد العبد وحشة بينه وبين عدوه للبعد الذي بينهما وان كان ملابسا له قريبا منه
ويجد انسا قويا بينه وبين من يحب وان كان بعيدا عنه والوحشة سببها الحجاب وكلما غلظ وقربا
الحجاب زادت الوحشة فالغفلة توجب الوحشة واشد منها وحشة المعصية واشد منها
وحشة الشرك والكفر ولا تجد احدا يلابس شيئا من ذلك الا ويعلوه من الوحشة بحسب ٥٧
ما لابسه منه فتعلو الوحشة وجهه وقلبه فيستوحش ويستوحش منه

فصل

ومن عقوباتها انها تصرف القلب عن صحته واستقامته الى مرضه وانحرافه فلا يزال
مريضا معلولا لا ينتفع بالاغذية التي بها حياته وصلاحه فان تأثير الذنوب في القلوب
كتأثير الامراض في الابدان بل الذنوب امراض القلوب وداؤها ولا دواء لها الا تركها
وقد اجمع السائرون الى الله ان القلوب لا تعطى مناها حتى تصل الى مولاها ولا تصل
الى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس
دوائها ولا يصح لها ذلك الا بمخالفة هواها وهواها مرضها وشفاؤها مخالفته فان استحكم
المرض قتل او كاد وكما ان من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه كذلك يكون فكذا
قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم اهلها نعيم البتة بل التفاوت الذي بين النعيمين
كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة وهذا امر لا يصدق به الا من باشر قلبه هذا وهذا

ولا تحسب ان قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها
فقط بل في دورهم الثلثة كذلك اعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار فهؤلاء في نعيم
وهؤلاء في جحيم وهل النعيم الا نعيم القلب وهل العذاب الا عذاب القلب واي عذاب
اشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر واعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه
بغير الله وانقطاعه عن الله بكل واد منه شعبة وكل شيء تعلق به واحبه من دون الله فانه
يسومه سوء العذاب فكل من احب شيئا غير الله عذب به ثلث مرات في هذه الدار — نسخة: عذبه الله
فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل فاذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من
سلبه وفواته والتنغيص والتنكيد عليه وانواع المعارضات فاذا سلبه اشتد عذابه عليه فهذه ثلثة — نسخة: المعارضات
انواع من العذاب في هذه الدار واما في البرزخ فعذاب يقارنه الم الفراق الذي لا يرجى
عوده والم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده والم الحجاب عن الله والم الحسرة
التي تقطع الاكباد فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان — نسخة: تفعل ۵۸
في ابدانهم بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله الى اجسادها فحينئذ ينتقل العذاب
الى نوع هو ادهى وامر فاين هذا من نعيم من يرقص قلبه طربا وفرحا وانسا بربه واشتياقا
اليه وارتياحا بحبه وطمانينة بذكره حتى يقول بعضهم في حال نزعه واطرباه ويقول الآخر
ان كان اهل الجنة في مثل هذا الحال انهم لفي عيش طيب ويقول الآخر مساكين اهل الدنيا
خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها وما ذاقوا اطيب ما فيها ويقول الآخر لو علم الملوك وابناء
الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ويقول الآخر ان في الدنيا جنة من لم يدخلها
لم يدخل جنة الآخرة فيا من باع حظه الغالي بابخس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقد
وهو يرى انه قد غبن اذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فاسئل المقومين فيا عجبا من بضاعة — نسخة: السلع
معك الله مشتريها وثمنها جنة المأوى والسفير الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن — نسخة: يديه
الثمن عن المشتري هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بعتها بغاية الهوان ؎ اذا كان
هذا فعل عبد بنفسه ٭ فمن ذا له من بعد ذلك يكرم ٭ ومن يهن الله فما له من مكرم
ان الله يفعل ما يشاء ٭

فصل

ومن عقوباتها انها تعمي بصر القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية بصيرة
وقد قال مالك للشافعي رحمهما الله تعالى لما اجتمع به ورأى تلك المخايل اني ارى الله
تعالى قد القى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل
وظلام المعصية يقوى حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم فكم من مهلك يسقط فيه وهو
لا يبصره كاعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب فيا عزة السلامة ويا سرعة
العطب ثم تقوى تلك الظلمات وتفيض من القلب الى الجوارح فيغشى الوجه منها سواد مع سواد
بحسب قوتها وتزايدها فاذا كانت عند الموت ظهرت في البرزخ فامتلأ القبر ظلمة كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور ممتلئة على اهلها ظلمة وان الله ينورها بصلاتي عليهم منورسا
فاذا كان يوم المعاد وحشر العباد علت الظلمة الوجوه علوا ظاهرا يراه كل احد حتى يصير الوجه الاجساد
اسود مثل الحممة فيا لها من عقوبة لا توازن لذات الدنيا باجمعها من اولها الى آخرها ٥٩
فكيف بقسط العبد المنغص المنكد المتعب في زمن انما هو ساعة من حلم والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تصغر النفس وتقمعها وتدسيها وتحقرها حتى تصير اصغر كل شيء واحقره كما ان
الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والمعنى قد افلح من كبرها واعلاها بالطاعة
الله واظهرها وقد خسر من اخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله واصل التدسية الاخفاء
ومنه قوله تعالى يدسه في التراب فالعاصي يدس نفسه في المعصية ويخفي مكانها ويتوارى
من الخلق من سوء ما ياتي به قد انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق فالطاعة
والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها حتى تصير اشرف شيء واكبره وازكاه واعلاه ومع ذلك فهي اذل
شيء واحقره واصغره لله تعالى وبهذا الذل حصل لها هذا العز والشرف والنمو فما صغر
النفس مثل معصية الله وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله

فصل

ومن عقوباتها ان العاصي دائمًا في اسر شيطانه وسجن شهواته وقيود هواه فهو اسير مسجون

مقيد ولا اسير اسوء حالاً من اسير اسره اعدى عدوله ولا سجن اضيق من سجن الهوى ولا قيد
اصعب من قيد الشهوة فكيف يسير الى الله والدار الآخرة قلب ماسور مسجون مقيد كيف
يخطو خطوة واحدة واذا تقيد القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده ومثل
القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الآفات وكلما نزل احتوشته الآفات وفي الحديث
الشيطان ذئب الانسان وكما ان الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب
فكذا العبد اذا لم يكن عليه حافظ من الله فذئبه مفترسه ولا بد وانما يكون عليه حافظ من الله
بالتقوى فهي وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذئبه كما هي وقاية بينه وبين عقوبات الدنيا والآخرة
وكلما كانت الشاة اقرب من الراعي كانت اسلم من الذئب وكلما بعدت عن الراعي
كانت اقرب الى الهلاك فاحمى ما تكون الشاة اذا قربت من الراعي وانما ياخذ الذئب
القاصي من الغنم وهي البعد من الراعي واصل هذا كله ان القلب كلما كان ابعد
من الله كانت الآفات اليه اسرع وكلما اقرب من الله بعدت عنه الآفات والبعد ٦٠
من الله مراتب بعضها اشد من بعض فالغفلة تبعد العبد عن الله وبعد المعصية اعظم
من بعد الغفلة وبعد البدعة اعظم من بعد المعصية وبعد النفاق والشرك اعظم من ذلك كله

فصل

ومن عقوباتها سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه فان اكرم الخلق عند الله
اتقاهم واقربهم منه منزلة اطوعهم له وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلة عنده فاذا عصاه
وخالف امره سقط من عينه فاسقطه من قلوب عباده واذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان
عليهم عاملوه على حسب ذلك فعاش بينهم اسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر زري الحال
لا حرمة له فلا فرح له ولا سرور فان خمول الذكر وسقوط القدر والجاه معه كل غم وهم وحزن ولا سرور معه ولا فرح وان
هذا الالم من لذة المعصية لولا سكر الشهوة ومن اعظم نعم الله على العبد ان يرفع له بين العالمين ذكره ويعلي قدره ولهذا اخص انبياءه
ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر
الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي سأله ابراهيم الخليل

عليه الصلوة والسلام حيث قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقال سبحانه
وتعالى عنه وعن بنيه ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقال لنبيه صلى
الله عليه وسلم ورفعنا لك ذكرك فاتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم
من طاعتهم ومتابعتهم وكل من خالفهم فانه من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم

فصل

ومن عقوباتها انها تسلب صاحبها اسماء المدح والشرف وتكسوه اسماء الذم والصغار
فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والمتقي والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح والعابد
والخائف والاواب والطيب والرضي ونحوها وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف
والمسيء والمفسد والخبيث والمسخوط والزاني والسارق والقاتل والكاذب والخائن
واللوطي والغادر وقاطع الرحم وامثالها فهذه اسماء الفسوق بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان التي توجب غضب الديان ودخول النيران وعيش الخزي والهوان
وتلك اسماء توجب رضاء الرحمن ودخول الجنان وتوجب شرف المسمى بها على
سائر انواع الانسان فلو لم يكن في عقوبة المعصية الا استحقاق تلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل ناه عنها ولو لم يكن في ثواب الطاعة الا الفوز بتلك الاسماء وموجباتها
لكان في العقل امر بها ولكن لا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منعه ولا مقرب لمن باعده
ولا مبعد لمن قربه ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء

فصل

ومن عقوباتها انها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تجد عاقلين احدهما مطيع لله
والآخر عاص الا وعقل المطيع منهما اوفر واكمل وفكره اصح ورأيه اسد والصواب قرينه
ولهذا تجد خطاب القرآن انما هو مع اولي الالباب والعقول كقوله فاتقون يا اولي
الالباب وقوله فاتقوا الله يا اولي الالباب وقوله وما يذكر الا اولو الالباب ونظائر
ذلك كثيرة وكيف يكون عاقلا وافر العقل من يعصي من هو في قبضته وفي داره
وهو يعلم انه يراه ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمه على مساخطه

ويستدعي كل وقت غضبه عليه ولعنته له والبعاده من قربه وطرده عن بابه واعراضه عنه وخذلانه (في قربه)
له والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه وسقوطه من عينه وحرمانه روح رضاه وحبه وقرة العين
بقربه والفوز بجواره والنظر الى وجهه في زمرة اوليائه الى اضعاف اضعافات ذلك من كرامة
اهل الطاعة واضعاف اضعاف ذلك من عقوبة اهل المعصية فاي عقل لمن آثر لذة ساعة
او يوم او دهر ثم تنقضي كانها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة الدنيا
والآخرة ولولا العقل الذي تقوم عليه به الحجة لكان بمنزلة المجانين بل قد يكون المجانين احسن حالاً منه واسلم (حالاً)
عاقبة فهذا من هذا الوجه واما تاثيرها في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا (بهذا)
النقصان لظهر لمطيعنا نقصان عقل عاصينا ولكن الجائحة عامة والجنون فنون ويا عجبا
لو صحت العقول لعلمت ان الطريق الذي يحصل به اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش (طريق تحصيل)
انما هو في رضا من النعيم كله في رضاه والالم والعذاب كله في سخطه وغضبه ففي رضاه قرة العيون
وسرور النفوس وحياة القلوب ولذة الارواح وطيب الحياة ولذة العيش واطيب
النعيم مما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم تف به بل اذا حصل للقلب من ذلك ٦٢
اليسير نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضاً منه ومع هذا فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا اعظم
من تنعم المترفين فيها ولا يشوب تنعمه بذلك الحظ اليسير ما يشوب تنعم المترفين من الهموم
والغموم والاحزان والمعارضات بل قد حصل له على النعيمين وهو ينتظر نعيمين آخرين
اعظم منهما وما يحصل له في خلال ذلك من الآلام فالامر كما قال سبحانه ان تكونوا تألمون (والأمر)
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فلا اله الا الله ما انقص عقل من
باع الدر بالبعر والمسك بالرجيع ومرافقة الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيراً

فصل

ومن اعظم عقوباتها انها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى واذا وقعت
القطيعة انقطعت عنه اسباب الخير واتصلت به اسباب الشر فاي فلاح واي
رجاء واي عيش لمن انقطعت عنه اسباب الخير وقطع ما بينه وبين وليه ومولاه الذي

لا غنى له عنه طرفة عين ولا بدل له منه ولا عوض له عنه واتصلت به اسباب الشر ووصل
ما بينه وبين اعداء عدوه فتولاه عدوه وتخلى عنه وليه فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال
من انواع الآلام وانواع العذاب قال بعض السلف رأيت العبد ملقى بين الله سبحانه
وبين الشيطان فان اعرض الله عنه تولاه الشيطان وان تولاه الله لم يقدر عليه
الشيطان وقد قال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا يقول سبحانه لعباده انا اكرمت اباكم ورفعت قدره وفضلته على غيره فامرت
ملائكتي كلهم ان يسجدوا له تكريما وتشريفا فاطاعوني وابى عدوي وعدوه فعصى امري وخرج
عن طاعتي فكيف يحسن بكم بعد هذا ان تتخذونه وذريته اولياء من دوني فتطيعونه في
معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي وهم اعدى عدو لكم فواليتم عدوي وقد امرتكم بمعاداته
ومن والى اعداء الملك كان هو واعداؤه عنده سواء فان المحبة والطاعة لا تتم الا بمعاداة
اعداء المطاع وموالاة اوليائه واما ان توالي اعداء الملك ثم تدعي انك موال له فهذا ٦٣
محال هذا ولو لم يكن عدو الملك عدوا لكم فكيف اذا كان عدوكم على الحقيقة والعداوة التي بينكم وبينه اعظم
من العداوة التي بين الشاة وبين الذئب فكيف يليق بالعاقل ان يوالي عدوه وعدو
وليه ومولاه الذي لا مولى له سواه ونبه سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله وهم لكم عدو
كما نبه على قبحها بقوله تعالى ففسق عن امر ربه فتبين ان عداوته لربه وعداوته لنا كل
منهما سبب يدعو الى معاداته فما هذه الموالاة وما هذا الاستبدال بئس للظالمين بدلا
ويشبه ان يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيفا عجيبا وهو اني عاديت
ابليس اذ لم يسجد لابيكم آدم مع ملائكتي فكانت معاداته لاجلكم ثم كان عاقبة هذه المعاداة
ان عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة

فصل

ومن عقوباتها انها تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة انها تمحق بركة الدين
والدنيا فلا تجد اقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله وما محقت البركة من الارض

الا بمعاصي الخلق قال الله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث ان روح القدس نفث
في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب فانه لا ينال
ما عند الله الا بطاعته وان الله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم الفرح
والحزن في الشك والسخط وقد تقدم الاثر الذي ذكره احمد في كتاب الزهد انا الله اذا
رضيت باركت وليس لبركتي منتهى واذا غضبت لعنت ولعنتي تدرك السابع انتهى
من الولد وليست سعة الرزق والعمل بكثرته ولا طول العمر بكثرة الشهور والاعوام ولكن
سعة الرزق والعمر بالبركة فيه وقد تقدم ان عمر العبد هو مدة حياته ولا حيوة لمن اعرض عن
الله واشتغل بغيره بل حيوة البهائم خير من حياته فان حيوة الانسان بحيوة قلبه وروحه
ولا حيوة لقلبه الا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والانابة اليه والطمانينة بذكره والانس
بقربه ومن فقد هذه الحيوة فقد الخير كله ولو تعوض عنها بما تعوض في الدنيا بل ليست الدنيا باجمعها عوضا عن هذه الحيوة فلحم ٦٤
فمن كل شيء يفوت العبد عوض واذا فاته الله لم يعوض عنه شيء البتة وكيف يعوض الفقير بالذات عن الغني بالذات فكيف
والعاجز بالذات عن القادر بالذات والميت عن الحي الذي لا يموت والمخلوق عن الخالق
ومن لا وجود له فلا شيء له من ذاته البتة عمن غناه وحياته وكماله ووجوده ورحمته من لوازم
ذاته وكيف يعوض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات والارض وانما كانت التمر
معصية الله سببا لمحق بركة الرزق والاجل لان الشيطان موكل بها وباصحابها فسلطانه
عليهم دعوته على هذا الديوان واهله واصحابه وكل شيء يتصل به الشيطان ويقارنه ولقد يقاربه
فبركته ممحوقة ولهذا شرع ذكر اسم الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب والجماع
لما في مقارنة اسم الله من البركة وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة ولا معارض لها
وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة فان الرب هو الذي يبارك وحده والبركة كلها
منه وكل ما نسب اليه مبارك فكلامه مبارك ورسوله مبارك وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك وبيته
الحرام مبارك وكنانته من ارضه وهي الشام ارض البركة وصفها بالبركة في ست آيات

من كتابه فلا تبارك الا هو وحده ولا مبارك الا ما نسب اليه اعني الى محبته والوهيته
ورضاه والا فالكون كله منسوب الى ربوبيته وخلقه وكلما باعده من نفسه من الاعيان والاقوال والاعمال
فلا بركة فيه ولا خير فيه وكلما كان منه قريبا من ذلك ففيه من البركة على قدر قربه منه وضد
البركة اللعنة فارض لعنها الله او شخص لعنه الله او عمل لعنه الله ابعد شيء من الخير والبركة وكل ما
اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة وقد لعن عدوه ابليس
وجعله ابعد خلقه منه فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به
فمن ههنا كان للمعاصي اعظم تاثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل فكل وقت عصيت الله
فيه او مال عصي الله به او بدن او جاه او علم او عمل فهو على صاحبه ليس له فليس له من
عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله الا ما اطاع الله به ولهذا من الناس من يعيش في
هذه الدار مائة سنة او نحوها ويكون عمره لا يبلغ عشرين سنة او نحوها كما ان منهم
من يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ الف
درهم او نحوها وهكذا الجاه والعلم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ٦٥
ملعون ما فيها الا ذكر الله عز وجل وما والاه او عالم ومتعلم وفي اثر آخر الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما كان لله فهذا هو الذي فيه البركة خاصة والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تجعل صاحبها من السفلة بعد ان كان مهيأ لان يكون من العلية
فان الله خلق خلقه قسمين علية وسفلة وجعل عليين مستقر العلية واسفل سافلين
مستقر السفلة وجعل اهل طاعته الاعلين في الدنيا والآخرة واهل معصيته الاسفلين
في الدنيا والآخرة كما جعل اهل طاعته اكرم خلقه عليه واهل معصيته اهون
خلقه عليه وجعل العزة لهؤلاء والذلة والصغار لهؤلاء كما في مسند احمد من حديث
عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جعلت الذلة والصغار على من
خالف امري وكلما عمل العبد معصية نزل الى اسفل درجة ولا يزال في نزول
حتى يكون من الاسفلين وكلما عمل طاعة ارتفع بها درجة ولا يزال في ارتفاع

مبارك نسخة يعني
فلا يكون عن
نسخة

حتى يكون من الاعليين وقد يجتمع للعبد في ايام حياته الصعود من وجه والنزول
من وجه وايهما كان اغلب عليه كان من اهله فليس من صعد مائة درجة ونزل درجة
واحدة كمن كان بالعكس ولكن يعرض ههنا للنفوس غلط عظيم وهو ان العبد قد ينزل نزولا
بعيدا ابعد مما بين المشرق والمغرب ومما بين السماء والارض فلا يفي بصعوده الف درجة بصعوده
بهذا النزول الواحد كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد
ليتكلم بالكلمة الواحدة ولا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد مما بين المشرق والمغرب
فاي صعود يوازن هذه النزلة والنزول امر لازم للانسان ولكن من الناس يوازي
من يكون نزوله الى غفلة فهذا متى استيقظ من غفلته عاد الى درجته او الى ارفع
منها بحسب يقظته ومنهم من يكون نزوله الى مباح لا ينوي به الاستعانة على
الطاعة فهذا اذا رجع الى الطاعة قد يعود الى درجته وقد لا يصل اليها وقد يرتفع عنها متى فقد
فانه قد يعود اعلى همة مما كان وقد يكون اضعف همة وقد تعود همته كما كانت ومنهم ۴۴۹
من يكون نزوله الى معصية اما صغيرة او كبيرة فهذا يحتاج في عوده الى درجته الى توبة
نصوح وانابة صادقة واختلف الناس هل يعود بعد التوبة الى درجته التي كان فيها
بناء على ان التوبة تمحو اثر الذنب وتجعل وجوده كعدمه فكانه لم يكن او لا يعود بناء على تمحو
ان التوبة تأثيرها في اسقاط العقوبة واما الدرجة التي فاتته فانه لا يصل اليها قالوا وتقرير على
ذلك انه كان مستعدا باشتغاله بالطاعة في الزمن الذي عصى فيه لصعود اخر
وارتفاع بجملة اعماله السابقة بمنزلة كسب الرجل كل يوم بجملة ماله الذي يملكه وكلما
تضاعف المال تضاعف الربح فقد راح عليه في زمن المعصية ارتفاع وربح تراخ
بجملة اعماله فاذا استأنف العمل استأنف صعودا من نزول وكان قبل ذلك
صاعدا من اسفل الى اعلى وبينهما بون عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان مرتقيان
في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما الى اسفل ولو درجة واحدة ثم استأنف
الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام ابن تيمية بين الطائفتين حكما
مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود الى ارفع من درجته ومنهم من يعود الى

مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته ومنهم من يعود الى درجته قلت وهذا بحسب قدر
التوبة وكمالها وما احدثت المعصية للعبد من الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف
من الله والبكاء من خشية الله وقد تقوى هذه الامور حتى يعود التائب الى ارفع من درجته
ويصير بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فانها نفت عنه
داء العجب وخلصته من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خده ضراعة وذله وانكساره على عتبة
باب سيده ومولاه وعرفته قدره واشهدته فقره وضرورته الى حفظ سيده له والى
عفوه عنه ومغفرته له واخرجت من قلبه صولة الطاعة وكسرت انفه من ان يشمخ بها او يتكبر
بها او يرى نفسه بها خيرا من غيره واوقفته بين يدي ربه موقف الخطائين المذنبين ناكس
الرأس بين يدي ربه مستحيا خائفا منه وجلا محتقرا الطاعة مستعظما للمعصية عرف نفسه
بالنقص والذم وربه متفردا بالكمال والحمد والوفاء كما قيل ۵ استأثر الله بالوفاء وبالحمد
وولى الملامة الرجلا ؞

٦٧

فصل

فاي نعمة وصلت من الله اليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه دونها ولم يرها اهلا لها
واي نقمة او بلية وصلت اليه رأى نفسه اهلا لما هو اكبر منها ورأى مولاه قد احسن اليه
اذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره ولا ادنى جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحمله
الجبال الراسيات فضلا عن هذا العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان
مقابلة العظيم الذي لا شيء اعظم منه الكبير الذي لا شيء اكبر منه الجليل الذي لا اجل منه
ولا اجمل المنعم بجميع انواع النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور وافظعها واشنعها فان
مقابلة العظماء والاجلاء وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه كل احد مؤمن وكافر
وارذل الناس واسقطهم مروءة من قابلهم بالرذائل فكيف بعظيم السموات والارض وملك
السموات والارض واله اهل السموات والارض ولولا ان رحمته سبقت غضبه ومغفرته
سبقت عقوبته والا لتزلزلت الارض بمن قابله بما لا يليق مقابلته به ولولا حلمه ومغفرته
لزالت السموات والارض من معاصي العباد قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض

إن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا فتأمل ختم هذه الآية
باسمين من أسمائه وهما الحليم والغفور كيف تجد تحت ذلك أنه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته
للعصاة لما استقرت السموات والأرض وقد أخبر سبحانه عن كفر بعض عباده أنه تكاد السموات — بعض كفر
يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا وقد أخرج الله سبحانه الأبوين من الجنة
بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه ولعن إبليس وطرده وأخرجه من ملكوت السموات بذنب — السماء
واحد ارتكبه وخالف فيه أمره ونحن معاشر الحمقى كما قيل ؎ نصل الذنوب إلى الذنوب ونرتجي — نصل ترتجي
درك الجنان لذي النعيم الخالد ٭ ولقد علمنا أخرج الأبوين من ٭ ملكوتها الأعلى بذنب واحد ٭ والمقصود — درج
أن العبد قد يكون بعد التوبة خيرا مما كان قبل الخطيئة وأرفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته
وتوهن عزمه وتمرض قلبه فلا يقوى دواء التوبة على إعادته إلى الصحة الأولى فلا يعود إلى درجته — صحته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت ويعود إلى مثل عمله فيعود إلى درجته هذا كله
إذا كان نزوله إلى معصية فإن كان نزوله إلى أمر يقدح في أصل إيمانه مثل الشكوك
والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود إلا بتجديد إسلامه من رأسه ٭ — ٦٨

فصل

ومن عقوباتها أنها تجرئ على العبد ما لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات فتجترئ عليه
الشياطين بالأذى والإغواء والوسوسة والتخويف والتحزين وإنسائه ما به مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجترئ
عليه الشياطين حتى تؤزه إلى معصية الله أزا وتجترئ عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه
من الأذى في غيبته وحضوره وتجترئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم — أذاه
قال بعض السلف إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق امرأتي ودابتي وكذلك
تجترئ عليه أولياء الأمر بالعقوبة التي إن عدلوا فيها أقاموا عليه الحدود وتجترئ عليه نفسه — حدود الله
فتتأسد عليه وتصعب عليه فلو أرادها لخير لم تطاوعه ولم تنقد له وتسوقه إلى ما فيه هلاكه شاء أم أبى
وذلك لأن الطاعة حصن الرب تبارك وتعالى الذي من دخله كان من الآمنين فإذا
فارق الحصن اجترأ عليه قطاع الطريق وغيرهم وعلى حسب اجترائه على معاصي الله
يكون اجتراء هذه الآفات والنفوس عليه وليس شيء يرد عنه فإن ذكر الله وطاعته والصدقة

وارشاد الجاهل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التى ترد
المرض وتقاومه فاذا سقطت القوة غلب وارد المرض وكان الهلاك ولا بد للعبد من شئ
يرد عنه فان موجب السيئات والحسنات تتدافع ويكون الحكم للغالب كما تقدم وكلما
قوى جانب الحسنات كان الرد اقوى كما تقدم فان الله يدافع عن الذين آمنوا والايمان
قول وعمل فبحسب قوة الايمان ان تكون قوة الدفع والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها انها تخون العبد احوج ما يكون الى نفسه فان كل احد محتاج الى معرفة ما ينفعه
وما يضره فى معاشه ومعاده واعلم الناس اعرفهم بذلك على التفصيل واقواهم واكيسهم من قوى على
نفسه وارادته فاستعملها فيما ينفعه وكفها عما يضره وفى ذلك تفاوت معارف الناس وهممهم
ومنازلهم فاعرفهم من كان عارفا باسباب السعادة والشقاوة وارشدهم من اثر هذه على هذه
كما ان اسفههم من عكس الامر والمعاصى تخون العبد احوج ما كان الى نفسه فى تحصيل هذا العلم
٦٩ وايثار الحظ الاشرف العالى الدائم على الحظ الخسيس الادنى المنقطع فتحجبه الذنوب عن كمال
هذا العلم وعن الاشتغال بما هو اولى به وانفع له فى الدارين فاذا وقع فى مكروه واحتاج
الى التخلص منه خانه قلبه ونفسه وجوارحه وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشيه الصدأ ولزم
قرابه بحيث لا ينجذب مع صاحبه اذا جذبه فعرض له عدو يريد قتله فوضع يده على قائم سيفه
واجتهد ليخرجه فلم يخرج معه فدهمه العدو وظفر به كذلك القلب يصدأ بالذنوب ويصير مثخنا بالمرض
فاذا احتاج الى محاربة العدو لم يجد معه منه شيئا والعبد انما يحارب ويصاول ويقدم بقلبه
والجوارح تبع للقلب فاذا لم يكن عند ملكها قوة يدفع بها فما الظن بها وكذلك النفس فانها
تخبث بالشهوات والمعاصى وتضعف اعنى النفس المطمئنة وان كانت الامارة تقوى
وتتاسد وكلما قويت هذه ضعفت هذه فيبقى الحكم والتصرف للامارة وربما ماتت نفسه
المطمئنة موتا لا يرجى معه حيوة فهذا ميت فى الدنيا ميت فى البرزخ غير حى فى
الآخرة حيوة ينتفع بها بل حياته حيوة يدرك بها الالم فقط والمقصود ان العبد اذا وقع فى
شدة او كربة او بلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو انفع شئ له فلا ينجذب قلبه

للتوكل على الله تعالى والانابة اليه والجمعية عليه والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه والا يطاوعه لسانه ذكره
وان ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه فلا يحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر فيه الذكر ولا يحبس
اللسان والقلب على المذكور بل ان ذكر او دعا ذكر بقلب غافل لاه ساه ولو اراد من جوارحه ان
تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له ولم تطاوعه وهذا كله اثر الذنوب والمعاصي كمن له جند
يدفع عنه الاعداء فاهمل جنده وضيعهم واضعفهم وقطع اخبارهم ثم اراد منهم عند هجوم العدو — يدفعون
عليه ان يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة هذا وثم امر اخوف من ذلك وادهى
وامر وهو ان يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال الى الله تعالى فربما تعذر عليه — اشد
النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين اصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم قل
لا اله الا الله فقال آه آه لا استطيع ان اقولها وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال شاه رخ
غلبتك ثم قضى وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال شعر يا رب قائلة يوما وقد تعبت * — تملكت
اين الطريق الى حمام منجاب * ثم قضى وقيل لآخر ذلك قل لا اله الا الله فجعل يهذي بالغناء ويقول تاتا — كيف
تنتنا فقال وما ينفعني ما تقول ولم ادع معصية الا ركبتها ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال وما
يغني عني وما اعلم اني صليت لله تعالى صلاة ثم قضى ولم يقلها وقيل لآخر ذلك فقال هو كافر بما تقول وقضى وقيل
لآخر ذلك فقال كلما اردت ان اقولها فلساني يمسك عنها واخبرني من حضر بعض
الشحاذين عند موته فجعل يقول لله فليس لله فليس حتى قضى واخبرني بعض التجار
عن قرابة له انه احتضر وهو عنده فجعلوا يلقنونه لا اله الا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة
هذا مشترى جيد هذه كذا حتى قضى فسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا والذي يخفى
عليهم من احوال المحتضرين اعظم واعظم واذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته
وكمال ادراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريده من المعاصي وقد اغفل قلبه — فيما يعصى الله
عن ذكر الله تعالى وعطل لسانه من ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند — عن
سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من الم النزع وجمع الشيطان له كل
قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فان ذلك آخر العمل فاقوى ما يكون
عليه شيطانه ذلك الوقت واضعف ما يكون هو في تلك الحالة فمن ترى يسلم على ذلك

فهناك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء فكيف يوفق لحسن الخاتمة من اغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا فبعيد من قلب بعيد من الله تعالى غافل عنه متعبد لهواه مصير لشهواته ولسانه يابس من ذكره وجوارحه معطلة من طاعته مشتغلة بمعصيته ان يوفق لحسن الخاتمة ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين وكان المسيئين الظالمين قد اخذوا توقيعا بالامان ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم

يا آمنا من قبيح الفعل يصنعه ✣ هل اتاك توقيع امن انت تملكه ✣
جمعت شيئين امنا واتباع هوى ✣ هذا واحدهما في المرء تهلكه ✣
والمحسنون على درب المخاوف قد ✣ ساروا وذلك درب لست تسلكه ✣
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه ✣ فكيف عند حصاد الناس تدركه ✣
هذا واعجب شيء منك زهدك في ✣ دار البقاء بعيش سوف تتركه ✣
من السفيه اذا بالله انت ام المغبون في البيع غبنا سوف تدركه ✣

اسير عن
لخاتمة بالحسنى قلوب
نبك
اے

فصل

ومن عقوباتها انها تعمي القلب فان لم تعمه اضعفت بصيرته ولا بد وقد تقدم بيان انها تضعفه ولا بد فاذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى وقوته على تنفيذه في نفسه وفي غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته فان كمال الانسان مداره على اصلين معرفة الحق من الباطل وايثاره عليه وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالى في الدنيا والآخرة الا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الامرين وهما اللذان اثنى الله بهما سبحانه على انبيائه عليهم الصلوٰة والسلام في قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحٰق ويعقوب اولي الايدي والابصار فالايدي القوة في تنفيذ الحق والابصار البصائر في الدين فوصفهم بكمال ادراك الحق وكمال تنفيذه وانقسم الناس في هذا المقام اربعة اقسام فهؤلاء اشرف الاقسام من الخلق واكرمهم على الله تعالى القسم الثاني عكس هؤلاء من لا بصيرة له في الدين ولا قوة على تنفيذ الحق وهم اكثر هذا الخلق الذين رؤيتهم قذى للعيون وحمى الارواح وسقم القلوب يضيقون الديار ويغلون الاسعار ولا يستفاد من صحبتهم الا العار

والشنار القسم الثالث من له بصيرة في الهدى ومعرفة به لكنه ضعيف لا قوة على تنفيذه بالحق
ولا الدعوة اليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن القوي خير واحب الى الله منه
القسم الرابع من له قوة وهمة وعزيمة لكنه ضعيف البصيرة في الدين لا يكاد يميز بين اولياء
الرحمن من اولياء الشيطان بل يحسب كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة يحسب الورم
شحما والدواء النافع سما وليس في هؤلاء من يصلح للامامة في الدين ولا هو موضعا لها
سوى القسم الاول قال الله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون فاخبر سبحانه ان بالصبر واليقين نالوا الامامة في الدين فهؤلاء هم الذين استثناهم
الله سبحانه من جملة الخاسرين واقسم بالعصر الذي هو زمن سعي الخاسرين والرابحين
على ان من عداهم فهو من الخاسرين فقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلم يكتف منهم بمعرفة
الحق والصبر عليه حتى يوصي بعضهم بعضا ويرشده اليه ويحثه عليه فاذا كان من عدا
۷۲ هؤلاء فهو من الخاسرين فمعلوم ان المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك
الحق كما ينبغي وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه بل قد تتوارد على القلب حتى
ينعكس ادراكه كما ينعكس سيره فيدرك الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا
والمنكر معروفا فينتكس في سيره ويرجع عن سفره الى الله والدار الآخرة فيرجع
الى سفره الى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحيوة الدنيا
واطمأنت بها وغفلت عن الله وآياته وتركت الاستعداد للقائه ولو لم يكن في
عقوبة الذنوب الا هذه وحدها لكانت كافية داعية الى تركها والبعد منها والله المستعان
وهذا كما ان الطاعة تنور القلب وتجلوه وتصقله وتقويه وتثبته حتى يصير كالمرآة المجلوة
في جلائها وصفائها فيمتلئ نورا فاذا دنى الشيطان منه اصابه من نوره ما يصيب مسترق
السمع من الشهب الثواقب فالشيطان يفرق من هذا القلب اشد من فرق
الذئب من الاسد حتى ان صاحبه ليصرع الشيطان فيخر صريعا فيجتمع عليه
الشياطين فيقول بعضهم لبعض ما شأنه فيقال اصابه انسي وبه نظرة من الانس

فيا نظرة من قلب حر منور ٭ يكاد لها الشيطان بالنور يحرق ٭ افيستوي هذا القلب بهاشا
وقلب مظلم ارجاؤه مختلفة اهواؤه قد اتخذه الشيطان وطنه واعده مسكنه اذا تصبح بطلعته
حيّاه وقال فديت من لا يفلح في دنياه ولا في اخراه ؎ انا قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها
فانت قرين لي بكل مكان ٭ فان كنت في دار الشقاء فانني ٭ وانت جميعا في شقاء وهوان ٭ وانت
قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون فاخبر سبحانه ان من عشي واخبر
عن ذكره وهو كتابه الذي انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وبارك فيه فاعرض عنه انزله
وعمي عنه وعشت بصيرته عن فهمه وتدبره ومعرفة مراد الله منه قيض الله له شيطانا عقوبة
له في اعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه لا في الاقامة ولا في المسير ومولاه وعشيره الذي باعراضه
هو بئس المولى وبئس العشير ؎ رضيعي لبان ثدي ام تقاسما ٭ باسحم داج عوض لا نتفرق ٭
ثم اخبر سبحانه ان الشيطان ليصد قرينه ووليه عن سبيله الموصل اليه والى جنته ويحسب ثم
هذا الضال المضل المصدود انه على طريق هدى حتى اذا جاء القرينان يوم القيامة يقول قال
احدهما للآخر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كنت لي في الدنيا اضللتني
عن الهدى بعد اذ جاءني وصددتني عن الحق واغويتني حتى هلكت وبئس القرين انت
لي اليوم ولما كان المصاب اذا شاركه غيره في مصيبته حصل بالتأسي نوع تخفيف تخفيف
وتسلية اخبر الله سبحانه ان هذا غير موجود وغير حاصل في حق المشتركين في العذاب
وان القرين لا يجد راحة ولا ادنى فرح بعذاب قرينه معه وان كانت المصائب
في الدنيا اذا عمت صارت مسلاة كما قالت الخنساء في اخيها صخر ؎ ولولا كثرة
الباكين حولي ٭ على اخوانهم لقتلت نفسي ٭ وما يبكون مثل اخي ولكن ٭ اعزي النفس
عنه بالتأسي ٭ الا يا صخر لا انساك حتى ٭ افارق عيشتي ووردو رمسي ٭ فمنع الله
سبحانه هذا القدر من الراحة على اهل النار فقال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في فمن
العذاب مشتركون ٭

فصل

ومن عقوبتها انها مددٌ من الانسان يمدّ به عدوه عليه وجيش يقويه به على حربه وذلك ان الله
الله سبحانه ابتلى هذا الانسان بعدو لا يفارقه طرفة عين صاحبا ينام ولا ينام عنه ويغفل ولا يغفل
عنه يراه هو وقبيله من حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته بكل حال ولا يدع امراً يكيده به
يقدر على ايصاله اليه الا اوصله ويستعين عليه ببني جنسه من شياطين الانس وغيرهم من
شياطين الجن وقد نصب له الحبائل وبغى له الغوائل ومد حوله الاشراك ونصب له
الفخاخ والشباك وقال لاعوانه دونكم عدوكم وعدو ابيكم لا يفوتنكم ولا يكون حظه الجنة وحظكم
النار ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة وقد علمتم انما جرى علي وعليكم من الخزي واللعن والابعاد
من رحمة الله بسببه ومن اجله فابذلوا جهدكم ان يكونوا شركاءنا في هذه البلية اذ قد فاتنا شركة
صالحيهم في الجنة ولما علم سبحانه ان آدم وبنيه قد بلوا بهذا العدو وسلطوا عليهم امدهم بعساكر وجند
يلقون بها اعدوهم وامد عدوهم ايضاً بجند وعساكر يلقاهم به واقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر
التي هي بالاضافة الى الآخرة كنفس واحد من انفاسها واشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون واخبر ان ذلك وعد
مؤكد عليه في اشرف كتبه وهي التوراة والانجيل والقرآن ثم اخبر انه لا اوفى بعهده منه سبحانه
ثم امرهم ان يستبشروا بهذه الصفقة التي من اراد ان يعرف قدرها فلينظر الى المشتري
من هو والى الثمن المبذول في هذه السلعة والى من جرى على يديه هذا العقد فاي فوز اعظم
من هذا واي تجارة اربح منه ثم اكد سبحانه معهم هذا الامر بقوله يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبده المؤمن الذي هو احب المخلوقات اليه الا
لان الجهاد احب شيء اليه واهله ارفع الخلق عنده درجات واقربهم اليه وسيلة فعقد سبحانه
لواء هذا الحرب لخلاصة مخلوقاته وهو القلب الذي هو محل معرفته ومحبته وعبوديته والاخلاص له

استعان ابليس
بغاه
ان ما
تسببه
٣٧
يده

والتوكل عليه والانابة اليه فولاه امر هذا الحرب وايده بجند من الملائكة لا يفارقونه له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعقب بعضهم بعضا كلما جاء جند وذهب [وذهب بدل]
جاء بدل آخر يثبتونه ويأمرونه بالخير ويحضونه عليه ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه ويقولون
انما هو صبر ساعة وقد استرحت راحة الابد ثم امده سبحانه بجند آخر من وحيه وكلامه فارسل اليه [امده]
رسوله صلى الله عليه وسلم وانزل اليه كتابه فازداد قوة الى قوته ومددا الى مدده وعدة
الى عدته وامده مع ذلك بالعقل وزيرا له ومدبرا وبالمعرفة مشيرة عليه ناصحة له وبالايمان
مثبتا له ومؤيدا وناصرا وباليقين كاشفا له عن حقيقة الامر حتى كانه يعاين ما وعد الله تعالى
اولياءه وحزبه على جهاد اعدائه فالعقل يدبر امر جيشه والمعرفة تصنع له امور الحرب واسبابها [تضع]
ومواضعها اللائقة بها والايمان يثبته ويقويه ويصبره واليقين يقدم به ويحمل به الحملات
الصادقة ثم امده سبحانه القائم بهذا الحرب بالقوى الظاهرة والباطنة فجعل العين طليعته
والاذن صاحب خبره واللسان ترجمانه واليدين والرجلين اعوانه واقام ملائكته وحملة
عرشه يستغفرون له ويسألون له ان يقيه السيئات ويدخله الجنات وتولى سبحانه [٧٥]
الدفع والدفاع عنه بنفسه وقال هؤلاء حزب الله وحزب الله هم المفلحون وهؤلاء جنده [حزبي جندي]
وان جندنا لهم الغالبون وعلم عباده كيفية هذا الحرب والجهاد فجمعها لهم في اربع كلمات
فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ولا يتم امر
هذا الجهاد الا بهذه الامور الاربعة فلا يتم الصبر الا بمصابرة العدو وهو مقاومته ومنازلته فاذا
صابر عدوه احتاج الى امر آخر وهي المرابطة وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه
العدو ولزوم ثغر العين والاذن واللسان والبطن واليد والرجل فهذه الثغور يدخل
منه العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه فالمرابطة لزوم هذه الثغور ولا يخلي
مكانها فيصادف العدو والثغر خاليا فيدخل منها فهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الخلق بعد النبيين والمرسلين صلى الله عليهم وسلم اجمعين واعظم حماية
وحراسة من الشيطان الرجيم وقد اخلوا المكان الذي امروا بلزومه يوم احد فدخل منه العدو
فكان ما كان وجماع هذه الثلاثة وعمودها الذي تقوم به هو تقوى الله فلا ينفع الصبر

ولا المصابرة ولا المرابطة الا بالتقوى ولا تقوم التقوى الا على ساق الصبر فانظر الآن
فيك الى التقاء الجيشين واصطدام العسكرين وكيف تدال مرة ويدال عليك اخرى اصطفاف عند التحام
اقبل ملك الكفرة بجنوده وعساكره فوجد القلب في حصنه جالسا على كرسي مملكته امره
نافذ في اعوانه وجنده قد حصنوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن حوزته فلم يمكنهم الهجوم حفوا
عليه الا بمخامرة بعض امرائه وجنده عليه فسأل عن اخص الجند به واقربهم اليه منزلة
فقيل له هي النفس فقال لاعوانه ادخلوا عليها من مرادها وانظروا مواقع محبتها وما هو
محبوبها فعدوها به ومنوها اياه وانقشوا صورة المحبوب فيها في يقظتها ومنامها فاذا اطمأنت
اليه وسكنت عنده فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها ثم جروها بها اليكم فاذا
خامرت على القلب وصارت معكم عليه ملكتم ثغر العين والاذن واللسان والفم واليد
والرجل فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة فمتى دخلتم منها الى القلب فهو قتيل او اسير
او جريح مثخن بالجراحات ولا تخلوا هذه الثغور ولا تمكنوا سرية تدخل منها الى القلب
فتخرجكم منها وان غلبتم فاجتهدوا في اضعاف السرية ووهنها حتى لا تصل الى القلب ٧٦
فان وصلت اليه وصلت ضعيفة لا تغني عنه شيئا فاذا استوليتم على هذه الثغور
فامنعوا ثغر العين ان يكون نظره اعتبارا بل اجعلوا نظره تفرجا واستحسانا وتلهيا فان
استرق نظرة عبرة فافسدوها عليه بنظر الغفلة والاستحسان والشهوة فانه اقرب اليه
واعلق بنفسه واخف عليه ودونكم ثغر العين فان منه تنالون بغيتكم فاني ما افسدت
بني آدم بشيء مثل النظر فاني ابذر به في القلب بذر الشهوة ثم اسقيه بماء الامنية ثم لا ازال
اعده وامنيه حتى اقوي عزيمته واقوده بزمام الشهوة الى الانخلاع من العصمة فلا تهملوا فلا تغفلوا
امر هذا الثغر وافسدوه بحسب استطاعتكم وهونوا عليه امره وقولوا له مقدار نظرة تدعوك
الى تسبيح الخالق والرازق البديع والتأمل والتحمل صفته وحسن هذه الصورة التي
انما خلقت ليستدل بها الناظر عليه وما خلق الله لك العينين سدى وما خلق الله
هذه الصورة ليحجبها عن النظر وان ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل فقولوا له هذه الصورة الصورة
مظهر من مظاهر الحق ومجلى من مجاليه فادعوه الى القول بالاتحاد فان لم يقبل

فالقول بالحلول العام والخاص ولاتقنعوا منه بدون ذلك فانه يصير به من اخوان
النصارى فرده حينئذ بالعفة والصيانة والعبادة والزهد في الدنيا واصطادوا عليه
الجهال فهذا من اقرب خلفائي واكبر جندي بل انا من جنده واعوانه ❁❁

فصل

ثم امنعوا الغز الاذن ان يدخل عليه الفسد عليكم الامر فاجتهدوا ان لا تدخلوا منه الا الباطل فانه
خفيف على النفس تستحليه وتستملحه وتخيروا له اعذب الالفاظ واسحرها للالباب امزجوه بما
تهوى النفس مزجا والقوا الكلمة فان رأيتم منه اصغاء اليها فزيدوه باخواتها فكلما صادفتم النفوس
منه استحسان شيء فالهجوا بذكره واياكم ان يدخل من هذا الثغر شيء من كلام الله او كلام
رسوله صلى الله عليه وسلم او كلام النصحاء فان غلبتم على ذلك ودخل شيء من ذلك
فحولوا بينه وبين فهمه وتدبره والتفكر فيه والعظة به اما بادخال ضده عليه واما بتهويل ذلك
وتعظيمه وان هذا امر قد حيل بين النفوس وبينه فلا سبيل لها اليه وهو حمل ثقيل عليها
۷۷ لا تستقل به ونحو ذلك واما بارخاصه على النفوس وان الاشتغال ينبغي ان يكون بما هو
اعلى عند الناس واعز عليهم واغرب عندهم وزبونه اكثر واما الحق فهو مهجور والقائل به
معرض نفسه للعدوان والرابح بين الناس اولى بالايثار ونحو ذلك فيدخلون
الباطل عليه في كل قالب يقبله ويخف عليه ويخرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل
عليه واذا شئت ان تعرف ذلك فانظر الى اخوانهم من شياطين الانس كيف يخرجون
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب كثرة الفضول وتتبع عثرات الناس والتعرض
من البلاء ما لا يطيق والقاء الفتن بين الناس ونحو ذلك ويخرجون اتباع السنة ليتق
ووصف الرب تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في قالب
التشبيه والتجسيم والتكييف ويسمون علو الله على خلقه واستواءه على عرشه
ومباينته لمخلوقاته تحيزا ويسمون نزوله الى سماء الدنيا وقوله من يسألني فاعطيه تحركا وانتقالا ويسمون ما
وصف به نفسه من اليد والوجه اعضاء وجوارح ويسمون ما يقوم به من افعاله حوادث وما يقوم به من صفاته اعراضا ثم يتوصلون به
الى نفي ما وصف به نفسه بهذه الامور ويوهمون الاغمار وضعفاء البصائر ان اثبات الصفات التي نطق بها

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تستلزم هذه الامور ويخرجون هذا التعطيل في
قالب التنزيه والتعظيم واكثر الناس ضعفاء العقول يقبلون الشيء بلفظ ويردونه بعينه
بلفظ آخر قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا فسماه زخرفا وهو القول الباطل لان صاحبه يزخرفه
ويزينه ما استطاع ويلقيه الى سمع المغرور فيغتر به والمقصود ان الشيطان قد لزم ثغر
الاذن ان يدخل فيها ما يضر العبد ويمنع ان يدخل اليها ما ينفعه وان دخلها بغير اختياره افسده عليه

فصل

ثم يقول قوموا على ثغر اللسان فانه الثغر الاعظم وهو قبالة الملك فاجروا عليه من الكلام
ما يضره ولا ينفعه وامنعوه ان يجري عليه شيء مما ينفعه من ذكر الله واستغفاره وتلاوة كتابه
ونصيحة عباده او التكلم بالعلم النافع ويكون لكم في هذا الثغر امران عظيمان لا تبالون ثغر ان
بايهما ظفرتم احدهما التكلم بالباطل فانما المتكلم بالباطل اخ من اخوانكم ومن اكبر جندكم واعوانكم ۸۷
الثاني السكوت عن الحق فان الساكت عن الحق اخ لكم اخرس كما ان الاول اخ
لكم ناطق وربما كان الاخ الثاني انفع اخوانكم لكم اما سمعتم قول الناصح المتكلم بالباطل شيطان
ناطق والساكت عن الحق شيطان اخرس فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم
بحق او يمسك عن باطل وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق وخوفوه من التكلم بالحق
بكل طريق واعلموا يا بني ان ثغر اللسان هو الذي اهلك منه بنو آدم واكبهم منه على
مناخرهم في النار فكم لي من قتيل واسير وجريح اخذته من هذا الثغر واوصيكم بوصية
فاحفظوها لينطق احدكم على لسان اخيه من الانس بالكلمة ويكون الآخر على لسان السامع
فينطق باستحسانها وتعظيمها والتعجب منها ويطلب من اخيه اعادتها وكونوا اعوانا على
الانس بكل طريق وادخلوا عليهم من كل باب واقعدوا لهم كل مرصد اما سمعتم قسمي الذي
اقسمت به لربهم حيث قلت فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اما تروني
قد قعدت لابن آدم بطرقه كلها فلا يفوتني من طريق الا قعدت له من طريق غيره حتى اصبت

حاجتي او بعضها وقد حذرهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان الشيطان فقال
قد قعد لابن آدم بطرقه كلها فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتذر دينك ودين فقعد
آبائك فخالفه واسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فخالفه
وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد فتقتل ويقسم المال وتنكح الزوجة فخالفه وجاهد فقعد يقسم
فهكذا فاقعدوا لهم بكل طريق الخير فاذا اراد احدهم ان يتصدق فاقعدوا له على طريق الصدقة فقولوا له في
نفسه اتخرج المال وتبقى مثل هذا السائل وتصير بمنزلته انت وهو سواء او ما سمعتم ما القيته على لسان رجل سأله آخر ان القيت
يتصدق عليه قال هي اموالنا اذا اعطيناكموها صرنا مثلكم واقعدوا له بطريق الحج فقولوا له طريقه مخوفة مشقة ان
يتعرض سالكها لتلف النفس والمال وهكذا فاقعدوا له على سائر طرق الخير بالتنفير منها
وذكر صعوبتها وآفاتها ثم اقعدوا على المعاصي فحسنوها في عين بني آدم وزينوها في قلوبهم
واجعلوا اكبر اعوانكم على ذلك النساء فمن ابوابهن فادخلوا عليهم فنعم العون هن لكم ثم الزموا
ثغر اليدين والرجلين فامنعوها ان تبطش بما يضركم او تمشي فيه واعلموا ان اكبر اعوانكم على ٧٩
لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الامارة فاعينوها واستعينوا بها وامدوها واستمدوا منها
وكونوا معها على حرب النفس المطمئنة فاجتهدوا في كسرها وابطال قواها ولا سبيل الى
ذلك الا بقطع موادها عنها فاذا انقطعت موادها وقويت مواد النفس الامارة وطاعت
لكم اعوانها فاستنزلوا القلب من حصنه واعزلوه عن مملكته وولوا مكانه النفس فانها
لا تأمر الا بما تهوونه وتحبونه ولا تجيئكم بما تكرهونه البتة مع انها لا تخالفكم في شيء تشيرون به مما
عليها بل اذا اشرتم عليها بالشيء بادرت الى فعله فان احسستم من القلب منازعة الى
مملكته واردتم الامن من ذلك فاعقدوا بينه وبين النفس عقد النكاح فزينوها وجملوها
واروه اياها في احسن صورة عروس توجد وقولوا له ذق حلاوة طعم هذا الوصال والتمتع بهذه
العروس كما ذقت طعم الحرب وباشرت مرارة الطعن والضرب ثم وازن بين لذة
هذه المسالمة ومرارة تلك المحاربة فدع الحرب تضع اوزارها فليست بيوم وينقضي
وانما هو حرب متصل بالموت وقواك تضعف عن الحرب الدائم واستعينوا يا بني بجندين
عظيمين لن تغلبوا معهما احدهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني آدم عن الله تعالى

والدار الآخرة بكل طريق فليس لكم شيء ابلغ من تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب
اذا غفل عن الله تعالى تمكنتم منه ومن اعوانه والثاني جنود الشهوة فزينوها في قلوبهم
وحسنوها في اعينهم وصولوا عليهم بهذين العسكرين فليس لكم في بني آدم ابلغ منهما
واستعينوا على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات بالغفلة واقرنوا بين الغافلين ثم استعينوا
بهما على الذاكر ولا يغلب واحد خمسة فان مع الغافلين شياطين صاروا اربعة وشيطان
الذاكر معهم واذا رأيتم جماعة مجتمعين على ما يضركم من ذكر الله ومذاكرة امره ونهيه
ولم تقدروا على تفريقهم فاستعينوا عليهم ببني جنسهم من الانس البطالين فقربوهم منهم وشوشوا عليهم
بهم وبالجملة فاعدوا للامور اقرانها وادخلوا على كل واحد من بني آدم من باب ارادته
وشهوته فساعدوه عليها وكونوا له اعوانا على تحصيلها واذا كان الله قد امرهم ان يصبروا ان
لكم ويصابروكم ويرابطوا عليكم الثغور فاصبروا انتم وصابروا ورابطوا عليهم بالثغور
وانتهزوا فرصكم فيهم عند الشهوة والغضب فلا تصطادوا بني آدم في اعظم من هذين
الموطنين واعلموا ان منهم من يكون سلطان الشهوة عليه اغلب وسلطان غضبه ٨٠
ضعيف مقهور فخذوا عليه طريق الشهوة ودعوا طريق الغضب ومنهم من يكون سلطان
الغضب عليه اغلب فلا تخلوا طريق الشهوة عليه ولا تعطلوا ثغرها فان من لم يملك
نفسه عند الغضب فانه بالحري ان لا يملكها عند الشهوة فزوجوا بين غضبه وشهوته
وامزجوا احدهما بالآخر وادعوه الى الشهوة من باب الغضب والى الغضب من
طريق الشهوة واعلموا انه ليس لكم في بني آدم سلاح ابلغ من هذين السلاحين وانما
اخرجت ابويهم من الجنة بالشهوة وانما القيت العداوة بين اولادهم بالغضب فبه
قطعت ارحامهم وسفكت دماؤهم وبه قتل احد ابني آدم اخاه واعلموا ان الغضب
جمرة في قلب ابن آدم والشهوة نار تثور من قلبه وانما تطفى النار بالماء والصلوة
والذكر والتكبير واياكم ان تمكنوا ابن آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلوة فاياكم
فان ذلك يطفي عنهم نار الغضب والشهوة وقد امرهم نبيهم بذلك وقال ان
الغضب جمرة في قلب ابن آدم اما رأيتم من احمرار عينيه وانتفاخ اوداجه فمن

احسن ذلك فليتوضا وقال لهم انما تطفى النار بالماء وقد اوصاهم الله ان يستعينوا عليكم بالصبر والصلوة فحولوا بينهم وبين ذلك وانسوهم اياه واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب وابلغ اسلحتكم فيهم وانكاها الغفلة واتباع الهوى واعظم اسلحتهم فيكم وامنع حصونهم ذكر الله ومخالفة الهوى فاذا رايتم الرجل مخالفا لهواه فاهربوا من ظله ولا تدنوا منه والمقصود ان الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العبد اعداءه ويعينهم بها على نفسه فيقاتلونه بسلاحه والجاهل يكون معهم على نفسه وهذا غاية الجهل قال ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومن العجائب ان العبد يسعى بنفسه في هوان نفسه وهو يزعم انه لها مكرم ويجتهد في حرمانها اعلى حظوظها واشرفها وهو يزعم انه يسعى في حظها ويبذل جهده في تحقيرها وتصغيرها وتدسيتها وهو يزعم انه يسعى في صلاحها ويعليها ويرفعها ويكبرها وكان بعض السلف يقول في خطبته الا رب مهين لنفسه وهو يزعم انه لها مكرم ومذل لنفسه وهو يزعم انه لها معز ومصغر لنفسه وهو يزعم انه لها مكبر ومضيع لنفسه وهو يزعم انه مراع لحقها وكفى بالمرء جهلا ان يكون مع عدوه على نفسه يبلغ منها بفعله ما لا يبلغه عدوه والله المستعان ❊

فصل

ومن عقوباتها انها تنسي العبد نفسه فاذا نسي نفسه اهملها وافسدها واهلكها فان قيل كيف ينسى العبد نفسه واذا نسي نفسه فاي شيء يذكره وما معنى نسيانه نفسه قيل نعم ينسى نفسه اعظم نسيان قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فلما نسوا ربهم سبحانه نسيهم وانساهم انفسهم كما قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم فعاقب سبحانه من نسيه عقوبتين احداهما انه سبحانه نسيه والثانية انه انساه نفسه ونسيانه سبحانه للعبد اهماله وتركه وتخليه عنه واضاعته فالهلاك ادنى اليه من اليد للفم واما انساؤه نفسه فهو انساؤه لحظوظها العالية واسباب سعادتها وفلاحها واصلاحها وما يكملها ينسيه ذلك كله جميعه فلا يخطره بباله ولا يجعله على ذكره ولا يصرف اليه همته فيرغب فيه فانه لا يمر بباله حتى يقصده ويؤثره وايضا فينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها فلا يخطر بباله ازالتها واصلاحها وايضا فينسيه امراض نفسه وقلبه وآلامها فلا يخطر بقلبه مداواتها ولا السعي في ازالة عللها وامراضها التي تؤول بها الى الفساد والهلاك فهو مريض مثخن بالمرض ومرضه مترام به الى التلف ولا يشعر بمرضه ولا يخطر بباله مداواته وهذا من اعظم العقوبة للعامة والخاصة فاي عقوبة اعظم من عقوبة من اهمل نفسه وضيعها ونسي مصالحها وداءها ودواءها واسباب سعادتها وصلاحها وفلاحها وحياتها الابدية

في النعيم المقيم ومن تأمل هذا الموضع تبين له ان اكثر هذا الخلق قد نسوا انفسهم حقيقة وضيعوها
واضاعوا حظها من الله وباعوها رخيصة بثمن بخس بيع الغبن وانما يظهر لهم هذا عند الموت ويظهر
هذا كل الظهور يوم التغابن يوم يظهر للعبد انه غبن في العقد الذي عقده لنفسه في هذه الدار
والتجارة التي اتجر فيها لمعاده فان كل احد يتجر في هذه الدنيا لآخرته فالخاسرون الذين يعتقدون
انهم اهل الربح والكسب اشتروا الحيوة الدنيا وحظهم فيها فاذهبوا طيباتهم ولذاتهم بالآخرة وحظهم
فيها في حياتهم الدنيا وحظهم فيها ولذاتهم بالآخرة واستمتعوا بها ورضوا بها واطمأنوا اليها وكان سعيهم لتحصيلها
فباعوا واشتروا واتجروا وباعوا آجلا بعاجل ونسيئة بنقد وغائبا بناجز وقالوا هذا هو الحزم
ويقول احدهم خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به فكيف ابيع حاضر النقد اشياء هذا في هذه الدار
بغائب نسيئة في دار اخرى غير هذه وينضم الى ذلك ضعف الايمان وقوة داعي الشهوة ومحبة
العاجلة والتشبه ببني الجنس فاكثر الخلق في هذه التجارة الخاسرة التي قال الله في اهلها
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وقال فيهم فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاذا كان يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة فتتقطع
عليهم النفوس حسرات واما الرابحون فانهم باعوا فانيا بباق وخسيسا بنفيس وحقيرا بعظيم
وقالوا ما مقدار هذه الدنيا من اولها الى آخرها حتى نبيع حظنا من الله تعالى والدار الآخرة
بها فكيف بما يناله العبد منها في هذا الزمن القصير الذي هو في الحقيقة كغفوة حلم لا نسبة
له الى دار القرار البتة قال تعالى ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون
بينهم وقال تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك
منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال تعالى
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وقال تعالى كم لبثتم في
الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون وقال تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فهذه حقيقة
هذه الدنيا عند موافاة يوم القيمة فلما علموا قلة لبثهم فيها وان لهم دارا غير هذه الدار هي دار الحيوان ودار البقاء

الدار

ولذاتهم بالآخرة وحظهم فيها [illegible] في حياتهم الدنيا

الحزم

البقاء

رأوا أن أعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء فاتجروا التجارة الأكياس ولم يغتروا بتجارة السفهاء
من الناس فظهر لهم التغابن في تجارتهم ومقدار ما اشتروه وكل أحد في هذه الدنيا بائع مشتر
متجر وكل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة
والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم فهذا أول نقد من ثمن هذه التجارة فتاجروا أيها المفلسون ويا من لا يقدر
على هذا الثمن ههنا ثمن آخر فإن كنت من أهل هذه التجارة فأعط هذا الثمن
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون والمقصود أن الذنوب تنسي العبد حظه من هذه
۸۳ التجارة الرابحة وتشغله بالتجارة الخاسرة وكفى بذلك عقوبة والله المستعان

فصل

ومن عقوباتها أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل
فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته فإنما
عند الله لا ينال إلا بطاعته وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببا وآفة سببا يجلبه وآفة
نعمة تبطله فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته وآفاتها المانعة منها معصيته فإذا أراد حفظ
نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها
ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره وسماعا لما غاب عنه من أخبار
من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كأنه مستثنى من هذه الجملة
أو مخصوص من هذا العموم وكأن هذا أمر جار على الناس لا عليه وواصل إلى الخلق
لا إليه فأي جهل أبلغ من هذا وأي ظلم للنفس فوق هذا فالحكم لله العلي الكبير

فصل

ومن عقوباتها انها تباعد عن العبد وليه وانصح الخلق له وانفعهم له ومن سعادته في قربه
منه وهو الملك الموكل به وتدني منه عدوه واغش الخلق له واعظمهم ضررا له وهو الشيطان
فان العبد اذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية حتى انه يتباعد منه بالكذبة
الواحدة مسافة بعيدة وفي بعض الآثار اذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلا من نتن
ريحه فاذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو
اكبر من ذلك وافحش منه وقال بعض السلف اذا ركب الذكر عجت الارض الى الله وهربت
الملائكة الى ربها وشكت اليه عظم ما رأت وقال بعض السلف اذا اصبح ابن آدم ابتدره
الملك والشيطان فان ذكر الله وكبره وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه وان
افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان ولا يزال الملك يقرب من العبد
حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه
قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة واذا تولاه الملك تولاه انصح الخلق له وانفعهم وابرهم له فثبته وعلمه وقوى
جنانه وايده قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ويقول
الملك عند الموت لا تخف ولا تحزن وابشر بالذي يسرك ويثبته بالقول الثابت
احوج ما يكون اليه في الحيوة الدنيا وعند الموت وفي القبر عند المسألة فليس احد انفع
للعبد من صحبة الملك له وهو وليه في يقظته ومنامه وحياته وعند موته وفي قبره ومؤنسه
في وحشته وصاحبه في خلوته ومحدثه في سره ويحارب عنه عدوه ويدافع عنه ويعينه عليه
ويعده بالخير ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق كما جاء في الاثر الذي يروى
مرفوعا وموقوفا ان للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد
بالخير وتصديق بالوعد ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق واذا اشتد قرب
الملك من العبد تكلم على لسانه والقى على لسانه القول السديد واذا بعد منه وقرب
الشيطان من العبد تكلم على لسانه والقى على لسانه قول الزور والفحش حتى يرى الرجل

انفع انفعهم
اليه
مقدار بعده
۸۴
عليه قول الحق اشتد

يتكلم على لسانه الملك والرجل يتكلم على لسانه الشيطان وفي الحديث ان السكينة
تنطق على لسان عمر رضي الله عنه وكان احدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل الصالح
فيقول ما القاها على لسانك الا الملك ويسمع عندها فيقول ما القاها على
لسانك الا الشيطان فالملك يلقي في القلب الحق ويلقيه على اللسان والشيطان
يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللسان فمن عقوبة المعاصي انها تبعد من العبد
وليه الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته وتدني منه عدوه الذي شقاؤه وهلاكه
وفساده في قربه وموالاته حتى ان الملك لينافح عن العبد ويرد عنه اذا سفه عليه السفيه
وسبه كما اختصم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم رجلان فجعل احدهما يسب الآخر
وهو ساكت فتكلم بكلمة يردها على صاحبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله لما رددت عليه بعض قوله قمت فقال كان الملك ينافح عنك
فلما رددت عليه جاء الشيطان فلم اكن لاجلس واذا دعا العبد المسلم في ظهر الغيب
لاخيه امن الملك على دعائه فقال ولك بمثل ذلك واذا فرغ من قراءة الفاتحة امن
على دعائه فاذا اذنب العبد الموحد المتبع سبيله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
استغفر له حملة العرش ومن حوله واذا نام العبد المؤمن بات في شعاره ملك فملك
المؤمن يرد عنه ويحارب ويدافع عنه ويعلمه ويثبته ويشجعه فلا يليق به ان يسيء جواره ويبالغ
في اذاه وطرده عنه وابعاده فانه ضيفه وجاره واذا كان اكرام الضيف من الآدميين والاحسان
الى الجار من لوازم الايمان وموجباته فما الظن باكرام اكرم الاضياف وخير الجيران
وابرهم واذا اذى العبد الملك بانواع المعاصي والظلم والفواحش دعا عليه ربه
وقال لا جزاك الله خيرا كما يدعو له اذا اكرمه بالطاعة والاحسان قال بعض الصحابة
رضي الله عنهم ان معكم من لا يفارقكم فاستحيوا منهم واكرموهم ولا الام ممن لا يستحيي
من الكريم العظيم القادر ولا يكرمه ولا يوقره وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اي استحيوا من هؤلاء الحافظين
الكرام واكرموهم واجلوهم ان يروا منكم ما تستحيون ان يراكم عليه من هو مثلكم والملائكة

نسخة عندها
نسخة بظهر
٥٥ نسخة وقال بمثله
نسخة على وضوء
نسخة يطرده
نسخة بجله
نسخة من هو

تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم وإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه وإن كان قد يعمل مثل عمله فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين والله المستعان ؕ

فإن

فصل

ومن عقوباتها أنها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فإن الذنوب هي أمراض القلوب متى استحكمت قتلت ولا بد وكما أن البدن لا يكون صحيحا إلا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه أفسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته إلا بغذاء من الإيمان والأعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح ليستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة منه وحمية توجب له حفظ صحته وتجنب ما يضاده وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم يتناول هذه الأمور الثلثة فما فات منها فات من التقوى بقدره وإذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الأمور الثلثة فإنها تستجلب المواد المؤذية وتستوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر إلى بدن عليل قد تراكمت عليه الأخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه ولقد أحسن القائل ؎

جسمك بالحمية أحصنته ٭ مخافة من ألم طاريه

وكان أولى بك أن تحتمي ٭ من المعاصي خشية الباري ٭

فمن حفظ القوة بامتثال الأوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا والله المستعان

يستفرغ

متناول لهذه

٨٦

حصنته

النار

فصل

فإن لم تردعك هذه العقوبات ولم تجد لها تأثيرا في قلبك فأحضر العقوبات الشرعية التي شرعها الله ورسوله على الجرائم كما قطع السارق في ثلثة دراهم وقطع اليد والرجل على قطع الطريق على معصوم المال والنفس وشق الجلد بالسوط على كلمة قذف المحصن أو قطرة خمر يدخلها جوفه وقتل بالحجارة أشنع قتلة في إيلاج الحشفة في فرج حرام وخفف هذه العقوبة عمن لم تتم عليه نعمة الإحصان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبلده إلى بلد الغربة وفرق بين رأس العبد وبدنه إذا وقع على ذات محرم أو ترك الصلوة

المفروضة او تكلم بكلمة كفر وامر بقتل من وطئ ذكرا مثله وقتل المفعول به وامر بقتل من اتى
بهيمة وقتل البهيمة معه وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلوة في الجماعة وغير
ذلك من العقوبات التي رتبها الله على الجرائم وجعلها بحكمته على حسب الدواعي
الى تلك الجرائم وحسب الوازع عنها فما كان الوازع عنها طبيعيا وليس في الطباع داعيا اليه اكتفاء بالتحريم مع
التعزير ولم يرتب عليه حدا كاكل الرجيع وشرب الدم واكل الميتة وما كان في الطباع
داعيا اليه رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر داعي الطبع اليه ولهذا لما كان
داعي الطباع الى الزنا من اقوى الدواعي كانت عقوبته العظمى من اشنع القتلات
واعظمها وعقوبته السهلة اعلى انواع الجلد مع زيادة التعذيب ولما كان اللواطة فيها الامران
كان حده القتل بكل حال ولما كان داعي السرقة قويا ومفسدتها كذلك قطع فيها اليد
وتامل حكمته في افساد العضو الذي باشر به الجناية كما افسد على قاطع الطريق يده ورجله
اللتين هما آلة قطعه ولم يفسد على القاذف لسانه الذي جنى به اذ مفسدة قطعه تزيد على
مفسدة الجناية ولا يبلغها فاكتفى من ذلك بايلام جميع بدنه بالجلد فان قيل فهلا افسد على
الزاني فرجه الذي باشر به المعصية قيل لوجوه احدها ان مفسدة ذلك تزيد على مفسدة الجناية
اذ فيه قطع النسل وتعريضه للهلاك الثاني ان الفرج عضو مستور لا يحصل بقطعه مقصود
الحد من الردع والزجر لامثاله من الجناة بخلاف قطع اليد الثالث انه اذا قطع يده ابقى له
يدا اخرى تعوض عنها بخلاف الفرج الرابع ان لذة الزنا عمت جميع البدن فكان الاحسن
ان تعم العقوبة جميع البدن وذلك اولى من تخصيصها ببضعة منه فعقوبات الشارع
جاءت على اتم الوجوه واوفقها للعقل واقومها بالمصلحة والمقصود ان الذنوب انما
ترتب عليها العقوبات الشرعية والقدرية او يجمعهما الله للعبد وقد يرفعهما عمن تاب واحسن

فصل

وعقوبات الذنوب نوعان شرعية وقدرية فاذا اقيمت الشرعية رفعت العقوبات
القدرية او خففتها ولا يكاد الرب تعالى يجمع على العبد بين العقوبتين الا اذا لم يف
احدهما برفع موجب الذنب ولم يكف في زوال دائه واذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية

نسخة: قدرها
نسخة: ترك
نسخة: جزاؤه
ص ٨٧
نسخة: كما يحصل بالقطع

وربما كانت اشد من الشرعية وربما كانت دونها ولكنها تعم والشرعية تخص فان الرب تبارك وتعالى لا يعاقب شرعًا الا من باشر الجناية او تسبب اليها واما العقوبة القدرية فانها تقع عامة وخاصة فان المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت ضرت الخاصة والعامة واذا رأى الناس المنكر فاشتركوا في ترك انكاره اوشك ان يعمهم الله تعالى بعقابه وقد تقدم ان العقوبة الشرعية شرعها الله سبحانه على قدر مفسدة الذنب وتقاضي الطبع لها وجعلها سبحانه ثلثة انواع القتل والقطع والجلد وجعل القتل بازاء الكفر وما يليه ويقرب وهو الزنا واللواطة فان هذا يفسد الاديان وهذا يفسد الانساب قال الامام احمد رحمه الله لا اعلم بعد القتل ذنبا اعظم من الزنا واحتج بحديث عبد الله بن مسعود انه قال يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندًا وهو خلقك قال قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل تصديقها في كتابه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر من كل نوع اعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل فانه سئل عن اعظم الذنب فاجابه بما تضمن ذكر اعظم انواعها وما هو اعظم كل نوع فاعظم انواع الشرك ان يجعل العبد لله ندًا واعظم انواع القتل ان يقتل ولده خشية ان يشاركه في طعامه وشرابه واعظم انواع الزنا ان يزني بحليلة جاره فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التي لها زوج اعظم اثمًا وعقوبة من التي لا زوج لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه والتعليق نسب عليه لم يكن منه وغير ذلك من انواع اذاه فهو اعظم اثمًا وجرمًا من الزنا بغير ذات البعل فان كان زوجها جارًا له انضاف الى ذلك سوء الجوار واذا جاره باعلى انواع الاذى وذلك من اعظم البوائق وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ولا بائقة اعظم من الزنا بامرأته فالزنا بمائة امرأة لا زوج لها

والزنا

بالتزوج

الايسر عند الله من الزنا بامرأة الجار فان كان الجار اخاله او قريبا من اقاربه انضم الى ذلك
قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائباً فى طاعة الله كالصلوة وطلب العلم فيتضاعف
والجهاد تضاعف الاثم حتى ان الزانى بامرأة الغازى فى سبيل الله يوقف له يوم
القيمة ويقال خذ من حسناته ما شئت قال النبى صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اى فيقال له ما
ما ظنكم انه يترك له من حسنات قد حكم فى ان يأخذ منها ما شاء على شدة الحاجة الى حسنة
واحدة حيث لا يترك الاب لابنه ولا الصديق لصديقه حقا يجب عليه فان اتفق
ان تكون المرأة رحما منه انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان اتفق ان يكون الزانى
محصنا كان الاثم اعظم فان كان شيخا كان اعظم اثما وهو احد الثلثة الذين لا يكلمهم الله يوم
القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فان اقترن بذلك ان يكون فى شهر حرام او بلد حرام
او وقت معظم عند الله كاوقات الصلوة واوقات الاجابة تضاعف الاثم وعلى هذا
فاعتبر مفاسد الذنوب وتضاعف درجاتها فى الاثم والعقوبة والله المستعان

89

فصل

وجعل سبحانه القطع بازاء افساد الاموال الذى لا يمكن الاحتراز منه فان السارق لا يمكن الاحتراز منه التى
لانه يأخذ الاموال فى الاختفاء وينقب الدور ويتسور من غير الابواب فهو كالسنور والحية التى تدخل عليك
من حيث لا تعلم فلم ترتفع مفسدة سرقته الى القتل ولا تندفع بالجلد فاحسن ما دفعت رفعت
به مفسدته ابانة العضو الذى تسلط به على الجناية وجعل الجلد بازاء افساد العقول وتمزيق يتسلط
الاعراض بالقذف فدارت عقوباته سبحانه الشرعية على هذه الانواع الثلاثة كما دارت
الكفارات على ثلثة انواع العتق وهو اعلاها والاطعام والصيام ثم جعل سبحانه الذنوب انه سبحانه جعل
ثلثة اقسام قسما فيه الحد فهذا لم يشرع فيه كفارة اكتفاء بالحد وقسما لم يرتب عليه حدا
فشرع فيه الكفارة كالوطى فى نهار رمضان والوطى فى الاحرام والظهار وقتل الخطا
والحنث فى اليمين وغير ذلك وقسما لم يرتب عليه حد ولا كفارة وهو نوعان احدهما
ما كان الوازع عنه طبيعيا كاكل العذرة وشرب البول والدم والثانى ما كانت مفسدته ادنى من مفسدة ما رتب فيه
عليه الحد كالنظرة والقبلة واللمس والمحادثة وسرقة فلس ونحو ذلك وشرع الكفارات

في ثلثة انواع احدها ما كان مباح الاصل ثم عرض تحريمه فباشره في الحالة التي عرض
فيها التحريم كالوطي في الاحرام والصيام وطرده الوطي في الحيض والنفاس بخلاف الوطي
في الدبر ولهذا كان الحاق بعض الفقهاء له بالوطي في الحيض لا يصح فانه لا يباح في
وقت دون وقت فهو بمنزلة اللواط وشرب المسكر النوع الثاني ما عقد لله من نذر
او بالله من يمين او حرمه الله ثم اراد حله فشرع الله سبحانه حله بالكفارة وسماها تحلة
وليست هذه الكفارة ماحية لهتك حرمة الاسم بالحنث كما ظنه بعض الفقهاء فان
الحنث قد يكون واجبا وقد يكون مستحبا وقد يكون مباحا وانما الكفارة حل لما عقده
النوع الثالث ما تكون فيه جابرة لما فات ككفارة قتل الخطا وان لم يكن هناك
اثم وكفارة قتل الصيد الخطا وان لم يكن هناك اثم فان ذلك من باب الجوابر
والنوع الاول من باب الزواجر والنوع الوسط من باب التحلة لما منعه العقد ولا يجتمع
الحد والتعزير في معصية بل ان كان فيها حد اكتفى به والا اكتفى بالتعزير ولا يجتمع الحد والكفارة
90 في معصية بل كل معصية فيها حد فلا كفارة فيها وما فيه كفارة فلا حد فيه بل يجتمع التعزير والكفارة في المعصية التي لا حد فيها
فيه وجهان وهذا كالوطي في الاحرام والصيام ووطي الحائض اذا اوجبنا فيه الكفارة فقيل يجب
فيه التعزير لما انتهك من الحرمة بركوب الجناية وقيل لا تعزير في ذلك اكتفاء بالكفارة لانها جابرة وماحية

فصل

واما العقوبات القدرية فهي نوعان نوع على القلوب والنفوس ونوع على الابدان
والاموال والتي على القلوب نوعان احدهما آلام وجودية يضرب بها القلب والثاني
قطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه واذا قطعت عنه حصل له اضدادها وعقوبة القلوب
اشد العقوبتين وهي اصل عقوبة الابدان وهذه العقوبة تقوى وتتزايد حتى تسري
من القلب الى البدن كما يسري الم البدن الى القلب فاذا فارقت النفس البدن
صار الحكم متعلقا بها فظهرت عقوبة القلب حينئذ وصارت علانية ظاهرة وهي المسماة بعذاب القبر
ونسبته الى البرزخ كنسبة عذاب الابدان الى هذه الدار

فصل

والتي على الابدان ايضًا نوعان نوع في الدنيا ونوع في الآخرة وشدتهما ودوامهما بحسب
مفاسد ما رتب عليه في الشدة والخفة فليس في الدنيا والآخرة شر اصلا الا الذنوب وعقوباتها
فالشر اسم لذلك كله واصله من شر النفس وسيئات الاعمال وهما الاصلان اللذان
كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منهما في خطبته بقوله ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا وسيئات الاعمال من شرور النفس فعاد الشر كله الى شر النفس فان النفوس
سيئات الاعمال من فروعه وثمراته وقد اختلف في معنى قوله ومن سيئات اعمالنا
هل معناه السيء من اعمالنا فيكون من باب اضافة النوع الى جنسه او يكون بمعنى
من وقيل معناه من عقوباتها التي تسوء فيكون التقدير ومن عقوبات اعمالنا التي تسوءنا
ويرجح هذا القول ان الاستعاذة تكون قد تضمنت جميع الشر فان شرور الانفس تستلزم
الاعمال السيئة وهي تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور الانفس على ما تقتضيه من قبح
٩١ الاعمال واكتفى بذكرها منه اذ هي اصله ثم ذكر غاية الشر ومنتهاه وهو السيئات التي
تسوء العبد من عمله من العقوبات والآلام فتضمنت هذه الاستعاذة اصل الشر وفروعه وغايته ومقتضاه
ومن دعاء الملائكة للمؤمنين قولهم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
فهذا يتضمن طلب وقايتهم من سيئات الاعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها فانه سبحانه
متى وقاهم عمل السيء وقاهم جزاء السيء وان كان قوله ومن تق السيئات يومئذ السيئات
فقد رحمته اظهر في عقوبات الاعمال المطلوب وقايتهم يومئذ فان قيل فقد سألوه سبحانه ان
يقيهم عذاب الجحيم وهذا هو وقاية العقوبات السيئة فدل على ان المراد بالسيئة التي سألوا بالسيئات
وقايتها الاعمال السيئة ويكون الذي سأله الملائكة نظير ما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يرد على هذا قوله يومئذ فان المطلوب وقاية شرور سيئات الاعمال ذلك اليوم
وهي سيئات في نفسها قيل وقاية السيئات نوعان احدهما وقاية فعلها بالتوفيق فلا
تصدر منه والثاني وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها فتضمنت الآية سؤال الامرين
والظرف تقييد للجملة الشرطية لا بالجملة الطلبية وتأمل ما تضمنه هذا الخبر عن الملائكة من فالظرف
مدحهم بالايمان والعمل الصالح والاحسان الى المؤمنين بالاستغفار لهم وقدموا بين يدي

استغفارهم وتوسلهم الى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته فسعة علمه يتضمن علمه بذنوبهم واسبابها وضعفهم عن العصمة واستيلاء عدوهم وانفسهم وهواهم وطباعهم وما زين لهم من الدنيا وزينتها وعلمه بهم اذ انشاهم من الارض واذ هم اجنة فى بطون امهاتهم وعلمه السابق بانهم لابد ان يعصوه وانه يحب العفو والمغفرة وغير ذلك من سعة علمه الذى لا يحيط به احد سواه وسعة رحمته تتضمن انه لا يهلك عليه احد من المؤمنين به اهل توحيده ومحبته فانه واسع الرحمة لا يخرج عن دائرة رحمته الا الاشقياء ولا اشقى ممن لم تسعه رحمته وسعت كل شئ ثم سألوه ان يغفر للتائبين الذين اتبعوا سبيله وهو صراطه الموصل اليه الذى هو معرفته ومحبته وطاعته فيما امر وترك ما يكره فتابوا مما يكره واتبعوا السبيل الذى يحبها ثم سألوه ان يقيهم عذاب الجحيم وان يدخلهم والمؤمنين من اصولهم وفروعهم وازواجهم جنات عدن التى وعدهم بها وهو سبحانه وان كان لا يخلف الميعاد فانه وعدهم بها باسباب من جملتها دعاء الملائكة لهم بان يدخلهم اياها بدخولها برحمته التى منها ان وفقهم لاعمالها واقام ملائكته يدعون لهم بدخولها ثم اخبر سبحانه عن ملائكته انهم قالوا عقيب هذه الدعوة انك انت العزيز الحكيم اى مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك فان العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين يقضى سبحانه وتعالى ما يشاء ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والامر والمقصود ان عقوبات السيئات تتنوع الى عقوبات شرعية وعقوبات قدرية وهى اما فى القلب واما فى البدن واما فيهما وعقوبات فى دار البرزخ بعد الموت وعقوبات يوم عود الاجساد فى الدار الآخرة فالذنب لا يخلو من عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبة لانه بمنزلة السكران والمخدر والنائم الذى لا يشعر بالالم فاذا استيقظ وصحى احس بالمؤلم فترتب العقوبات على الذنوب كترتب الاحراق على النار والكسر على الانكسار والاغتراف على الماء وفساد البدن على السموم والامراض لاسباب الجالبة لها وقد تقارن المضرة للذنب وقد تتاخر عنه اما يسيرا واما مدة كما يتاخر المرض عن سببان يقارنه وكثيرا ما يقع الغلط للعبد فى هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى اثره عقيبه ولا يدرى

نسخة ملائكة الجنة فيدخلونها

٩٣

نسخة فالعزة

نسخة

نسخة عقوبات بالآلام

نسخة على الاسباب

انه يعمل وعمله على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم والاشياء الضارة حذو القذة بالقذة فان
تدارك العبد نفسه بالادوية والاستفراغ والحمية والا فهو صائر الى الهلاك هذا اذا كان ذنبا واحدا
لم يتداركه بما يزيل اثره فكيف بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان

فصل

فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه وتعالى على الذنوب وجوز وصولها (وصول بعضها)
اليك واجعل ذلك داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق اليك منها طرفا يكفي العاقل (الك)
مع التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار والاقفال
على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها والطبع عليها وتقليب الافئدة والابصار
والحيلولة بين المرء وقلبه واغفال القلب عن ذكر الرب وانساء العبد نفسه وترك ارادة الله (الانسان)
تطهير القلب وجعل الصدر ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق
وزيادتها مرضا على مرضها واركاسها وانكاسها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الامام احمد عن (نكسها)
حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه قال القلوب اربعة فقلب اجرد فيه سراج يزهر (٩٦)
فذلك قلب المؤمن وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك
قلب المنافق وقلب تمده مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنها التثبيط عن الطاعة والاقعاد عنها ومنها جعل القلب اصم لا يسمع الحق ابكم لا ينطق به
اعمى لا يراه فتصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره كالنسبة بين اذن
الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان ولسان الاخرس والكلام وبهذا يعلم ان
الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح بالعرض والتبعية فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وليس المراد نفي العمى الحسي عن البصر كيف وقد
قال تعالى ليس على الاعمى حرج وقال عبس وتولى ان جاءه الاعمى وانما المراد
ان العمى التام على الحقيقة عمى القلب حتى ان عمى البصر بالنسبة اليه كلا عمى حتى (نفي)
يصح نفيه بالنسبة الى كماله وقوته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة
ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة

والقعقعان ولكن المسكين الذي لا يسئل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه ونظائره
كثيرة والمقصود ان من عقوبات المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم ومنها الخسف
بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به الى اسفل سافلين وصاحبه لا يشعر
وعلامة الخسف به انه لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات والرذائل كما
ان القلب الذي رفعه الله وقربه اليه لا يزال جوالا حول البر والخير ومعالي الامور
والاعمال والاقوال والاخلاق قال بعض السلف ان هذه القلوب جوالة فمنها ما
يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحش ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة
فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في اخلاقه واعماله وطبيعته فمن القلوب
ما يمسخ على قلب خنزير لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ على خلق كلب او حمار او حية خلق الخنازير
او عقرب وغير ذلك وهذا تاويل سفيان بن عيينة في قوله تعالى وما من دابة في
الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال منهم من يكون على اخلاق السباع العادية ٩٣
ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق الخنازير واخلاق الحمير ومنهم من يتطوس
في ثيابه كما يتطوس الطاؤس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار ومنهم من يؤثر على نفسه
كالديك ومنهم من يألف ويؤلف كالحمام ومنهم الحقود كالجمل ومنهم الذي هو خير كله كالغنم
ومنهم اشباه الذباب ومنهم اشباه الثعالب التي تروغ كروغانها وقد شبه الله تعالى اهل الجهل والغي
بالحمر تارة وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة باطنا حتى تظهر في الصورة نسخ
الظاهرة ظهورا خفيا يراه المتفرسون ويظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال يقوى
حتى تعلو الصورة فتنقلب له الصورة باذن الله وهو المسخ التام فيقلب الله سبحانه تستشنع هذا
وتعالى الصورة الظاهرة على صورة ذلك الحيوان كما فعل باليهود واشباههم ويفعل
بقوم من هذه الامة يمسخهم قردة وخنازير فسبحان الله كم من قلب منكوس وصاحبه
لا يشعر وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به وكم من مفتون بثناء الناس عليه ومغرور
بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وكل هذه عقوبات واهانة ويظن الجاهل انها
كرامة ومنها مكر الله بالماكر ومخادعته للمخادع واستهزاؤه بالمستهزئ وازاغته لقلب الزائغ

عن الحق ومنها انكس القلب حتى يرى الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا

ويفسد ويرى انه يصلح ويصد عن سبيل الله وهو يرى انه يدعو اليها ويشتري الضلالة بالهدى

وهو يرى انه على الهدى ويتبع هواه وهو يزعم انه مطيع لمولاه وكل هذا من عقوبات الذنوب تتبع

الجارية على القلوب ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الاكبر يوم القيمة كما قال

تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فمنعتهم الذنوب ان يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم

فيصلوا اليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها وان يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين

ربهم فتصل القلوب اليه فتفوز بقربه وكرامته وتقر به عينا وتطيب به نفسا بل كانت الذنوب

حجابا بينهم وبين قلوبهم وحجابا بينهم وبين ربهم وخالقهم ومنها المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة

قال تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وفسرت

المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب انه من المعيشة الضنك والآية تتناول ما هو اعم

منه وان كانت نكرة في سياق الاثبات فان عمومها من حيث المعنى فانه سبحانه رتب ٩٥

المعيشة الضنك على الاعراض عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب اعراضه

وان تنعم في الدنيا باصناف النعم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب

والاماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وانما تواريه عنه سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا

والرياسة ان لم ينضم الى ذلك سكر الخمر فسكر هذه الامور اعظم من سكر الخمر فانه يضيق صاحبه

ويصحو وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه الا اذا سكر في عسكر الاموات فالمعيشة الضنك

لازمة لمن اعرض عن ذكر الله الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم في دنياه وفي

البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدي القلب ولا تطمئن النفس الا بالهها معبودها

الذي هو حق وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله

تقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله تعالى انما جعل الحيوة الطيبة لمن آمن بالله وعمل

صالحا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة

ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فضمن لاهل الايمان والعمل الصالح الجزاء في

الدنيا بالحيوة الطيبة والحسنى يوم القيمة فلهم اطيب الحياتين وهم احياء في الدارين ونظيرها

قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ونظيرها
قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل
ذي فضل فضله ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحيوة الطيبة
في الدارين فان طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه
ونوره وسعته وعافيته من ترك الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن اليه فقد كان
بعض من ذاق هذه اللذة لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال آخر انه ليمر بالقلب اوقات
اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب وقال الآخر ان في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة من لم
يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه الجنة بقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ولا تظن ان قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة وهؤلاء
في جحيم في دورهم الثلاثة واي لذة ونعيم في الدنيا اطيب من بر القلب وسلامة الصدر
ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل عيش في الحقيقة الا عيش
القلب السليم وقد اثنى الله تعالى على خليله عليه السلام بسلامة القلب فقال وان
من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وقال حاكيا عنه انه قال يوم لا ينفع مال ولا
بنون الا من اتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل
والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم
من كل شبهة تعارض خبره ومن كل شهوة تعارض امره وسلم من كل ارادة تزاحم مراده وسلم
من كل قاطع يقطعه عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة في البرزخ
وفي جنة يوم المعاد ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة اشياء من شرك يناقض
التوحيد وبدعة تخالف السنة وشهوة تخالف الامر وغفلة تناقض الذكر وهوى يناقض
التجريد والاخلاص وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها انواع كثيرة تتضمن
افرادا لا تنحصر ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته الى ان يسأل الله ان يهديه
الصراط المستقيم فليس العبد احوج الى شيء منه الى هذه الدعوة وليس شيء انفع له منها

فان الصراط المستقيم يتضمن علوما وارادة واعمالا وتروكا ظاهرة وباطنة تجري عليه
كل وقت فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها وقد يكون ما لا يعلمه اكثر
مما يعلمه وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وهو من الصراط المستقيم وان عجز عنه
وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلا وتهاونا او لقيام مانع او غير ذلك وما
تريده قد يفعله وقد لا يفعله وما يفعله قد يقوم بشروط الاخلاص وقد لا يقوم وما يقوم فيه
بشروط الاخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم وما يقوم فيه بالمتابعة فقد
يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه وهذا كله واقع سار في الخلق فمستقل ومستكثر وليس في
طباع العبد الهداية الى ذلك كله بل متى وكل الى طباعه حيل بينه وبين ذلك
وهذا هو الاركاس الذي اركس الله به المنافقين بذنوبهم فاعادهم الى طباعهم
وما خلقت عليه نفوسهم من الجهل والظلم والرب تبارك وتعالى على صراط مستقيم
٩٧ في قضائه وقدره وامره ونهيه فيهدي من يشاء الى صراط مستقيم بفضله ورحمته
وجعل الهداية حيث تصلح ويصرف من يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته
لعدم صلاحية المحل وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو على صراط
مستقيم ونصب لعباده من امره صراطا مستقيما دعاهم جميعا اليه حجة منه وعدلا
وهدى من يشاء منهم الى سلوكه نعمة منه وفضلا ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل
عن صراطه المستقيم الذي هو عليه فاذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطا مستقيما
يوصلهم الى جنته ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا واقام من اقام في الدنيا
وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نورا ظاهرا
معهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم في ظلمة الحشر وحفظ عليهم نورهم حتى يقطعوه كما حفظ عليهم
الايمان حتى لقوه واطفى نور المنافقين احوج ما كانوا اليه كما اطفاه من قلوبهم
في الدنيا واقام اعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكا تخطفهم كما تخطفهم في
الدنيا عن الاستقامة عليه وجعل سيرهم وسرعتهم على قدر سيرهم وسرعتهم اليه في
الدنيا ونصب للمؤمنين حوضا يشربون منه بازاء شربهم من شرعه في الدنيا وحرم

تنبيه فانظر

من الشرب منه هناك من حرم من الشرب من شرعه ودينه ههنا فانظر الى الآخرة كأنها رأي عين وتأمل حكمة الله سبحانه في الدارين تعلم حينئذ علما يقينا لا شك فيه ان الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وانموذجها وان منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الايمان والعمل الصالح وضدهما وبالله التوفيق فمن اعظم عقوبات الذنوب الخروج عن الصراط في الدنيا والآخرة

فصل

ولما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والآخرة بحسب تفاوتها ونحن نذكر فيها بعون الله فصلا وجيزا جامعا فنقول اصلها نوعان ترك مأمور وفعل محظور وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما ابوي الجن والانس وكلاهما ينقسم باعتبار محله الى ظاهر على الجوارح وباطن في القلوب وباعتبار متعلقه الى حق الله وحق خلقه وان كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحقه لكن سمي حقا للخلق لانه يجب بمطالبتهم ويسقط باسقاطهم ثم هذه الذنوب تنقسم الى اربعة اقسام ملكية وشيطانية وسبعية وبهيمية لا تخرج عن ذلك فان الذنوب الملكية ان يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلو والظلم واستعباد الخلق ونحو ذلك ويدخل في هذا الشرك بالرب تعالى وهو نوعان شرك في اسمائه وصفاته وجعل آلهة اخرى معه وشرك في معاملته وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار وان احبط العمل الذي اشرك فيه مع الله غيره وهذا القسم اعظم انواع الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وامره فمن كان من اهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيته وملكه وجعل له ندا وهذا اعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل

مخالفة

فصل

واما الشيطانية فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله وتحسينها والنهي عن طاعة الله وتهجينها والابتداع في دينه والدعوة الى البدع والضلال وهذا النوع يلي النوع الاول في المفسدة وان كانت مفسدته دونه

فصل

واما السبعية فذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء والعاجزين ويتولد منها انواع اذى النوع الانساني والجرأة على الظلم والعدوان واما الذنوب البهيمية فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها

النظر

يتولد الزنا والسرقة واكل اموال اليتامى والبخل والشح والجبن والهلع والجزع ونحو ذلك
وهذا القسم اكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية ومنه يدخلون الى
سائر الاقسام فهو يجرهم اليها بالزمام فيدخلون منه الى الذنوب السبعية ثم الى الشيطانية
ثم الى منازعة الربوبية والشرك في الوحدانية ومن تأمل هذا حق التأمل تبين له
ان الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الله ربوبيته

فصل

وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين بعدهم والائمة على ان من الذنوب
كبائر وصغائر قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وقال تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وفي الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان
مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وهذه الاعمال المكفرة لها ثلاث درجات
٩٩ احدها ان تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الاخلاص فيها والقيام بحقوقها
بمنزلة الدواء الضعيف الذي ينقص عن مقاومة الداء كمية وكيفية الثانية ان تقاوم الصغائر
ولا ترتقي الى تكفير شيء من الكبائر الثالثة ان تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة
تكفر بها بعض الكبائر فتأمل هذا فانه يزيل عنك اشكالات كثيرة وفي الصحيح عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله فقال الاشراك
بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وروي في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس
التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف
المحصنات الغافلات المؤمنات وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل اي
الذنب اكبر عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم اي قال ان اعظم نسخة
تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قيل ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك
فانزل الله تعالى تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون

النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية واختلف الناس في الكبائر هل لها
عدد يحصرها على قولين ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها فقال عبد الله
ابن مسعود هي اربعة وقال عبد الله بن عمر هي سبعة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص هي تسعة وقال غيره
هي احدى عشر وقال آخر هي سبعون وقال ابو طالب المكي جمعتها من اقوال
الصحابة فوجدتها اربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على المعصية والقنوط
من رحمة الله والامن من مكر الله واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف
المحصنات واليمين الغموس والسحر وثلاثة في البطن شرب الخمر واكل مال اليتيم
واكل الربوا واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواطة واثنتان في اليدين وهما القتل
والسرقة وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف وواحدة تتعلق بجميع الجسد وهي
عقوق الوالدين والذين لم يحصروها بالعدد منهم من قال كلما نهى الله عنه في
القرآن فهو كبيرة وما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو صغيرة وقالت ١٠٠
طائفة ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن او غضب او عقوبة فهو كبيرة وما لم يقترن
به من ذلك شيء فهو صغيرة وقيل كلما رتب عليه حد في الدنيا او وعيد في الآخرة
فهو كبيرة وما لم يرتب عليه لا هذا ولا هذا فهو صغيرة وقيل كلما اتفقت الشرائع
على تحريمه فهو من الكبائر وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة وقيل كلما
لعن الله او رسوله فاعله فهو كبيرة وقيل كلما ذكر من اول سورة النساء الى قوله هي ما
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم والذين لم يقسموها الى كبائر وصغائر قالوا الذنوب
كلها بالنسبة الى الجراة على الله سبحانه معصية ومخالفة امره كبائر فالنظر الى من عصى
امره وانتهك محارمه توجب ان تكون الذنوب كلها كبائر وهي مستوية في هذه
المفسدة قالوا ويوضح هذا ان الله سبحانه لا تضره الذنوب ولا يتأثر بها فلا يكون
بعضها بالنسبة اليه اكبر من بعض فلم يبق الا مجرد معصية ومخالفة ولا فرق في ذلك
بين ذنب وذنب قالوا ويدل عليه ان مفسدة الذنب تابعة للجراة والتوثب
على حق الرب تبارك وتعالى ولهذا لو شرب رجل خمرا او وطئ فرجا حراما وهو

لا يعتقد تحريمه لكان قد جمع بين الجهل وبين مفسدة ارتكاب الحرام ولو فعل ذلك من
يعتقد تحريمه لكان اتى باحدى المفسدتين وهو الذي يستحق العقوبة دون الاول فدل على
ان مفسدة الذنب تابعة للجرأة والتوثب قالوا ويدل على هذا ان المعصية تتضمن الاستهانة
بامر المطاع ونهيه وانتهاك حرمته وهذا لا فرق فيه بين ذنب وذنب قالوا فلا ينظر العبد
الى كبر الذنب وصغره في نفسه ولكن ينظر الى قدر من عصاه وعظمته وانتهاك حرمته بالمعصية
وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية ومعصية فان ملكا عظيما مطاعا لو امر احد مماليكه ان يذهب
في مهم له الى بلد بعيد وامر آخر ان يذهب في شغل له الى جانب الدار فعصياه وخالفا امره
لكانا في المقت والسقوط من عينه سواء قالوا ولهذا كانت معصية من ترك الحج من مكة وترك
الجمعة وهو جار المسجد اقبح عند الله من معصية من تركه من المكان البعيد والواجب على هذا
اكثر من الواجب على هذا ولو كان مع رجل مائتا درهم فمنع زكاتها ومع آخر مائتا الف درهم
فمنع زكاتها لاستويا في منع ما وجب عليه كل واحد منهما ولا يبعد استواؤهما في العقوبة اذا كان
١٠١ كل منهما مصرا على منع زكوة ماله قليلا كان المال او كثيرا

فصل

وكشف الغطاء عن هذه المسألة ان يقال ان الله عز وجل ارسل رسله وانزل كتبه وخلق
السموات والارض ليعرف ويعبد ويوحد ويكون الدين كله له والطاعة كلها له والدعوة له كما
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق وقال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال تعالى جعل الله
الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه ان المقصد بالخلق والامر ان
يعرف باسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به وان يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي
قامت به السموات والارض كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط فاخبر سبحانه انه ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط

العدل

وهو العدل ومن اعظم القسط التوحيد بل هو راس العدل وقوامه وان الشرك ظلم عظيم كما قال
تعالى ان الشرك لظلم عظيم فالشرك اظلم الظلم والتوحيد اعدل العدل فما كان اشد منافاة لهذا
المقصود فهو اكبر الكبائر وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له وما كان اشد موافقة لهذا المقصود
فهو اوجب الواجبات وافرض الطاعات فتامل هذا الاصل حق التامل واعتبر به تفاصيله تعرف
به احكم الحاكمين واعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات
والمعاصي فلما كان الشرك بالله منافيا بالذات لهذا المقصود كان اكبر الكبائر على الاطلاق
وحرم الله الجنة على كل مشرك واباح دمه وماله واهله لاهل التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا
القيام بعبوديته وابى الله سبحانه ان يقبل من مشرك عملا او يقبل فيه شفاعة او يستجيب له في
الآخرة دعوة او يقبل له فيها عثرة فان المشرك اجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه ندا
وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه
وقد وقعت مسألة وهي ان المشرك انما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى وانه لعظمته لا ينبغي
الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية
١٠٣
وانما قصد تعظيمه وقال انما اعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدخلني عليه فهو المقصود وهذه
وسائل وشفعاء فلم كان هذا القدر موجب لسخطه وغضبه تبارك وتعالى ومخلدا في النار
وموجبا لسفك دماء اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وترتب على هذا سؤال آخر وهو انه
هل يجوز ان يشرع الله سبحانه لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا
انما استفيد من الشرع ام ذلك قبيح في الفطر والعقول يمتنع ان تاتي به شريعة بل
جاءت بتقريره في الفطر والعقول من قبحه الذي هو اقبح من كل قبيح وما
السبب في كونه لا يغفره من دون سائر الذنوب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتامل هذا السؤال واجمع قلبك وذهنك على جوابه
ولا تستهونه فان به يحصل الفرق بين المشركين والموحدين والعالمين بالله والجاهلين به
واهل الجنة واهل النار فنقول وبالله التوفيق والتاييد ومنه نستمد المعونة والتسديد
فانه من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ولا مانع لما اعطى ولا معطي لما

بيّنن

منع الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وافعاله وشرك في عبادته
ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
والشرك الاول نوعان احدهما شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك كشرك فرعون اذ
قال وما رب العالمين وقال تعالى مخبرا عنه انه قال وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فالشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل
معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق
سبحانه وصفاته ولكن عطل حق التوحيد واصل الشرك وقاعدته التي ترجع اليها هو التعطيل
وهو ثلثة اقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس
بتعطيل اسمائه وصفاته وافعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ومن
هذا شرك طائفة اهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ههنا شيئان
بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وانه
١٠٤٣ لم يكن معدوما اصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة عندهم الى اسباب
ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس ومن هذا شرك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه
وافعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق اكمل منه اذ
كمال الذات باسمائها وصفاتها

فصل

النوع الثاني شرك من جعل معه الها آخر ولم يعطل اسماءه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى
الذي جعلوه ثالث ثلثة فجعلوا المسيح الها وامه الها ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد
حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك القدرية القائلين بان
الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وارادته ولهذا
كانوا من اشباه المجوس ومن هذا شرك الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال ابراهيم ربي
الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت فهذا جعل نفسه ندا لله يحيي ويميت بزعمه
كما يحيي الله ويميت فالزمه ابراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته ان طرد قولك ان

تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها وليس هذا انتقالا كما زعم
بعض اهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقا ومن هذا شرك كثير ممن يشرك
بالكواكب العلويات ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة
وغيرهم ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده
هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم انه اكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة وانه ان معبوده
اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم ان معبوده
الادنى يقربه الى المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة
الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل

فصل

واما الشرك في العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف امرا فانه يصدر ممن يعتقد انه
لا اله الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا اله غيره ولا رب سواه ولكن لا يخلص
لله في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب الرفعة والمنزلة ۱۰۴
والجاه عند الخلق تارة فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وحظه وهواه نصيب وللشيطان
نصيب وللخلق نصيب هذا حال اكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل
قالوا وكيف ننجو منه يا رسول الله قال قل اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا
اعلم واستغفرك لما لا اعلم فالرياء كله شرك قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
اي كما انه اله واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالالهية
يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة وكان من
دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا
تجعل لاحد فيه شيئا وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل وقد يعاقب عليه
اذا كان العمل واجبا فانه ينزله منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك الامر فان الله سبحانه

انما امر بعبادته خالصة قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فمن لم
يخلص لله في عبادته لم يفعل ما امر به بل الذي اتى به شيء غير المأمور به فلا يصح ولا يقبل شيئا
منه ويقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك معي فيه غيري
فهو للذي اشرك به وانا منه بريء وهذا الشرك ينقسم الى مغفور وغير مغفور واكبر واصغر
والنوع الاول ينقسم الى كبير واكبر وليس شيء منه مغفور فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم
بان يحب مخلوقا كما يحب الله فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي
قال سبحانه فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية وقال اصحاب هذا الشرك
لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم
ما سووهم به سبحانه في الخلق والرزق والاماتة والاحياء والملك والقدرة وانما سووهم به في الحب والتأله
والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الجهل والظلم فكيف يسوى من خلق من التراب برب الارباب وكيف يسوى
العبيد بمالك الرقاب وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات
105 الذي ليس له من ذاته الا العدم بالغني بالذات القادر بالذات الذي غناه وقدرته وملكه وجوده واحسانه
وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فاي ظلم اقبح من هذا واي حكم اشد جورا منه حيث
عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك
لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فيا لك من عدل تضمن اكبر الظلم واقبحه

فصل

ويتبع هذا الشرك به سبحانه في الاقوال والافعال والارادات والنيات فالشرك
في الافعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل
لبيته الاحجار غير الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض او تقبيل القبور واستلامها والسجود
لها وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلي لله
فيها فكيف بمن اتخذ القبور اوثانا يعبدها من دون الله وفي الصحيحين عنه انه قال لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيح عنه ان من شرار الناس

من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد وفي الصحيح ايضا عنه ان من
كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك
وفي مسند الامام احمد رضي الله عنه وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله
زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج وقال اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال ان من كان قبلكم اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على
قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة فهذا حال
من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد
اعظم حماية حتى نهى عن صلوة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون
ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة لسند
بان منع الصلوة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد ١٠٦
المشركون فيهما للشمس واما السجود لغير الله فقال لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله ولا
ينبغي في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للذي هو في غاية الامتناع شرعا كقوله تعالى وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله وما تنزلت به الشياطين
وما ينبغي لهم وقوله عن الملائكة ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء

فصل

ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه احمد وابو داود عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك وصححه الحاكم وابن حبان
ومن ذلك قول القائل للمخلوق ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده
وهذا مع ان الله قد اثبت للعبد مشيئة كقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فكيف من
يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك ومالي الا الله وانت
وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء

وانت لي في الارض ويقول والله وحيوة فلان ويقول نذر الله ولفلان وانا تائب لله ولفلان او ارجو الله وفلانا ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل ما شاء الله وشئت ثم انظر ايهما افحش يتبين لك ان قائلها اولى بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعله ندا لله بها فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الاشياء بل لعله ان يكون من اعدائه ندا لرب العالمين فالسجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدا والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال

١٠٧ قد عرف الحق لاهله

فصل

واما الشرك في الارادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه فمن اراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا غير التقرب اليه وطلب الجزاء منه فقد اشرك في نيته وارادته والاخلاص ان يخلص لله في اقواله وافعاله وارادته ونيته وهذه الحنيفية ملة ابراهيم التي امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وهي ملة ابراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من اسفه السفهاء

فصل

واذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك باب الجواب عن السؤال المذكور فنقول ومن الله وحده نستمد الصواب حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة لا اثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم فعكس من نكس الله قلبه واعمى عين بصيرته واركسه

بيده الامر وجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق فى التشبيه
خصائص الالهية فان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء
والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل
من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا فضلا عن غيره تشبيها بمن له فضلا
الامر كله فازمة الامور كلها بيديه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى
ولا معطى لما منع بل اذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها احد وان امسكها عنه لم يرسلها اليه الرحمة
احد فمن اقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغنى بالذات ومن خصائص
الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب
ان تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل
والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له
وحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد ١٠٨
شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه وتضمنه
غاية الظلم اخبر سبحانه عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالهية
العبودية التى قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام
العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم فى هذين الاصلين فمن اعطى حبه
وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به فى خالص حقه وهذا من المحال ان تأتى به شريعة تجى
من الشرائع وقبحه مستقر فى كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق وعقولهم
وافسدتها عليهم واجتالتهم عنها ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله الحسنى فارسل
اليهم رسله وانزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدى الله
لنوره من يشاء اذا عرفت هذا فمن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق
به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به
ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره فقد شبهه به هذا فى جانب التشبيه واما
فى جانب التشبه به فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس الى اطرائه فى المدح والتعظيم والخضوع

تعلق

والرجاء وتعليق القلب به خوفاً ورجاءً والتجاءً واستعانة فقد شبه بالله ونازعه في ربوبيته والٰهيته وهو حقيق بان يهينه غاية الهوان ويذله نهاية الذل ويجعله تحت اقدام خلقه وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبته واذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من اشد الناس عذاباً يوم القيمة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والالٰهية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذاباً يوم القيمة المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو اعظم منها واكبر والمقصود ان هذا حال من تشبه به في صنعة صورة فكيف حال من تشبه به في خواص ربوبيته والٰهيته وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا لله وحده كملك الاملاك وحاكم الحكام ونحوه

الصحيحين عن النبي
١٠٩ القطر

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان اخنع الاسماء عند الله رجل يسمى شاہان شاہ ملك الملوك لا ملك الا الله وفي لفظ اغيظ رجل على الله رجل يسمى بملك الاملاك فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي الا له فهو سبحانه ملك الملوك وحده وهو حاكم الحكام وحده فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا غيره

فصل

فهمنا

اذا تبين هذا فهنا اصل عظيم يكشف سر المسألة وهو ان اعظم الذنوب عند الله اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يناقض اسماءه وصفاته ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيراً وقال تعالى لمن انكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله ابراهيم انه قال لقومه ماذا تعبدون ائفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم اي يجازيكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وماذا ظننتم حين عبدتم معه غيره وما ظننتم باسمائه

ربوبيته

وصفاته وربوبيته من النقص حتى احوجكم ذلك الى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو اهله من انه بكل شيء

عليم وهو على كل شئ قدير وانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه وانه قائم بالقسط على
خلقه وانه المتفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره والعالم بتفاصيل الامور فلا يخفى عليه خافية
من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج الى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من
يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فانهم يحتاج الى من يعرفهم احوال الرعية
وحوائجهم والى من يعينهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم والى من يستعطفهم بالشفاعة
فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة بحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم فاما القادر على كل شئ
الغني عن كل شئ الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شئ فادخال الوسائط بينه وبين
خلقه تنقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن سوء وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع تنقص السوء
في العقول والفطر وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد
معظم لمعبوده متأله خاضع ذليل له والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال
والتأله والتذلل والخضوع وهذا خالص حقه فمن اقبح الظلم ان يعطي حقه لغيره او يشرك
بينه وبينه فيه ولا سيما الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى ضرب لكم 110
مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم الآية اي اذا كان احدكم يأنف
ان يكون مملوكه شريك له في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما انا متفرد وهو شريكه
الالهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصح لسوائي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا
عظمني حق عظمتي ولا افردني بما انا متفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره تعظيمي
من عبد معه غيره كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الى قوله لقوي عزيز فما قدر الله حق قدره
من عبد معه غيره من لا يقدر على خلق اضعف حيوان واصغره وان يسلبهم الذباب
شيئا مما عليه لم يقدر على الاستعاذة منه قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة الآية فما قدر من هذا شانه وعظمته حق قدره من اشرك معه في
عبادته من ليس له شئ من ذلك البتة بل هو اعجز شئ واضعفه فما قدر القوي العزيز
حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل كذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل الى

خلقه رسولا ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتضييعهم وتركهم سدى وخلقهم
باطلا عبثا وكذا ما قدره حق قدره من نفى حقائق اسمائه الحسنى وصفاته العلى فنفى سمعه وبصره وارادته لله
واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد ولنفي عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده
من طاعاتهم ومعاصيهم فاخرجها عن قدرته ومشيئته وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب
فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون تعالى عن قول اشباه المجوس علوا كبيرا وكذلك ما قدره حق قدره فتعالى
من قال انه يعاقب عبده على ما لا يفعله عبده ولا له عليه قدرة ولا تاثير له فيه البتة بل هو نفس فعل الرب
جل جلاله فيعاقب عبده على فعله هو سبحانه الذي جبر العبد عليه وجبره على الفعل اعظم من اكراه المخلوق
للمخلوق واذا كان من المستقر في الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل او الجاه اليه ثم
عاقبه عليه لكان قبيحا فاعدل العادلين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه
صنع ولا تاثير ولا هو واقع بارادته ولا فعله البتة ثم يعاقبه عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقول هؤلاء شر
من اشباه قول المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره حق قدره من لم يصنه عن نتن شر
111
ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان وصانه عن عرشه ان يكون مستويا عليه اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وتعرج الملائكة والروح وتنزل من عنده ويدبر الامر من السماء الى الارض
ثم تعرج اليه فصانه عن استوائه على سرير الملك ثم جعله في كل مكان يانف الانسان بل غيره من الحيوان
ان يكون فيه وما قدر الله حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورافته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى
حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به
بل افعاله مفعولات منفصلة عنه فنفى حقيقة مجيئه واتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى من جانب الطور ومجيئه يوم القيامة
لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير ذلك من افعاله واوصاف كماله التي نفوها وزعموا انهم بنفيها قد قدروه
حق قدره وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا او جعله سبحانه يحل في جميع مخلوقاته او جعله عين هذا جعله
الوجود وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته واعلى ذكرهم وجعل رسوله
فيهم الملك والخلافة والعز ووضع اولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته واهانهم واذلهم وضرب عليهم الذلة اين ما ثقفوا رسوله الذلة كانوا
وهذا يتضمن غاية القدح في جناب الرب تعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب
العالمين انه ارسل ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله ومكث زمانا طويلا يكذب عليه كل وقت ويقول قال كذا وامر بكذا ونهى عن كذا لنفسه ملكهم

وينسخ شرائع انبيائه ورسله ويستبيح دماء اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله اباح لي ذلك
والرب تعالى يظهره ويؤيده ويعليه ويقربه ويجيب دعواته ويمكنه ممن يخالفه ويقيم الادلة على صدقه يجيزه خالفه
ولا يعاديه احد الا ظفر به فيصدقه بقوله وفعله وتقريره وتحدث ادلة تصديقه شيئا بعد شيء
الى يوم القيامة ومعلوم ان هذا يتضمن اعظم القدح والطعن في الرب سبحانه وتعالى وعلمه
وحكمته ورحمته وربوبيته تعالى الله عن قول الجاحدين علوا كبيرا فوازن بين قول هؤلاء
وقول اخوانهم من النصارى تجد القولين كما قال الشاعر رضيعي لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض تجد القولين
لا نتفرق وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب اولياءه ومن لم يعصه
طرفة عين ويدخلهم دار النعيم وان كل الامرين بالنسبة اليه سواء وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف
ذلك فمنعناه للخبر لا لمخالفة حكمته وعدله وقد انكر سبحانه في كتابه على من جوز عليه ذلك غاية الانكار حكمته
وجعل الحكم به من اسوء الاحكام وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث
من في القبور ولا يجمع الخلق ليوم يجازي المحسن فيه باحسانه والمسيء فيه باساءته ويأخذ لخلقه
للمظلوم فيه حقه من ظالمه ويكرم المتحملين المشاق في هذه الدار من اجله وفي مرضاته بافضل ١١٣
كرامته ويبين لخلقه الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين وكذلك لم
يقدره حق قدره من هان عليه امره فعصاه ونهيه فارتكبه وحقه فضيعه وذكره فاهمله
وغفل قلبه عنه وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعة المخلوق اهم عنده من طاعة الله فلله الفضلة طاعته
من قلبه وعلمه وقوله وماله وسواه المقدم في ذلك لانه المهم عنده يستخف بنظر الله اليه واطلاعه
عليه وهو في قبضته وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه
يستحيي من الناس ولا يستحيي من الله ويخشى الناس ولا يخشى الله ويعامل الخلق بافضل ما يستحيي يستحيي
عنده وما يقدر عليه وان عامل الله عامله باهون ما عنده واحقره وان قام في خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد خشية الله
وبذل النصيحة وقد افرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعد القدر قام قياما فرغ
لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله وبذل له من ماله ما يستحيي ان يواجه به مخلوق مثله فهل قدر الله حق قدره من يستحيي
هذا وصفه وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع
والخوف والرجاء فلو جعل له من اقرب الخلق اليه شريكا في ذلك لكان ذلك جراءة وتوثبا على محض حقه واستهانة

وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح الا له سبحانه فكيف وانما اشرك ابغض الخلق بينه وبين
اليه واهونهم عليه وامقتهم عنده وهو عدوه على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا
صراط مستقيم ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم للشيطان وهم
يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشركين الى عبادته ويوهمهم انه ملك وكذلك
عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب
وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان
فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وامه
لم يعبدهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من امره بعبادته وعبادة امه
ورضيها لهم وامرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لعنة الله عليه لا عبد الله ورسوله ١١٣
صلى الله عليه وسلم فنزل هذا كله على قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم فما عبد احد من بني آدم غير الله كائنا من كان ما
الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول اغراضه ويستمتع المعبود غرضه
بالعابد في تعظيمه واشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان ولهذا قال تعالى
ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال
النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى
السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفره بغير التوبة منه وانه يوجب
الخلود في النار وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع العذاب
لعباده الها غيره كما يستحيل عليه ما يناقض اوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن يناقض
بالمنفرد بالربوبية والالهية والعظمة والاجلال ان ياذن في مشاركته في ذلك

او يرضى به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فصل

فلما كان الشرك اكبر شيء منافاة للامر الذي خلق الله له الخلق وامر لاجله بالامر كان
من اكبر الكبائر عند الله وكذلك الكبر وتوابعه كما تقدم فان الله سبحانه خلق الخلق وانزل
الكتب لتكون الطاعة له وحده والشرك والكبر ينافيان ذلك ولذلك حرم الله الجنة
على اهل الشرك والكبر لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر

فصل

ويلي ذلك في اكبر المفسدة القول على الله بلا علم في اسمائه وصفاته وافعاله ووصفه
بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا اشد شيء منافاة
ومناقضة لكمال من له الخلق والامر وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب
فان صدر ذلك عن علم فهو عناد اقبح من الشرك واعظم اثما عند الله فان المشرك
المقر بصفات الرب خير من المعطل الجاحد لصفات كماله كما ان من اقر بالملك
للملك ولم يجحد ملكه ولا الصفات التي استحق بها الملك لكن جعل معه شريكا في بعض
الامور يتقرب اليه خير ممن جحد صفات الملك وما يكون به الملك ملكا هذا امر مستقر
في سائر الفطر والعقول فاين القدح في صفات الكمال والجحد لها من عبادة
واسطة بين المعبود الحق وبين العابد يتقرب اليه بعبادة تلك الواسطة اعظاما له
واجلالا فداء التعطيل هذا الداء العضال الذي لا دواء له ولهذا حكى الله عن
امام المعطلة فرعون انه انكر على موسى ما اخبر به من ان ربه فوق السموات فقال
يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا واحتج الشيخ ابو الحسن الاشعري
في كتبه على المعطلة بهذه الآية وقد ذكرنا لفظه في غير هذا الكتاب وهو كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة
والجهمية في اثبات العلوم والقول على الله بلا علم والشرك متلازمان ولما كانت هذه البدع
المضلة جهلا بصفات الله وتكذيبا بما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسوله صلى الله
عليه وسلم عنادا وجهلا كانت من اكبر الكبائر ان قصرت عن الكفر وكانت ا

الى ابليس من كبائر الذنوب كما قال بعض السلف البدعة احب الى ابليس من المعصية
لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال ابليس لعنه الله اهلكت بنى آدم
بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم
يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومعلوم ان المذنب انما ضرره على نفسه
وان المبتدع ضرره على النوع وفتنة المبتدع فى اصل الدين وفتنة المذنب فى الشهوة
والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع قادح
فى اوصاف الرب وكماله والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول صلى
الله عليه وسلم والعاصى ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصى بطىء السير بسبب ذنوبه

فصل

ثم لما كان الظلم والعدوان منافيان للعدل الذى قامت به السموات والارض وارسل
الله سبحانه رسله صلى الله عليهم وسلم وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كان اى الظلم من اكبر الكبائر
115 عند الله وكانت درجته فى العظمة بحسب مفسدته فى نفسه وكان قتل الانسان ولده
الطفل الصغير الذى لا ذنب له وقد جبل الله سبحانه القلوب على محبته ورحمته وعطفها عليه
وخص الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة فقتله خشية ان يشاركه فى مطعمه ومشربه وماله من
اقبح الظلم واشده وكذلك قتله ابويه اللذين كانا سبب وجوده وكذلك قتله ذا رحمه
وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله السعى فى ابقائه ونصيحته
ولهذا كان اشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا او قتله نبى ويليه من قتل اماما عادلا
او عالما يأمر الناس بالقسط ويدعوهم الى الله سبحانه وينصحهم فى دينهم وقد جعل الله سبحانه
جزاء قتل النفس المؤمنة عمدا الخلود فى النار وغضب الجبار ولعنته واعداد العذاب
العظيم له هذا موجب قتل المؤمن عمدا ما لم يمنع منه مانع ولا خلاف ان الاسلام الواقع بعد القتل طوعا
واختيارا مانع من نفوذ ذلك الجزاء وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه فيه قولان للسلف
والخلف وهما روايتان عن احمد والذين قالوا لا تمنع التوبة من نفوذه رأوا انه حق لآدمى
لم يستوفه فى دار الدنيا وخرج منها بظلامته فلا بد ان يستوفى له فى دار العدل قالوا وما استوفاه

الوارث فانما استوفى محض حقه الذي خيره الله بين استيفائه والعفو عنه وما ينفع المقتول من
استيفاء وارثه واي استدراك لظلامته حصل له باستيفاء وارثه وهذا اصح القولين في المسألة ان حق المقتول لا يسقط باستيفاء
الوارث وهي وجهان لاصحاب الشافعي واحمد وغيرهما ورأت طائفة انه يسقط بالتوبة واستيفاء الوارث فان التوبة تهدم ما قبلها والذنب بهما
الذي قد جناه قد اقيم عليه حده قالوا واذا كانت التوبة تمحو اثر الكفر والسحر وهما اعظم اثما من القتل فكيف تقصر عن محو اثره
القتل وقد قبل الله توبة الكفار الذين قتلوا اولياءه وجعلهم من خيار عباده ودعا الذين احرقوا اولياءه وفتنوهم عن دينهم ودعاهم الى اوليائهم
التوبة وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا في فهذه
حق القاتل وهي تتناول الكفر فما دونه قالوا وكيف يتوب العبد من الذنب ويعاقب عليه بعد التائب وما
التوبة هذا معلوم انتفاؤه في شرع الله وجزائه قالوا وتوبة هذا المذنب تسليم نفسه ولا
يمكن تسليمها الى المقتول فاقام الشارع وليه مقامه وجعل تسليم
النفس اليه كتسليمها الى المقتول بمنزلة تسليم المال الذي عليه لوارثه فانه يقوم مقام تسليمه للوارث للموروث
والتحقيق في المسألة ان القتل يتعلق به ثلثة حقوق حق لله وحق للمظلوم المقتول ثلثة ١١٩
وحق للولي فاذا اسلم القاتل نفسه طوعا واختيارا الى الولي ندما على ما فعل خوفا من الله
وتوبة نصوحا فقط حق الله بالتوبة وحق الولي بالاستيفاء او الصلح او العفو وبقي حق المقتول يعوضه يسقط
الله عنه يوم القيمة عن عبده التائب المحسن ويصلح بينه وبينه فلا يبطل حق هذا ولا تبطل توبة يذهب
هذا واما مسألة المال فقد اختلف فيها فقالت طائفة اذا ادى ما عليه من المال الى
الوارث فقد برئ من عهدته في الآخرة كما برئ منها في الدنيا وقالت طائفة بل
المطالبة لمن ظلمه اخذه باقية عليه يوم القيمة وهو لم يستدرك ظلامته باخذ وارثه له فانه باخذه
منعه من انتفاعه به في طول حياته ومات ولم ينتفع به فهذا ظلم لم يستدركه وانما ينتفع به عن وهذا
غيره بادراكه وبنوا هذا على انه لو انتقل من واحد الى واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة باستدراكه على الاول الوارثة
للجميع لانه حق كان يجب عليه دفعه الى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث وهذا قول
طائفة من اصحاب مالك واحمد وفصل شيخنا رحمه الله بين الطائفتين فقال ان تمكن الوارث الموروث
من اخذ ماله والمطالبة به فلم ياخذه حتى مات صارت المطالبة به للوارث في الآخرة كما هي
له كذلك في الدنيا وان لم يتمكن من طلبه واخذه بل حال بينه وبينه ظلما وعدوانا فالطلب له

في الآخرة وهذا التفصيل من احسن ما يقال فان المال اذا استهلكه الظالم على الوارث
وتعذر اخذه منه صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل وداره الذي احرقها غيره وطعامه وشرابه
الذي اكله وشربه غيره ومثل هذا انما تلف على الموروث لا على الوارث فحق المطالبة لمن
تلف على ملكه فينبغي ان يقال فاذا كان المال عقارا او ارضا او اعيانا قائمة باقية
بعد الموت فهي ملك للوارث يجب على الغاصب دفعها اليه كل وقت واذا لم تدفع
اليه اعيان ماله استحق المطالبة بها عند الله تعالى كما يستحق المطالبة بها في الدنيا وهذا اسوا
قوي لا مخلص منه الا ان يقال المطالبة لهما جميعا كما لو غصب مالا مشتركا بين جماعة
استحق كل منهم المطالبة بحقه منه وكما لو استولى على وقف مترتب على بطون فابطل حق
البطون كلهم منه كانت المطالبة يوم القيمة لجميعهم ولم يكن لبعضهم اولى بها من بعض والله اعلم

فصل

ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة قال الله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني
اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد اشكل فهم هذا على كثير من الناس فقالوا معلوم
ان اثم قاتل مائة اعظم اثما عند الله من اثم قاتل نفس واحدة وانما اتوا من ظنهم ان التشبيه
في مقدار الاثم والعقوبة والقول لم يدل على هذا ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء اخذه بجميع احكامه وقد قال تعالى
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم
يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك لا يوجب ان لبثهم في الدنيا انما كان هذا المقدار
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن
صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله اي مع العشاء كما جاء في لفظ آخر واصرح من هذا قوله من صام رمضان ثم اتبعه
ستا من شوال فكانما صام الدهر وقوله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد
فكانما قرا ثلث القرآن ومعلوم ان ثواب فاعل هذه الاشياء لم يبلغ ثواب المشبه
به فيكون قدرهما سواء ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي الفجر والعشاء في جماعة في
قيام الليل منفعة غير التعب والنصب وما اوتي احد بعد الايمان افضل من الفهم

الموروث — التي احرقها — فينبغي — فاذا — بهما — مترتب — 117 — بستا — لم — بعينه

عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال قيل ففي اي شيء وقع
التشبيه بين قاتل نفس واحدة وبين قاتل الناس جميعا قيل في وجوه متعددة احدها ان كل واحد منهما عاص
لله ورسوله صلى الله عليه وسلم مخالف لامره متعرض لعقوبته وكل منهما قد باء بغضب
من الله ولعنته واستحقاق الخلود في نار جهنم واعد له عذابا عظيما وان تفاوتت درجات درکات
العذاب فليس اثم من قتل نبيا او اماما عادلا او عالما يأمر الناس بالقسط كمن قتل
من لا مزية له من آحاد الناس الثاني انهما سواء في استحقاق ازهاق النفس الثالث
انهما سواء في الجرأة على سفك الدم الحرام فان من قتل نفسا بغير استحقاق بل على
لمجرد الفساد في الارض او لاخذ ماله فانه يجترئ على قتل كل من ظفر به وامكنه قتله فهو معاد بتجرد
للنوع الانساني ومنها انه يسمى قاتلا او فاسقا او ظالما او عاصيا بقتله
واحدا كما يسمى كذلك بقتله الناس جميعا ومنها ان الله سبحانه جعل المؤمنين في
توادهم وتراحمهم وتعاطفهم وتواصلهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالحمى والسهر فاذا اتلف القاتل عضوا من ذلك الجسد فكانما اتلف سائر الجسد والم
جميع اعضائه فمن آذى مؤمنا واحدا فقد آذى جميع المؤمنين وفي اذى جميع المؤمنين فكانما
اذى جميع الناس كلهم فان الله انما يدافع عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم فايذاء الحقير
ايذاء المحقر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما بغير حق الا كان على ابن آدم الاول كفل النفس
منها لانه اول من سن القتل [illegible] اول سارق ولا اول شارب من دمها
مسكر وان كان اول المشركين قد يكون اولى بذلك من اول قاتل لانه اول من
سن الشرك ولهذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي الخزاعي يعذب اعظم باعظم
العذاب في النار لانه اول من غير دين ابراهيم عليه السلام وقد قال تعالى ولا تكونوا
اول كافر به اي فيقتدي بكم من بعدكم فيكون اثم كفره عليكم وكذلك حكم من سن سنة
سيئة فاتبع عليها وفي جامع الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده واوداجه تشخب
دما يقول يا رب سل هذا فيما قتلني فذكروا لابن عباس التوبة فتلى هذه الآية

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ثم قال ما نسخت هذه الآية ولا بدلت
وانى له التوبة قال الترمذي هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال اول ما ينتن
من الانسان بطنه فمن استطاع منكم ان لا يأكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا
يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم اهراقه فليفعل وفي جامع الترمذي عن نافع
قال نظر عبد الله بن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن عند الله
اعظم حرمة منك قال الترمذي هذا حديث حسن وفي صحيح البخاري ايضا عن ابن عمر قال صحيحة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما
حراما وذكر البخاري ايضا عن ابن عمر قال من ورطات الامور التي لا مخرج لمن اوقع
نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله وفي الصحيحين عن ابي هريرة يرفعه سباب المؤمن فسوق المسلم
وقتاله كفر وفيهما ايضا عنه صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي صحيح البخاري عنه صلى الله
عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ان ريحها يوجد من مسيرة اربعين عاما هذه عقوبة قاتل عدو الله اذا كان
معاهدا في عهده وامانه فكيف بعقوبة قاتل عبده المؤمن واذا كانت امرأة قد دخلت ١١٩ عقوبة
النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا فرآها النبي صلى الله عليه وسلم في النار
والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من حبس مؤمنا حتى مات بغير جرم
وفي بعض السنن عنه صلى الله عليه وسلم لزوال الدنيا اهون على الله من قتل
مؤمن بغير حق

فصل

ولما كانت مفسدة الزنا من اعظم المفاسد وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الانساب الفساد من
وحماية الفروج وصيانة الحرمات وتوقي ما يوقع اعظم العداوة والبغضاء بين الناس المحرمات
من افساد كل منهم امرأة صاحبه وبنته واخته وامه وفي ذلك خراب العالم
كانت تلي مفسدة القتل في الكبر ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه ورسوله
صلى الله عليه وسلم في سنته كما تقدم قال الامام احمد ولا اعلم بعد قتل النفس شيئا اعظم
من الزنا وقد اكد سبحانه حرمته بقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون

النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس
وجعل جزاء ذلك الخلود في النار في العذاب المضاعف المهين ما لم يرفع العبد موجب
ذلك بالتوبة والايمان والعمل الصالح وقد قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلاً فاخبر عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول
حتى عند كثير من الحيوانات كما ذكر البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الاودي قال الحيوان
رأيت في الجاهلية قرداً زنى بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا ثم اخبر عن
غايته بانه ساء سبيلاً فانه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب في الآخرة
وخزي ونكال ولما كان نكاح ازواج الآباء من اقبحه خصه بمزيد ذم فقال انه كان
فاحشة ومقتا وساء سبيلا وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه فلا سبيل له الى الفلاح بدونه فقال قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وهذا يتضمن ثلاثة امور من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وانه من الملومين ومن
العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم فمقاساة الم الشهوة ١٢٠
ومعاناتها ايسر من بعض ذلك ونظير هذا انه ذم الانسان وانه خلق هلوعا لا يصبر على
شر ولا خير بل اذا مسه الخير منع وبخل واذا مسه الشر جزع الا من استثناه بعد
ذلك من الناجين من خلقه فذكر منهم الذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
وامر الله تعالى نبيه ان يأمر المؤمنين بغض ابصارهم وحفظ فروجهم وان يعلمهم انه
مشاهد لاعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولما كان مبدأ ذلك
من قبل البصر جعل الامر بغضه مقدما على حفظ الفرج فان الحوادث مبدأها
من النظر كما ان معظم النار مبدأها من مستصغر الشرر ثم تكون نظرة ثم تكون خطرة
ثم خطوة ثم خطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الاربعة احرز دينه اللحظات والخطرات
واللفظات والخطوات فينبغي للعبد ان يكون بواب نفسه على هذه الابواب
الاربعة ويلازم الرباط على ثغورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما

فصل

واكثر ما تدخل المعاصي على العبد من هذه الابواب الاربعة فنذكر في كل واحد منها فصلا يليق به فاما اللحظات
الشهوات لبصره الهلاك فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها اصل حفظ الفرج فمن اطلق نظره اورده موارد الهلاك
الآخرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الثانية
وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن
يلقاه امراة او امرد لله اورث الله في قلبه حلاوة العبادة الى يوم القيمة هذا معنى الحديث وقال غضوا ابصاركم
في واحفظوا فروجكم وقال اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا ما لنا بد منها
قال فان كنتم لا بد فاعلين فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه قال غض البصر وكف الاذى
ورد السلام والنظر اصل عامة الحوادث التي تصيب الانسان فان النظرة تولد خطرة ثم تولد
الخطرة فكرة ثم تولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة ارادة ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل
١٢١ الطرف ولا بد ما لم يمنع منه مانع وفي هذا قيل الصبر على غض البصر ايسر من الصبر على الم ما بعده ولهذا
قال الشاعر ؎ كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر * كم نظرة بلغت
في قلب صاحبها * كمبلغ السهم بين القوس والوتر * والعبد ما دام ذا طرف يقلبه * في اعين
من آفات النظر العين موقوف على الخطر * يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور عاد بالضرر * ومن آفاته انه
يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من
على بعضه اعظم العذاب ان ترى ما لا صبر لك عنه ولا عن بعضه ولا قدرة لك عليه قال الشاعر ؎
انت وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر * رايت الذي لا كله انت قادر *
عليه ولا عن بعضه انت صابر * وهذا البيت يحتاج الى شرح ومراده انك ترى ما لا
على شيء منه على الكل تصبر عن شيء منه ولا تقدر عليه فان قوله لا كله انت قادر عليه نفي لقدرته على الكل الذي
فرد فرد ممن ارسل لا ينتفي الا بنفي القدرة عن كل فرد فرد وكم من مرسل لحظاته فما اقلعت الا وهو يتشحط بينهن
قتيلا كما قيل ؎ يا ناظرا ما اقلعت لحظاته * حتى تشحط بينهن قتيلا * ولي من ابيات ؎ مل السلامة فاغتدت لحظاته
يتبع اثره وقفا على طلل يظن جميلا * ما زال يتبع اثره لحظاته * حتى تشحط بينهن قتيلا * ومن العجب ان لحظة الناظر

سهم لا يصل الى المنظور اليه حتى يتبوء مكانا من قلب الناظر ولى من قصيدة ٥

يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا * انت القتيل بما ترمى فلا تصب * وباعث الطرف يرتاد الشفاء له * احبس رسولك لا ياتيك بالعطب * واعجب من ذلك ان النظرة تجرح القلب جرحا فيتبعها جرح على جرح ثم لا يمنعه الم الجراحة من استدعا تكرارها ولى ايضا فى هذا المعنى ٥ ما زلت تتبع نظرة فى نظرة * فى اثر كل مليحة ومليح * وتظن ذاك دواء جرحك وهو فى التحقيق تجريح على تجريح * فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكا * فالقلب منك ذبيح اى ذبيح * وقد قيل ان حبس اللحظات ايسر من دوام الحسرات

فصل

واما الخطرات فشانها اصعب فانها مبدأ الخير والشر ومنها تتولد الارادات والهمم والعزائم فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له اغلب ومن استهان بالخطرات قادته قسرا الى الهلكات ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير منى باطلة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب واخس الناس همة واوضعهم نفسا من رضى من الحقائق بالامانى الكاذبة واستجلبها لنفسه وتحلى بها وهى لعمر الله رؤس اموال المفلسين ومتاجر الباطلين وهى قوت النفس الفارغة التى قد قنعت من الوصل بزورة الخيال ومن الحقائق بكواذب الآمال كما قال الشاعر ٥ امانى من سعدى رواء على الظما سقتنا بها سعدى على ظما بردا * منى ان تكن حقا تكن احسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا * وهى اضر شئ على الانسان وتتولد من العجز والكسل وتولد التفريط والاضاعة والحسرة والندامة والمتمنى لما فاته مباشرة الحقيقة بجسمه تحت صورتها فى قلبه وعانقها وضمها اليه فقنع بوصال صورة وهمية خيالية صورها فكره وذلك لا يجدى عليه شيئا وانما مثله مثل الجائع والظمآن يصور فى وهمه صورة الطعام والشراب وهو ياكل ويشرب والسكون الى ذلك واستحلاؤه يدل على خساسة النفس ووضاعتها وانما شرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوها بان تنفى عنها كل خطرة لا حقيقة لها ولا ترضى ان يخطرها ببالها ويأنف لنفسه منها ثم الخطرات بعد اقسام تدور على اربعة اصول خطرات يستجلب بها العبد منافع

من سهام

اثر

تلك

قسرا

١٢٢

دنياه وخطرات يستدفع بها مضار دنياه وخطرات يستجلب بها مصالح آخرته
وخطرات يستدفع بها مضار آخرته فليحصر العبد خطراته وافكاره وهمومه في هذه الاقسام
الاربعة فاذا انحصرت فيها فما امكن اجتماعه منها لم يتركه لغيره واذا تزاحمت عليه الخطرات
لتزاحم متعلقاتها قدم الاهم فالاهم الذي يخشى فوته واخر الذي ليس باهم ولا يخاف
فوته بقي قسمان آخران احدهما مهم لا يفوت والثاني غير مهم ولكنه يفوت ففي كل
منهما ما يدعو الى تقديمه فهنا يقع التردد والحيرة فيه فان قدم الاهم خشي فوات ما دونه وان النهم
قدم ما دونه فاته الاشتغال به عن المهم وذلك بان يعرض له امران لا يمكن الجمع بينهما
ولا يحصل احدهما الا بتفويت الآخر فهو موضع استعمال العقل والفقه والمعرفة ومن فهذا
هٰهنا ارتفع من ارتفع وانجح من انجح وخاب من خاب فاكثر من ترى ممن يعظم
عقله ومعرفته يؤثر غير المهم الذي لا يفوت على المهم الذي يفوت ولا تجد احدا يسلم من
ذلك ولكن مستقل ومستكثر والتحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي يكون عليها مدار
الشرع والقدر واليها يرجع الخلق والامر وهي ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما وان فاتت ١٢٣
المصلحة التي هي دونها والدخول في ادنى المفسدتين لدفع ما هو اكبر منهما فتفوت مصلحة
لتحصيل ما هو اكبر منهما ويرتكب مفسدة لدفع ما هو اعظم منها فخطرات العاقل وفكره ليحصل
لا يتجاوز ذلك وبذلك جاءت الشرائع ومصالح الدنيا والآخرة لا تقوم الا على
ذلك واعلى الفكر واجلها وانفعها ما كان لله والدار الآخرة فما كان لله فهو انواع
النوع الاول الفكرة في آياته المنزلة وتعقلها وفهمها وفهم مراده منها ولذلك انزلها احدها
الله تعالى لا لمجرد التلاوة بل التلاوة وسيلة قال بعض السلف انزل القرآن ليعمل به
فاتخذوا تلاوته عملا الثاني الفكرة في آياته المشهودة والاعتبار بها والاستدلال بها
على اسمائه وصفاته وحكمته واحسانه وبره وجوده وقد حث الله سبحانه عباده ففي
على التفكر في آياته وتدبرها وتعقلها وذم الغافل عن ذلك الثالث الفكرة الفكرة
في آلائه واحسانه وانعامه على خلقه باصناف النعم وسعة مغفرته ورحمته وحلمه
وهذه الانواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه ودوام

الفكرة فى ذلك مع الذكر يصبغ القلب فى المعرفة والمحبة صبغة تامة الرابع الفكرة فى
عيوب النفس وآفاتها وفى عيوب العمل وهذه الفكرة عظيمة النفع وهذا باب
لكل خير وتأثيرها فى كسر النفس الامارة بالسوء ومتى كسرت عاشت النفس المطمئنة
وانتعشت وصار الحكم لها فحى القلب ودارت كلمته فى مملكته وبث امراءه وجنوده
فى مصالحه الخامس الفكرة فى واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه فالعارف
ابن وقته فان اضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح انما تنشأ من الوقت
وان ضيعه لم يستدركه ابدا قال الشافعى رضى الله عنه صحبت الصوفية فلم استفد ضياع الوقت
منهم سوى حرفين احدهما قولهم الوقت سيف فان قطعته والا قطعك ونفسك ان لم تقطعه قطعك
اشغلتها بالحق والا اشتغلتك بالباطل فوقت الانسان هو عمره فى الحقيقة وهو
مادة حياته الابدية فى النعيم المقيم ومادة المعيشة الضنك فى العذاب الاليم وهو يمر
اسرع من مر السحاب فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وغير ذلك ليس ۱۳۴
محسوبا من حياته وان عاش فيه عيش البهائم فاذا قطع وقته فى الغفلة والشهوة
والامانى الباطلة وكان خير ما قطعه بالنوم والبطالة فموت هذا خير له من حياته واذا
كان العبد وهو فى الصلوٰة ليس له من صلاته الا ما عقل منها فليس له من عمره الا ما كان فيه بالله
ولله وما عدا هذه الاقسام من الخطرات والفكر فاما وساوس شيطانية واما امانى
باطلة وخدع كاذبة بمنزلة خواطر المصابين فى عقولهم من السكارى والمحشوشين
والموسوسين ولسان حال هؤلاء تقول عند انكشاف الحقائق ؎ ان كان منزلتى
فى الحب عندكم * ما قد لقيت فقد ضيعت ايامى * امنية ظفرت روحى بها زمنا بنفسى قلبى
واليوم احسبها اضغاث احلامى * واعلم ان ورود الخاطر لا يضر وانما يضر استدعاؤه
ومحادثته فالخاطر كالمار على الطريق فان لم تستدعه وتركه مر وانصرف عنك وان
استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره وهو اخف شئ على النفس الفارغة الباطلة
واثقل شئ على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة وقد ركب الله سبحانه فى
الانسان نفسان نفسا امارة ونفسا مطمئنة وهما متعاديتان فكلما خف على هذه

ثقل على هذه وكلما التفت به هذه تألمت به الاخرى فليس على النفس الامارة اشق
من العمل لله وايثار رضاه على هواها وليس لها انفع منه وكذا ليس على النفس المطمئنة
اشق من العمل لغير الله واجابة داعي الهوى وليس عليها شيء اضر منه والملك مع هذه
عن يمين القلب والشيطان مع تلك عن يسرة القلب والحروب مستمرة لا تنقضي ابدا
الا ان تستوفي اجلها من الدنيا والباطل كله يتحيز مع الشيطان والامارة والحق كله
يتحيز مع الملك والمطمئنة والحرب دول وسجال والنصر مع الصبر ومن صبر وصابر ورابط
واتقى الله فله العاقبة في الدنيا والآخرة وقد حكم الله تعالى حكما لا يبدل ابدا ان
العاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين فالقلب لوح فارغ والخواطر نقوش تنقش فيه
فكيف يليق بالعاقل ان يكون نقوش لوحه ما بين كذب وغرور وخدع واماني
باطلة وسراب لا حقيقة له فاي حكمة وعلم وهدى ينتقش مع هذه النقوش واذا
اراد ان ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم النافع في محل مشغول
بكتابة ما لا منفعة فيه فان لم يفرغ القلب من الخواطر الردية لم تستقر فيه الخواطر
النافعة فانها لا تستقر الا في محل فارغ كما قيل ؎ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
فصادف قلبا فارغا فتمكنا ٭ ولهذا الكثير من ارباب السلوك بنوا سلوكهم على حفظ الخواطر
وان لا يمكنوا خاطرا يدخل قلوبهم حتى تصير القلوب فارغة قابلة للكشف وظهور حقائق
العلويات فيها وهؤلاء حفظوا شيئا وغابت عنهم اشياء فانهم اخلوا القلوب من ان
يطرقها خاطر فبقيت فارغة لا شيء فيها فصادفها الشيطان خالية فبذر فيها الباطل
في قوالب وهمهم انها اعلى الاشياء واشرفها وعوضهم بها عن الخواطر التي هي مادة العلم
والهدى واذا خلى القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحل خاليا فشغله بما
يناسب حال صاحبه حيث لم يستطع ان يشغله بالخواطر السفلية فشغله بالعلوية
فشغله بارادة التجريد والفراغ من الارادة التي لا صلاح للعبد ولا فلاح الا بان تكون
هي المستولية على قلبه وهي ارادة مراد الله الديني الامري الذي يحبه ويرضاه وشغل
القلب واهتمامه بمعرفته على التفصيل به والقيام به وتنفيذه في الخلق والتطرق الى

يمنة يسرة

١٢٥

ذلک والتوصل الیه بالدخول فی الخلق لتنفیذه فیر طلم الشیطان عن ذلک بان
دعاهم الی ترکه وتعطیله من باب الزهد فی خواطر الدنیا واسبابها واوهمهم ان الکمال
فی ذلک التجرید والفراغ وهیهات هیهات انما الکمال فی امتلاء القلب من السر
من الخواطر والارادات والفکر فی تحصیل مراضی الرب تعالی من العبد ومن الناس والفکر
فی طرق ذلک والتوصل الیه فاکمل الناس اکثرهم خواطر وفکرا وارادات لذلک کما ان انقص الناس
اکثرهم خواطر وفکرا وارادات لحظوظه وهواه این کانت والله المستعان وهذا عمر بن
الخطاب رضی الله عنه کانت تتزاحم علیه الخواطر فی مرضات الرب تعالی فربما استعملها
فی صلاته فکان یجهز جیشه وهو فی صلاته فیکون قد جمع بین الصلوة والجهاد وهذا من
باب تداخل العبادات فی العبادة الواحدة وهو من باب عزیز شریف لا یعرفه
الا صادق حاذق القلب متضلع من العلم عالی الهمة بحیث یدخل فی عبادة یظفر فیها بالعبادات
شتی وذلک فضل الله یؤتیه من یشاء *

فصل

واما اللفظات فحفظها بان لا یخرج لفظة ضائعة بل لا یتکلم الا فیما یرجو فیه الربح والزیادة
فی دینه فاذا اراد ان یتکلم بالکلمة نظر هل فیها ربح او فائدة ام لا فان لم یکن فیها ربح
امسک عنها وان کان فیها ربح نظر هل تفوته بها کلمة هی اربح منها فلا یضیعها بهذه
واذا اردت ان تستدل علی ما فی القلب فاستدل علیه بحرکة اللسان فانه
یطلعک علی ما فی القلب شاء صاحبه ام ابی قال یحیی بن معاذ القلوب کالقدور
تغلی بما فیها والسنتها مغارفها فانظر الرجل حین یتکلم فان لسانه یغترف لک مما فی
قلبه حلو وحامض وعذب واجاج وغیر ذلک ویبین لک طعم قلبه اغتراف لسانه
ای کما تطعم بلسانک طعم ما فی القدور من الطعام فتدرک العلم بحقیقته کذلک تطعم ما
فی قلب الرجل من لسانه فتذوق ما فی قلبه من لسانه کما تذوق ما فی القدر بلسانک وفی حدیث انس المرفوع
لا یستقیم ایمان عبد حتی یستقیم قلبه ولا یستقیم قلبه حتی یستقیم لسانه وسئل النبی
صلی الله علیه وسلم عن اکثر ما یدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال الترمذی حدیث

حسن صحيح وقد سأل معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده
من النار فأخبره صلى الله عليه وسلم برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال الا اخبركم
بملاك ذلك كله قال بلى يا رسول الله فاخذ بلسان نفسه ثم قال كف عليك
هذا فقال وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس
في النار على وجوههم او على مناخرهم الا حصائد السنتهم قال الترمذي حديث حسن صحيح
ومن العجب ان الانسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من اكل الحرام والظلم والزنا
والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه
حتى يرى الرجل يشار اليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بالكلمات
لها بال يزل بالكلمة الواحدة منها ابعد مما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل بالا
متورع عن الفواحش والظلم ولسانه تفري في اعراض الاحياء والاموات ولا يبالي
ما يقول واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما رواه مسلم في صحيحه من حديث
۱۲۷ جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل والله لا يغفر
الله لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى علي اني لا اغفر لفلان قد غفرت له
واحبطت عملك فهذا العابد الذي قد عبد الله ما شاء ان يعبده احبطت هذه الكلمة
الواحدة عمله كله وفي حديث ابي هريرة نحو ذلك ثم قال ابو هريرة تكلم بكلمة اوبقت دنياه
وآخرته وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بال يرفعه الله بها درجات وان العبد بالا
ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بال يهوي بها في نار جهنم وعند مسلم ان العبد بالا
ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها في النار ابعد مما بين المغرب والمشرق وعند الترمذي يهوي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث بلال بن الحارث المزني ان احدكم ليتكلم
بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم
يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له
بها سخطه الى يوم يلقاه فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث حديث

وفي جامع الترمذي ايضا من حديث انس قال توفي رجل من الصحابة فقال رجل ابشر بالجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا تدري لعله تكلم فيما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال [illegible]
حديث حسن وفي لفظ ان غلاما استشهد يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع
فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك يابني الجنة فقال رسول الله صلى الله عن
عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي الصحيحين من حديث
ابي هريرة يرفعه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفي لفظ لمسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاذا شهد امرا فليتكلم بخير او ليسكت وذكر الترمذي باسناد فليقل خيرا
صحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وعن سفيان بن عبد الله
الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال
قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان
نفسه ثم قال هذا والحديث صحيح وعن ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام [illegible]
ابن آدم عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله عز وجل قال الترمذي حديث
حسن وفي حديث آخر اذا اصبح العبد فان الاعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله
فانما نحن بك فاذا استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وقد كان بعض السلف فانما
يحاسب احدهم نفسه في قوله يوم حار ويوم بارد ولقد رؤي بعض الاكابر من اهل العلم في النوم
بعد موته فسئل عن حاله فقال انا موقوف على كلمة قلتها قلت ما احوج الناس الى
غيث فقيل لي وما يدريك انا اعلم بمصلحة عبادي وقال بعض الصحابة لخادمه يوما ائت لخادمه
بالسفرة نعبث بها ثم قال استغفر الله ما اتكلم بكلمة الا وانا اخطمها وازمها الا هذه الكلمة خرجت
مني بغير خطام ولا زمام او كما قال وايسر حركات الجوارح حركة اللسان وهي اضرها
على العبد واختلف السلف والخلف هل يكتب جميع ما يلفظ به او الخير والشر فقط على قولين
اظهرهما الاول وقال بعض السلف كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ما كان من ذكر الله
وما والاه وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول هذا اوردني الموارد والكلام بلسانه
اسيرك فاذا خرج من فيك صرت اسيره والله عند لسان كل قائل وما يلفظ من

قوله الا لديه رقيب عتيد وفي اللسان آفتان عظيمتان ان خلص العبد من احدهما
لم يخلص من الاخرى آفة الكلام وآفة السكوت وقد يكون كل منهما اعظم اثما من الاخرى
في وقتها فالساكت عن الحق شيطان اخرس عاص لله مراء مداهن اذا لم يخف على
نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله واكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم
بين هذين النوعين واهل الوسط وهم اهل الصراط المستقيم كفوا السنتهم عن الباطل
واطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة فلا يرى احدهم انه يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة
بلا منفعة فضلا ان تضره في آخرته وان العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات امثال الجبال كامثال
فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها ويأتي بسيئات امثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر
الله عز وجل وما اتصل به

فصل

واما الخطوات فحفظها بان لا ينقل قدمه الا فيما يرجو ثوابه عند الله تعالى فان لم يكن
١٣٩ في خطاه مزيد ثواب فالقعود عنها خير له ويمكنه ان يستخرج من كل مباح يخطو اليه
قربة يتقرب بها وينويها لله فيقع خطاه قربة وتنقلب عاداته عبادة ومباحاته طاعات ولما كانت العثرة
عثرتين عثرة الرجل وعثرة اللسان جاءت احدهما قرينة الاخرى في قوله تعالى وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فوصفهم بالاستقامة
في لفظاتهم وخطواتهم كما جمع بين اللحظات والخطرات في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور

فصل

وهذا كله ذكرناه مقدمة بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج وقد قال صلى
الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه
وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة وهذا الحديث في اقتران الزنا بالكفر وقتل النفس نظير الآية التي في بالشرك
الفرقان ونظير حديث ابن مسعود وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاكثر وقوعا ثم بالذي يليه فالزنا اكثر وقوعا الفرآن

من قتل النفس وقتل النفس أكثر وقوعاً من الردة نعوذ بالله منهما وأيضاً فإنه انتقال
من الأكبر إلى ما هو أكبر منه مفسدة ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم فإن المرأة إذا
زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها ونكست رؤسهم بين الناس وإن
حملت من الزنا فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل وإن حملته الزوج
أدخلت على أهلها وأهله أجنبياً ليس منهم فورثهم وليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب
إليهم وليس منهم إلى غير ذلك من مفاسد زناها وأما زنا الرجل فإنه يوجب اختلاط
الأنساب أيضاً وإفساد المرأة المصونة وتعريضها للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب
الدنيا والدين وإن عمرت القبور في البرزخ والنار في الآخرة فكم في الزنا من استحلال
محرمات وفوات حقوق ووقوع مظالم ومن خاصيته أنه يوجب الفقر ويقصر العمر
ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس ومن خاصيته أيضاً أنه يشتت
القلب ويمرضه إن لم يمته ويجلب الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك
ويقربه من الشيطان فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته ولهذا شرع فيه (ويبعدا يقربه منه)
القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمته قتلت كان
أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت وقال سعد بن عبادة رضي الله عنه لو رأيت
رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن متفق عليه وفي الصحيحين أيضاً عنه صلى الله
عليه وسلم إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه
وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش (لأجل)
ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل (المرسلين)
مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك أثنى على
نفسه وفي الصحيحين في خطبته صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف أنه قال يا أمة محمد
والله إنه لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم

لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم رفع يديه فقال اللهم هل بلغت وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها
عقيب صلوة الكسوف سر بديع لمن تأمله وظهور الزنا من امارات خراب العالم وهو
من اشراط الساعة كما في الصحيحين عن انس بن مالك انه قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكموه
احد بعدي سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اشراط الساعة ان يرفع
العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين
امراة القيم الواحد وقد جرت سنة الله سبحانه في خلقه انه عند ظهور الزنا يغضب الله سبحانه وتعالى
ويشتد غضبه فلا بد ان يؤثر غضبه في الارض عقوبة قال عبد الله بن مسعود ما ظهر الربوا
والزنا في قرية الا اذن الله باهلاكها ورأى بعض احبار بني اسرائيل ابنا له يغامز امراة
فقال مهلا يا بني فصرع الاب عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقيل له
هكذا غضبك لي لا يكون في جنسك خير ابدا وخص سبحانه حد الزنا من بين سائر الحدود
بثلث خصائص احدها القتل فيه على اشنع القتلات وحيث خففه فجمع فيه بين العقوبة
على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة الثاني انه نهى عباده ان تأخذهم
بالزناة رأفة في دينه بحيث تمنعهم من اقامة الحد عليهم فانه سبحانه من رأفته بهم ورحمته
بهم شرع هذه العقوبة فهو ارحم بكم منكم بهم ولم تمنعه رحمته من امره بهذه العقوبة فلا يمنعكم انتم
ما يقوم بقلوبكم من الرأفة من اقامة امره وهذا وان كان عاما في سائر الحدود ولكن ذكر
في حد الزنا خاصة لشدة الحاجة الى ذكره فان الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة
على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر فقلوبهم ترحم الزاني اكثر
مما ترحم غيره من ارباب الجرائم والوقائع والواقع شاهد بذلك فنهوا ان تأخذهم هذه الرأفة
وتحملهم على تعطيل حد الله عز وجل وسبب هذه الرحمة ان هذا ذنب يقع من الاشراف
والاوساط والاراذل وفي النفوس اقوى الدواعي اليه والمشارك فيه كثير واكثر اسبابه
العشق والقلوب مجبولة على رحمة العاشق وكثير من الناس يعد مساعدته طاعة وقربة
وان كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه ولا يستنكر هذا الامر فانه مستقر عند ما شاء الله
من اشباه الانعام ولقد حكي لنا من ذلك شيء كثير اكثره عن ناقصي العقول والاديان

وقال

غضبت
بالشنع
۱۳۱

حدود هذه
الارذال

فهو

كالخدم والنساء وايضا فان هذا ذنب غالب ما يقع مع التراضي من الجانبين فلا كالخدام ولا
يقع فيه من العدوان والظلم والاغتصاب ما تنفر النفوس منه وفيهما شهوة غالبة له تتقاضاه
ذلك بنفسها فتقوم بها رحمة تمنع اقامة الحد وهذا كله من ضعف الايمان وكمال الايمان
ان تقوم به قوة يقيم بها امر الله ورحمة يرحم بها المحدود فيكون موافقا لربه سبحانه في
امره ورحمته الثالث انه سبحانه امر ان يكون حدهما بمشهد من المؤمنين فلا يكون في خلوة
حيث لا يراهما احد وذلك ابلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر وحد الزاني المحصن مشتق من عقوبة
الله تعالى لقوم لوط بالقذف بالحجارة وذلك لاشتراك الزنا واللواط في الفحش وفي
كل منهما فساد يناقض حكمة الله في خلقه وامره فان في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر
والتعداد ولان يقتل المفعول به خير له من ان يؤتى فانه يفسد فسادا لا يرجى له بعده صلاح
ابدا ويذهب خيره كله وتمص الارض ماء الحياء من وجهه فلا يستحيي بعد ذلك لا من الله
ولا من خلقه وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعمل السم في البدن وقد اختلف الناس ١٣٣
هل يدخل الجنة مفعول به على قولين سمعت شيخ الاسلام رحمه الله يحكيهما والذين قالوا
لا يدخل الجنة احتجوا بامور منها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا فاذا
كان هذا حال ولد الزنا مع انه لا ذنب له في ذلك ولكنه مظنة كل شر وخبث وهو جدير
ان لا يجيء منه خير ابدا لانه مخلوق من نطفة خبيثة واذا كان الجسد الذي تربى على الحرام
النار اولى به فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام قالوا والمفعول به شر من ولد الزنا
واخبث وافحش وهو جدير ان لا يوفق لخير وان يحال بينه وبينه وكلما عمل خيرا قيض الله له او تنح
ما يفسده عقوبة له وقل ان ترى من كان كذلك في صغره الا وهو في كبره شر مما كان
ولا يوفق لعمل صالح ولا لعلم نافع ولا توبة نصوحا والتحقيق في هذه المسألة ان يقال
ان تاب المبتلى بهذا البلاء واناب ورزق توبة نصوحا وعملا صالحا وكان في كبره
خيرا منه في صغره وبدل سيئاته بحسنات وغسل عار ذلك عنه بانواع الطاعات
والقربات وغض بصره وحفظ فرجه عن المحرمات وصدق الله في معاملته فهذا
مغفور له وهو من اهل الجنة فان الله يغفر الذنوب جميعا واذا كانت التوبة تمحو

كل ذنب حتى الشرك بالله وقتل انبيائه واوليائه والسحر والكفر وغير ذلك فلا تقصر عن
محو هذا الذنب وقد استقرت حكمة الله به عدلا وفضلا ان التائب من الذنب كمن
لا ذنب له وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنا انه يبدل
سيئاته حسنات وهذا حكم عام لكل تائب من كل ذنب وقد قال تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ولكن هذا في حق التائبين خاصة واما مغفول به
كان في كبره شرا مما كان في صغره لم يوفق لتوبة نصوحا ولا لعمل صالح ولا استدرك ما فات
ولا احيى ما مات ولا بدل السيئات بالحسنات فهذا البعيد ان يوفق عند الممات لخاتمة
يدخل بها الجنة عقوبة له على عمله فان الله سبحانه وتعالى ليعاقب على السيئة بسيئة اخرى
وتتضاعف عقوبة السيئات بعضها ببعض كما يثيب على الحسنة بحسنة اخرى فتضاعف
الحسنات واذا نظرت الى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة
عقوبة لهم على اعمالهم السيئة قال الحافظ ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي رحمه الله ۱۳۳
واعلم ان لسوء الخاتمة اعاذنا الله منها اسبابا لها طرق وابواب اعظمها الانكباب على
الدنيا وطلبها والحرص عليها والاعراض عن الاخرى والاقدام والجرأة على معاصي الله
عز وجل وربما غلب على الانسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية وجانب من المعاصي
الاعراض ونصيب من الجرأة والاقدام فملك قلبه وسبى عقله واطفأ نوره وارسل عليه
حجبه فلم تنفع فيه تذكرة ولا نجعت فيه موعظة فربما جاءه الموت على ذلك فسمع النداء
من مكان بعيد فلم يتبين له المراد ولا علم ما اراد وان كرر عليه الداعي واعاد قال وقد روي
ان بعض رجال الناصر نزل به الموت فجعل ابنه يقول له قل لا اله الا الله فقال الناصر
مولاي فاعاد عليه القول فقال مثل ذلك ثم اصابته غشية فلما
افاق قال الناصر مولاي كان هذا دأبه كلما قيل له قل لا اله الا الله قال الناصر مولاي
ثم قال لابنه يا فلان الناصر انما يعرفك بسيفك والقتل القتل ثم مات على ذلك
قال عبد الحق رحمه الله وقيل لآخر ممن اعرفه قل لا اله الا الله فجعل يقول الدار الفلانية

اصلحوا فيها كذا والبستان الفلاني افعلوا فيه كذا قال وفيما اذن لي ابو طاهر السلفي ان احدث
به عنه ان رجلا نزل به الموت فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول بالفارسية ده يازده
تفسيره عشرة باحدى عشر وقيل لآخر قل لا اله الا الله فجعل يقول اين الطريق الى حمام منجاب
قال وهذا الكلام له قصة وذلك ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان بابها يشبه باب — نسخة: يشبه
هذا الحمام فمرت به جارية لها منظر فقالت اين الطريق الى حمام منجاب فقال — نسخة: هذه
هذا حمام منجاب فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها في داره وعلمت انه قد
خدعها اظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه وقالت خدعة منها له وتحيلا لتتخلص مما
اوقعها فيه وخوفا من فعل الفاحشة يصلح ان يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا
فقال لها الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها فاخذ
ما يصلح ورجع فوجدها قد خرجت وذهبت ولم تخنه في شئ فهام الرجل واكثر الذكر لها
وجعل يمشي في الطرق والازقة ويقول ؎ يا رب قائلة يوما وقد تعبت ٭ اين الطريق — نسخة: كتبت
الى حمام منجاب ٭ فبينا هو يوما يقول ذلك واذا بجارية اجابته من طاق في قربان ؎ هلا ١٣٣
جعلت سريعا اذ ظفرت بها ٭ حرزا على الدار او قفلا على الباب ٭ فازداد هيمانه واشتد — نسخة: حرسا
هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا قال ويروى ان رجلا — نسخة: على ذلك
عشق شخصا فاشتد كلفه به وتمكن حبه من قلبه حتى وقع الما به ولزم الفراش بسببه وتمنع — نسخة: علق
ذلك الشخص عليه واشتد نفاره عنه فلم تزل الوسائط يمشون بينهما حتى وعده بان يعوده
فاخبر بذلك البائس ففرح واشتد سروره وانجلى غمه وجعل ينتظر الميعاد الذي ضرب
له فبينا هو كذلك اذ جاءه الساعي بينهما فقال انه وصل معي الى بعض الطريق ورجع فرغبت
اليه وكلمته فقال انه ذكرني وبرح بي ولا ادخل مداخل الريب ولا اعرض نفسي لمواقع — نسخة: لمواضع
التهم فعاودته فابى وانصرف فلما سمع البائس ذلك اسقط في يده وعاد الى اشد
مما كان به وبدت عليه علائم الموت فجعل يقول في تلك الحال ؎ اسلم يا راحة العليل ٭ — نسخة: به
ويا شفاء المدنف النحيل ٭ رضاك اشهى الى فؤادي ٭ من رحمة الخالق الجليل ٭ فقلت
له يا فلان اتق الله قال قد كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة

الموت فعياذاً بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة ولقد بكى سفيان الثوري ليلة الى الصباح فلما اصبح قيل له كل هذا خوفاً من الذنوب فاخذ تبنة من الارض وقال الذنوب اهون من هذا وانما ابكي خوفاً من الخاتمة وهذا من اعظم الفقه ان يخاف الرجل ان تخدعه ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى وقد ذكر الامام احمد عن ابي الدرداء انه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون فمن هذا خاف السلف من الذنوب ان تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنى قال واعلم ان سوء الخاتمة اعاذنا الله تعالى منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد وانما تكون لمن له فساد في العقيدة او اصرار على الكبيرة واقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة فيأخذه قبل اصلاح الطوية ويصطلم قبل الانابة فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله قال ويروى انه كان بمصر رجل يلزم المسجد للاذان والصلاة فيه وعليه بهاء الطاعة وانوار العبادة فرقي يوماً المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة دار لنصراني فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار عليها فقالت له ما شأنك وما تريد قال اريدك قالت لماذا قال قد سلبت لبي واخذت بمجامع قلبي قالت لا اجيبك الى ريبة ابداً قال اتزوجك قالت انت مسلم وانا نصرانية وابي لا يزوجني منك قال اتنصر قالت ان فعلت افعل فتنصر الرجل ليتزوجها واقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقي الى سطح كان في الدار فسقط منه فمات فلم يظفر بها وفاته دينه

فصل

ولما كانت مفسدة اللواط من اعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من اعظم العقوبات وقد اختلف الناس هل هو اغلظ عقوبة من الزنا او الزنا اغلظ عقوبة منه او عقوبتهما سواء على ثلثة اقوال فذهب ابو بكر الصديق وعلي بن

ابي طالب وخالد بن الوليد وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وخالد بن زيد
وعبد الله بن معمر والزهري وربيعة بن ابي عبد الرحمن ومالك واسحق بن راهويه والامام
احمد في اصح الروايتين عنه والشافعي في احد قوليه الى ان عقوبته اغلظ من عقوبة الزنا اعظم
وعقوبته القتل على كل حال محصنا كان او غير محصن وذهب عطاء بن ابي رباح
والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وقتادة والاوزاعي والشافعي في
ظاهر مذهبه والامام احمد في الرواية الثانية عنه وابو يوسف ومحمد الى ان عقوبته عقوبة
الزاني سواء وذهب الحكم والامام ابو حنيفة الى ان عقوبته دون عقوبة الزاني وهي التعزير الزنا الحكم
قالوا لانه معصية من المعاصي لم يقدر الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فيه حدا مقدرا
فكان فيه التعزير كاكل الميتة والدم ولحم الخنزير قالوا ولانه وطي في محل لا تشتهيه الطباع الطباع
بل ركبها الله تعالى على النفرة منه حتى الحيوان البهيم فلم يكن فيه حد كوطي الحمار وغيره قالوا
ولانه لا يسمى زانيا لغة ولا شرعا ولا عرفا فلا يدخل في النصوص من الدلالة على حد الزانيين
قالوا ولانا رأينا قواعد الشريعة ان المعصية اذا كان الوازع عنها طبيعيا اكتفى بذلك ١٣٦
الوازع عن الحد واذا كان في الطبائع تقاضيها جعل فيها الحد بحسب اقتضاء الطبائع من الطباع الطباع
لها ولهذا جعل الحد في الزنا والسرقة وشرب المسكر دون اكل الميتة والدم ولحم الخنزير
قالوا وطرد هذا انه لا حد في وطي البهيمة ولا الميتة وقد جبل الله تعالى الطبائع على النفرة الطباع
من وطي الرجل الرجل اشد نفرة كما جبلها على النفرة من استدعاء الرجل من يطأه بخلاف مثله
الزنا فان الداعي فيه من الجانبين قالوا ولان احد النوعين اذا استمتع بشكله لم يجب عليه
الحد كما لو تساحقت المرأتان واستمتعت كل واحدة منهما بالاخرى قال اصحاب القول
الاول وهم جمهور الامة وحكاه غير واحد اجماعا للصحابة ليس في المعاصي مفسدة اعظم من
مفسدة اللواط وهي تلي مفسدة الكفر وربما كانت اعظم من مفسدة القتل كما سنبينه ان هذه المفسدة
شاء الله تعالى قالوا ولم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط احدا من العالمين
وعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها امة غيرهم وجمع عليهم انواعا من العقوبات من الاهلاك من الانواع
وقلب ديارهم عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء وطمس اعينهم وعذبهم وجعل

عذابهم مستمرا فنكل بهم نكالا لم ينكله بامة سواهم وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد
الارض تميد من جوانبها اذا عملت عليها وتهرب الملائكة الى اقطار السموات والارض
اذا شاهدوها خشية نزول العذاب على اهلها فيصيبهم معهم وتعج الارض الى ربها تبارك
وتعالى وتكاد الجبال تزول عن اماكنها وقتل المفعول به خير له من وطئه فانه اذا وطئه
الرجل قتله قتلا لا ترجى الحيوة معه بخلاف قتله فانه مظلوم شهيد وربما ينتفع به في
آخرته قالوا والدليل على هذا ان الله سبحانه جعل حد القاتل الى خيرة الولي
ان شاء قتل وان شاء عفى وحتم قتل اللوطي حدا كما اجمع عليه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة
الصريحة التي لا معارض لها بل عليها عمل اصحابه وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم
اجمعين وقد ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح
كما تنكح المرأة فكتب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاستشار ابو بكر الصديق الصحابة
رضي الله عنهم فكان علي بن ابي طالب اشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا امة
من الامم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها ارى ان يحرق بالنار فكتب ابو بكر الى خالد فحرقه قال
عبد الله بن عباس ان ينظر اعلا ما في القرية فيرمي اللوطي منها منكسا ثم يتبع بالحجارة
واخذ ابن عباس هذا الحد من عقوبة الله للوطية قوم لوط وابن عباس هو الذي روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به
رواه اهل السنن وصححه ابن حبان وغيره واحتج الامام احمد بهذا الحديث واسناده
على شرط البخاري قالوا وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله من عمل
عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ولم يجئ
عنه لعنة الزاني ثلث مرات في حديث واحد وقد لعن جماعة من اهل الكبائر فلم
يتجاوز بهم في اللعن مرة واحدة وكرر لعن اللوطية فاكده ثلث مرات واطبق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله لم يختلف منهم فيه رجلان وانما اختلفت اقوالهم
في صفة قتله فظن بعض الناس ان ذلك اختلاف منهم في قتله فحكاها مسألة نزاع

يرجى

ثبت في الاحاديث

الصحابة

ضواحي

انما فعل هذا الا

اللعنة واكده

بين الصحابة وهي بينهم مسألة اجماع لا مسألة نزاع قال وادن تأمل قوله سبحانه ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وقوله في اللواط اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
احد من العالمين تبين له تفاوت ما بينهما فانه سبحانه نكر الفاحشة في الزنا اي هو فاحشة
من الفواحش وعرفها في اللواط وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما تقول
زيد الرجل ونعم الرجل زيد اي اتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل احد فهي لظهور ونهى
فحشها وكماله غنية عن ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم الى غيرها وهذا نظير قول فرعون
لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت اي الفعلة الشنعاء الظاهرة المعلومة لكل احد
ثم اكد سبحانه شأن فحشها بانها لم يعملها احد من العالمين قبلهم فقال ما سبقكم بها من
احد من العالمين ثم زاد في التأكيد بان صرح بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الاسماع
وتنفر منه اشد النفور وهو اتيان الرجل رجلا مثله ينكحه كما ينكح الانثى فقال ائنكم لتأتون نفرة الطباع
الرجال ثم نبه على استغنائهم عن ذلك وان الحامل لهم عليه ليس الا مجرد الشهوة لا الحاجة
التي لاجلها مال الذكر الى الانثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة
التي تنسى المرأة لها ابويها وتذكر بعلها وحصول النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي
هو اشرف المخلوقات وتحصين المرأة وقضاء الوطر وحصول علاقة المصاهرة التي هي ووطرا
اخت النسب وقيام الرجال على النساء وخروج احب الخلق الى الله من جماعهن
كالانبياء والاولياء والمؤمنين ومكاثرة النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء بامته الى غير ذلك
من مصالح النكاح والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وتربي عليه بما لا يمكن
حصره وفساده ولا يعلم تفصيله الا الله عز وجل ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان اللوطية عكسوا
فطرة الله التي فطر الله عليها الرجال وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله في الذكور وهي شهوة
النساء دون الذكور فقلبوا الامر وعكسوا الفطرة والطبيعة فاتوا الرجال شهوة من دون
النساء ولهذا قلب الله سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها وكذلك قلبهم ونكسوا
في العذاب على رؤسهم ثم اكد سبحانه قبح ذلك بان حكم عليهم بالاسراف وهو مجاوزة
الحد فقال بل انتم قوم مسرفون فتأمل هل جاء مثل ذلك او قريبا منه في الزنا واكد

سبحانه ذلك عليهم بقوله ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ثم اكد سبحانه عليهم
الذم بوصفين في غاية القبح فقال انهم كانوا قوم سوء فاسقين وسماهم مفسدين في قول
نبيهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين وسماهم ظالمين في قول الملائكة لابراهيم عليه السلام
انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات ومن
ذمه الله بمثل هذه الذمات ولما جادل فيهم خليله ابراهيم الملائكة وقد اخبروه
باهلاكهم فقيل له يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما
خبث اللوطية وفرط تمردهم على الله حيث جاؤا نبيهم لوطا لما سمعوا بانه قد طرقه اضيافهم من
احسن البشر صورا فاقبل اللوطية اليهم يهرعون فلما رآهم قال لهم يا قوم هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم ففدا اضيافه ببناته يزوجهم بهن خوفا على نفسه وعلى اضيافه من العار الشديد
فقال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد
فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فنفث
نبي الله نفثة مصدور وخرجت من قلب مكروب عميد فقال لو ان لي بكم قوة او
آوي الى ركن شديد فكشف له رسل الله عن حقيقة الحال واعلموه انه ممن ليس يوصل
اليهم ولا اليه بسببهم فلا تخف منهم ولا تعبأ بهم وهون عليك فقالوا يا لوط انا رسل ربك
لن يصلوا اليك وبشروه بما جاؤا به من الوعد له ولقومه من الوعيد المصيب فقالوا فاسر
باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم
الصبح اليس الصبح بقريب فاستبطأ نبي الله عليه السلام موعد هلاكهم وقال اريد اعجل من هذا فقالت الملائكة
اليس الصبح بقريب فوالله ما كان بين هلاك اعداء الله ونجاة نبيه واوليائه الا ما بين السحر وطلوع الفجر واذا
بديارهم قد اقتلعت من اصولها ورفعت نحو السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ونهيق
الحمير فبرز المرسوم الذي لا يرد من عند الرب الجليل على يدي عبده ورسوله جبرائيل بان
يقلبها عليهم كما اخبر به في محكم التنزيل فقال عز من قائل فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليها حجارة من سجيل فجعلهم آية للعالمين وموعظة للمتقين ونكالا وسلفا لمن شاركهم في
اعمالهم من المجرمين وجعل ديارهم بطريق السالكين ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها

خليل الله

اقتلعت

١٣٩

لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين اخذهم على غرة وهم نائمون وجاءهم بأسه
وهم في سكرتهم يعمهون فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فقلبت تلك اللذات آلاما فاصبحوا
بها يعذبون ه مآرب كانت في الحيوة لاهلها * عذابا فصارت في الممات عذابا * ذهبت
اللذات واعقبت الحسرات وانقضت الشهوات واورثت الشقوات تمتعوا قليلا وعذبوا — الشهوة الشقوة
طويلا رتعوا مرتعا وخيما فاعقبهم عذابا اليما اسكرتهم خمرة تلك الشهوات فما استفاقوا منها الا
في ديار المعذبين وارقدتهم تلك الغفلة فما استيقظوا منها الا وهم في منازل الهالكين فندموا
والله اشد الندامة حين لا ينفع الندم وبكوا على ما اسلفوه بدل الدموع بالدم فلو رأيت الاعلى
والاسفل من هذه الطائفة والنار تخرج من منافذ وجوههم وابدانهم وهم بين اطباق الجحيم
وهم يشربون بدل لذات الشراب كؤس الحميم ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون ذوقوا ما كنتم — لذيذ
تكسبون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ولقد قرن الله — قرب
سبحانه مسافة العذاب بين هذه الامة وبين اخوانهم في العمل فقال مخوفا لهم اعظم الوعيد
وما هي من الظالمين ببعيد ه فيا ناكح الذكران تهنيكم البشرى * فيوم معاد الناس ان لكم اجرا * — ١٤٠
كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا واكثروا * فان لكم زفا الى ناره الكبرى * فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم * — البشرى الجنة الحمرى
وقالوا الينا عجلوا لكم البشرى * وها نحن اسلاف لكم في انتظاركم * سيجمعنا الجبار في ناره الكبرى *
ولا تحسبوا ان الذين نكحتموا * يغيبون عنكم بل ترونهم جهرى * ويلعن كلا منهم لخليله * ويشقى — كل منهم لخليله
به المحزون في الكرة الاخرى * يعذب كل منهم بشريكه * كما اشتركا في لذة توجب الوزرى *

فصل

في الاجوبة عما احتج به من جعل عقوبة هذه الفاحشة دون عقوبة الزنا اما قولهم انها
معصية لم يجعل الله فيها حدا معينا فجوابه من وجوه احدها ان المبلغ عن الله جعل حد
صاحبها القتل حتما وما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم فانما شرعه عن الله فان اردتم
ان حدها غير معلوم بالشرع فهو باطل وان اردتم انه غير ثابت بنص الكتاب لم يلزم
من ذلك انتفاء حكمه لثبوته بالسنة الثاني ان هذا ينتقض عليكم بالرجم فانه انما ثبت
بالسنة فان قلتم بل ثبت بالقرآن نسخ لفظه وبقي حكمه قلنا فينتقض عليكم بشارب

الثالث ان نفي دليل معين لا يلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول فكيف وقد
قدمنا ان الدليل الذي نفيتموه غير منتف واما قولكم انه وطء لا تشتهيه الطباع بل ركب الله الطباع على النفرة منه
فهو كوطء الميتة والبهيمة فجوابه من وجوه احدها انه قياس فاسد الاعتبار مردود بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واجماع اصحابه كما تقدم بيانه الثاني ان قياس وطء الامرد الجميل
الذي تربى فتنته على كل فتنة على وطء اتان او امراة ميتة من افسد القياس وهل يعدل
ذلك احد قط باتان او بقرة او ميتة او يسبي ذلك قلب عاشق او اسر قلبا او استولى
على فكره ونفسه فليس في القياس افسد من هذا الثالث ان هذا منتقض بوطء الام
والبنت والاخت فان النفرة الطبيعية عنه كاملة مع ان الحد فيه من اغلظ الحدود في
احد القولين وهو القتل بكل حال محصنا كان او غير محصن وهذه احدى الروايتين
عن الامام احمد وهو قول اسحق بن راهويه وجماعة من اهل الحديث وقد روى ابو داود
من حديث البراء بن عازب قال لقيت عمي ومعه الراية فقلت له الى اين تريد قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل نكح امراة ابيه من بعده ان اضرب
عنقه واخذ ماله قال الترمذي هذا حديث حسن قال الجوزجاني عم البراء اسمه الحارث بن
عمرو وفي سنن ابي داود وابن ماجه من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من وقع على ذات محرم فاقتلوه ورفع الى الحجاج رجلا اغتصب اخته
على نفسها فقال احبسوه واسألوا من ههنا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسألوا عبد الله بن مطرف فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من تخطى حرم المؤمنين فخطوا وسطه بالسيف وفيه دليل على القتل بالتوسيط وهذا
دليل مستقل في المسألة وهو ان من لا يباح وطؤه بحال فحده القتل دليله من وقع على امه وابنته وكذلك
يقال في وطء ذوات المحارم من وطئ من لا يباح وطؤه بحال كان حده القتل كاللوطي
والتحقيق ان يستدل على المسألتين بالنص والقياس يشهد بصحة كل منهما وقد اتفق
المسلمون على ان من زنا بذات محرم فعليه الحد وانما اختلفوا في صفة الحد هل هو
القتل بكل حال او حده حد الزاني على قولين فذهب الشافعي ومالك واحمد في

الصحابة
[illegible]
عقل

وان عنده [illegible]

١٤١

احدهما ان حده حد الزانی وذهب احمد واسحق وجماعة من اهل الحديث الی ان حده القتل بكل حال وكذلك اتفقوا كلهم على انه لو اصابها باسم النكاح عالما بالتحريم انه يحد الا ابا حنيفة وحده فانه رأى ذلك شبهة مسقطة للحد والمنازعون يقولون اذا اصابها باسم النكاح فقد زاد الجريمة غلظا وشدة فانه ارتكب محذورين عظيمين محذور العقد ومحذور الوطي فكيف تخفف عنه العقوبة بضم محذور العقد الى محذور الزنا واما وطی المیتة ففيه قولان للفقهاء وهما فی مذهب احمد وغيره احدهما انه يجب به الحد وهو قول الاوزاعی فان فعله اعظم جرما واكثر ذنبا لانه انضم الى هتك فاحشة حرمة المیتة

فصل

واما وطی البهيمة فللفقهاء فيه ثلثة اقوال احدها انه يؤدب ولا حد عليه وهذا قول مالك وابی حنيفة والشافعی فی احد قوليه وهو قول اسحق والقول الثانی ان حكمه حكم الزانی يجلد ان كان بكرا ويرجم ان كان محصنا وهذا قول الحسن والقول الثالث ان حكمه

142 حكم اللوطی نص عليه احمد ويخرج على الروايتين فی حده هل هو القتل حتما او هو كالزانی والذين قالوا حده القتل احتجوا بما رواه ابو داود من حديث ابن عباس عن النبی صلی الله عليه وسلم من اتى البهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قالوا ولانه وطی لا يباح بحال فكان فيه القتل كحد اللوطی ومن لم ير عليه الحد قالوا لم يصح فيه الحديث ولو صح لقلنا به ولم يحل لنا مخالفته قال اسمعيل بن سعيد الشالنجی سألت احمد عن الذی يأتی البهيمة فوقف عنده ولم يثبت حديث عمرو بن ابی عمرو فی ذلك وقال الطحاوی الحديث ضعيف وايضا فراوية ابن عباس وقد افتى بانه لا حد عليه قال ابو داود وهذا يضعف الحديث ولا ريب ان الزاجر الطبعی عن اتيان البهيمة اقوى من الزاجر الطبعی عن التلوط وليس الامران فی طباع الناس سواء فالحاق احدهما بالآخر من افسد القياس

فصل

واما قياس وطی الرجل لمثله على سحاق المرأتين فمن افسد القياس اذ لا ايلاج هنا وانما نظيره مباشرة الرجل الرجل من غير ايلاج على انه قد جاء فی بعض الاحاديث المرفوعة

اذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان ولكن لا يجب الحد بذلك لعدم الايلاج وان اطلق عليهما اسم الزنا العام كزنا العين واليد والرجل والفم واذا ثبت هذا فاجمع المسلمون على ان حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره ومن ظن ان تلوط الانسان مع مملوكه جائز واحتج على ذلك بقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وقاس ذلك على امته المملوكة فهو كافر يستتاب كما يستتاب المرتد فان تاب والا قتل وضرب عنقه وتلوط الانسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الاثم والحكم ۞

فصل

فان قيل مع هذا كله فهل من دواء لهذا الداء العضال ورقية لهذا السحر القتال وما الاحتيال لدفع هذا الخيال وهل من طريق قاصد الى التوفيق وهل يمكن السكران بخمرة الهوى ان يفيق وهل يملك العاشق قلبه والعشق قد وصل الى سويدائه وهل للطبيب بعد ذلك حيلة في برئه من سويدائه لان لامه لائم التذ بملامه لذكره لمحبوبه وان عذله عاذل اغراه عذله وسار به في طريق مطلوبه ينادي عليه شاهد حاله بلسان مقاله

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ۞ متأخر عنه ولا متقدم ۞
واهنتني فاهنت نفسي جاهدا ۞ ما من يهون عليك ممن يكرم ۞
اشبهت اعدائي فصرت احبهم ۞ اذ كان حظي منك حظي منهم ۞
اجد الملامة في هواك لذيذة ۞ حبا لذكرك فليلمني اللوم ۞

ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الاول الذي وقع عليه الاستفتاء والداء الذي طلب له الدواء قيل نعم الجواب من اصله وما انزل الله سبحانه من داء الا انزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله والكلام في دواء هذا الداء من طريقين احدهما حسم مادته قبل حصولها والثاني قلعها بعد نزولها وكلاهما يسير على من يسره الله عليه ومتعذر على من لم يعنه فان ازمة الامور بيديه فاما الطريق المانع من حصوله فامران احدهما غض البصر كما تقدم فان النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ومن اطلق لحظاته دامت حسراته وفي غض البصر عدة منافع احدها انه امتثال لامر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده وليس للعبد في دنياه وآخرته انفع من امتثال اوامر ربه تبارك وتعالى وما سعد من سعد في الدنيا والآخرة الا بامتثال اوامره وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة الا بتضييع اوامره الثاني انه يمنع من وصول اثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه الى قلبه

ذلك
لسويدائه ذكرا
راس شذاذ
على من يعنه الله
واما حصول هذا الداء
فليس
اوامر ربه
يمنع

الثالث انه يورث القلب انسا بالله وجمعية على الله فان اطلاق البصر يفرق القلب
ويشتته ويبعده من الله وليس على العبد شي اضر من اطلاق البصر فانه يوقع الوحشة بين العبد القلب
وبين ربه الرابع انه يقوي القلب ويفرحه كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه الخامس
انه يكسب القلب نورا كما ان اطلاقه يكسبه ظلمة ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الامر
بغض البصر فقال قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ثم قال اثر ذلك
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح اي مثل نوره في قلب
عبده المؤمن الذي امتثل اوامره واجتنب نواهيه واذا استنار القلب اقبلت
وفود الخيرات اليه من كل جانب كما انه اذا اظلم اقبلت سحائب البلاء والشر عليه ناحية
من كل مكان فما شئت من بدعة وضلالة واتباع هوى واجتناب هدى واعراض
عن اسباب السعادة واشتغال باسباب الشقاوة فان ذلك انما يكشفه له النور
الذي في القلب فاذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالاعمى الذي يجوس في حنادس الظلام
السادس انه يورث الفراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب وكان شاه بن
شجاع الكرماني يقول من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره
عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات واعتاد اكل الحلال لم تخطئ له فراسة وكان
شجاع هذا لا تخطئ له فراسة والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن
ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فاذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بان
يطلق نور بصيرته عوضا عن حبس بصره لله ويفتح له باب العلم والايمان والمعرفة
والفراسة الصادقة المصيبة التي انما تنال ببصيرة القلب وضد هذا ما وصف الله
به اللوطية من العمه الذي هو ضد البصيرة فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فوصفهم
بالسكرة التي هي فساد العقل والعمه الذي هو فساد البصر فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل وعمه البصيرة
وسكر القلب كما قال القائل ۵ سكران سكر هوى وسكر مدامة * ومتى افاقة من به سكران * وقال الآخر ۵
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * العشق اعظم مما بالمجانين * العشق لا يستفيق
الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين * السابع انه يورث القلب ثباتا

وشجاعة وقوة ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة وسلطان القدرة والقوة كما في الاثر
الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله وضد هذا تجده في المتبع هواه من ذل النفس
وضعفها ومهانتها وخستها وحقارتها وما جعل الله سبحانه فيمن عصاه كما قال الحسن
انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فان المعصية لا تفارق رقابهم ابى الله
الا ان يذل من عصاه وقد جعل الله سبحانه العز قرين طاعته والذل قرين معصيته فقال
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين والايمان قول وعمل ظاهر وباطن وقال تعالى من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اي من كان يريد العزة فليطلبها
بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح وفي دعاء القنوت انه لا يذل من
واليت ولا يعز من عاديت ومن اطاع الله فقد والاه فيما اطاعه فيه وله من العز بحسب
طاعته ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته الثامن انه يسد على الشيطان
مدخله من القلب فانه يدخل مع النظرة وينفذ معها الى القلب اسرع من نفوذ الهوى
في المكان الخالي فيمثل له صورة المنظور اليه ويزينها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب ثم يعده
ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل اليها
بدون تلك الصورة فيكون القلب في اللهب فمن ذلك اللهب تلك الانفاس
التي يجد فيها وهج النار وتلك الزفرات والحرقات فان القلب قد احاطت به النيران
بكل جانب فهو في وسطها كالشاة في وسط التنور ولهذا كانت عقوبة اصحاب الشهوات
بالصور المحرمة ان جعل لهم في البرزخ تنور من نار واودعت ارواحهم فيه الى حشر اجسادهم
كما اراها الله نبيه صلى الله عليه وسلم في المنام في الحديث المتفق على صحته التاسع انه
يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها واطلاق البصر يشتت عليه ذلك
ويحول عليه بينه وبينها فتنفرط عليه اموره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه قال
تعالى لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا واطلاق النظر يوجب
هذه الامور الثلاثة بحسبه العاشر ان بين العين والقلب منفذا وطريقا يوجب انفعال

احدهما عن الآخر وان القلب يصلح بصلاحه ويفسد بفساده فاذا فسد القلب فسد النظر واذا فسد النظر فسد القلب
وكذلك في جانب الصلاح فاذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي
هي محل النجاسات والقاذورات والاوساخ فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والانابة سكان
اليه والانس به والسرور بقربه فيه وانما يسكن فيه اضداد ذلك فهذه اشارة الى بعض في
فوائد غض البصر تطلعك على ما وراءها

فصل

الثاني اشتغال القلب بما يصده عن ذلك ويحول بينه وبين الوقوع فيه وهو اما
خوف مقلق او حب مزعج فمتى خلا القلب من خوف ما فواته اضر عليه من حصول
هذا المحبوب او خوف ما حصوله اضر عليه من فوات هذا المحبوب او محبته ما هو انفع له وخير له
من هذا المحبوب وفواته اضر عليه من فوات هذا المحبوب لم يجد بدا من عشق الصور وشرح هذا ان النفس
لا تترك محبوبا الا لمحبوب اعلى منه او خشية مكروه حصوله اضر عليه من فوات هذا المحبوب وهذا يحتاج صاحبه ١٤٦
الى امرين ان فقدا او احدهما لم ينتفع بنفسه احدهما بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات
المحبوب والمكروه فيوثر اعلى المحبوبين على ادناهما ويحتمل ادنى المكروهين ليتخلص من
اعلاهما وهذا خاصة العقل ولا يعد عاقلا من كان بضد ذلك بل قد تكون البهائم احسن هذا
حالا منه الثاني قوة عزم وبصيرة يتمكن بها من هذا الفعل والترك فكثيرا ما يعرف الرجل صبر
قدر التفاوت ولكن يابى له ضعف نفسه وهمته وعزيمته على ايثار الانفع من خسته وحرصه ووضاعة نفسه وخسة همته ومثل هذا لا
ينتفع بنفسه ولا ينتفع به غيره قد منع الله سبحانه امامة الدين الا من اهل الصبر واليقين فقال تعالى اليقين
وبقوله يهتدي المهتدون وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون
وهذا هو الذي ينتفع بعلمه وينتفع به غيره من الناس وضد ذلك لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع ضده
به غيره ومن الناس من ينتفع بعلمه في نفسه ولا ينتفع به غيره فالاول يمشي في نوره
ويمشي الناس في نوره والثاني قد طفئ نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه ظلمته
والثالث يمشي في نوره وحده

فصل

اذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن ان يجتمع فى القلب حب المحبوب الاعلى وعشق الصور
ابدا بل هما ضدان لا يجتمعان بل لا بد ان يخرج احدهما صاحبه فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب
الاعلى الذى محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها صرفه ذلك عن محبة ما سواه وان
احبه لم يحبه الا لاجله او لكونه وسيلة له الى محبته او قاطعا له عما يضاد محبته وينقصها والمحبة
الصادقة تقتضى توحيد المحبوب وان لا يشرك بينه وبين غيره فى محبته واذا كان المحبوب
من الخلق يأنف ويغار ان يشرك فى محبته غيره ويمقته لذلك ويبعده ولا يحظيه بقربه
ويعده كاذبا فى دعوى محبته مع انه ليس اهلا لصرف قوة المحبة اليه فكيف بالحبيب الاعلى
الذى لا تنبغى المحبة الا له وحده وكل محبة لغيره فهى عذاب على صاحبها وبال ولهذا لا يغفر
سبحانه ان يشرك به فى هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمحبة الصور تفوت محبة
ما هو انفع للعبد منها بل يفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حيوة نافعة الا بمحبته وحده
فليتخير احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان فى القلب ولا يرتفعان منه بل من اعرض عن محبة الله
وذكره والشوق الى لقائه ابتلى بمحبة غيره فيعذب بها فى الدنيا وفى البرزخ وفى الآخرة
اما بمحبة الاوثان او بمحبة الصلبان او بمحبة النيران او بمحبة المردان او بمحبة النسوان او بمحبة الاثمان
او بمحبة العشراء والخلان او بمحبة ما هو دون ذلك مما هو فى غاية الحقارة والهوان فالانسان
عبد محبوبه كائنا ما كان كما قيل شعر انت القتيل بكل من احببته ۞ فاختر لنفسك
فى الهوى من تصطفى ۞ فمن لم يكن الهه مالكه ومولاه كان الهه هواه قال تعالى
افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ۞

فصل

وخاصية التعبد الحب مع الخضوع والذل للمحبوب فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد
قلبه له بل التعبد آخر مراتب الحب ويقال له التتيم ايضا فان اول مراتبه العلاقة وسميت
علاقة لتعلق المحب بالمحبوب قال الشاعر شعر وعلقت ليلى وهى ذات تمائم ۞ ولم يبد
للاتراب من ثديها حجم ۞ وقال الآخر شعر اعلاقة ام الوليد بعد ما ۞ افنان رأسك كالثغام المخلس

تيلاقيان
وينقصها
ليصرف
فليتخير
الاخرى
العشير

ثم بعدها الصبابة وسميت بذلك لانصباب القلب الى المحبوب قال الشاعر ؎
يشكى المجبون الصبابة ليتني ٭ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي ٭ فكانت لقلبي لذة الحب كلها
فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ٭ ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوما لاينفك عنه ومنه
سمي الغريم غريما لملازمته صاحبه ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما وقد اولع التاخرون
باستعمال هذا اللفظ في الحب وقلّ ان تجده في اشعار العرب ثم العشق وهو افراط
المحبة ولهذا لا يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا يطلق في حقه ثم الشوق وهو سفر القلب
الى المحبوب احث السفر وقد جاء اطلاقها في حق الرب تعالى كما في مسند الامام احمد من
حديث عمار بن ياسر انه صلى صلوة فاوجز فيها فقيل له في ذلك فقال اما اني دعوت
فيها بدعوات كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهن اللهم اني اسئلك بعلمك
الغيب وقدرتك على الخلق احيني اذا كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة
خيرا لي اللهم اني اسئلك خشيتك في الغيب والشهادة واسئلك كلمة الحق في الرضاء
والغضب واسئلك القصد في الفقر والغنى واسئلك نعيما لا ينفد واسئلك قرة عين لا تنقطع
واسئلك الرضا بعد القضاء واسئلك برد العيش بعد الموت واسئلك لذة النظر الى وجهك
الكريم واسئلك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان
واجعلنا هداة مهتدين وفي اثر آخر طال شوق الابرار الى وجهك وانا الى لقائهم
اشد شوقا وهذا هو المعنى الذي عبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله
احب الله لقاءه وقال بعض اهل البصائر في قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله
فان اجل الله لآت لما علم الله سبحانه شدة شوق اوليائه الى لقائه وان قلوبهم لا
تهدى دون لقائه ضرب لهم اجلا وموعدا للقائه تسكن نفوسهم به واطيب العيش واللذة على الاطلاق
عيش المشتاقين المستانسين فحياتهم هي الحيوة الطيبة في الحقيقة ولا حيوة للعبد
اطيب ولا انعم ولا اهنا منها فهي الحيوة الطيبة المذكورة في قوله تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وليس المراد منها الحيوة المشتركة بين
المؤمنين والكفار والابرار والفجار من طيب المآكل والمشرب والملبس والمنكح بل ربما

ش المجنون

ش الغرام

١٤٨

ش لقائي
نسخه

ش المستانسين

زاد الله على اوليائه في ذلك اضعافا مضاعفة وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا
ان يحييه حيوة طيبة فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده واي حيوة اطيب من حيوة
من اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحدة في مرضات الله ولم يتشعب قلبه بل بالاقبال
اقبل على الله واجتمعت ارادته وافكاره التي كانت منقسمة بكل واد منها شعبة على الله
فصار ذكره بمحبوبه الاعلى وحبه والشوق الى لقائه والانس بقربه وهو المستولي عليه وعليه تدور في
همومه وارادته وقصوده بل خطرات قلبه فان سكت سكت بالله وان نطق نطق بالله
وان سمع فبه يسمع وان ابصر فبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن وبه يحيي
وبه يموت وبه يبعث كما في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه
تبارك وتعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن ١٤٩ قبض
سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس
روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه فتضمن هذا الحديث الشريف
الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب المحبة في امرين
اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل واخبر سبحانه ان اداء فرائضه احب ما تقرب
اليه المتقربون ثم بعدها النوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا
لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة منه اخرى فوق المحبة الاولى فشغلت
هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير
محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء
المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا
المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان بطش بطش به وان مشى مشى به
فهو في قلبه ومعه ومؤنسه وصاحبه فالباء ههنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك
بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة واذا كان المخلوق يجد هذا في المحبوب

محبة المخلوق التي لم يخلق لها ولم يفطر عليها كما قال بعض المحبين ٥ خيالك في عيني
وذكراك في فمي ✽ ومثواك في قلبي فاين تغيب ✽ وقال الآخر ٥ وتطلبهم عيني وهم
في سوادها ✽ ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي ✽ ومن عجب اني احن اليهم ✽ فاسئل عنهم من
لقيت وهم معي ✽ والطف من قول الآخر ٥ ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني
اذ انت فيه مكان السر لم تغب ✽ او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب ✽ فقد
تحيرت بين الصدق والكذب ✽ فليس شيء ادنى من المحب لمحبوبه وربما تمكنت المحبة
حتى يصير في المحبة ادنى اليه من نفسه بحيث ينسى نفسه ولا ينساه كما قيل ٥
اريد لانسى ذكره فكانما ✽ تمثل لي ليلى بكل سبيل ✽ وقال الآخر ٥ يراد من القلب نسيانكم ✽
وتابى الطباع على الناقل ✽ وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر
فان هذه الآلات آلات الادراك وآلات الفعل والسمع والبصر يوردان على القلب
الارادة والكراهة ويجلبان اليه الحب والبغض فتستعمل اليد والرجل فاذا كان سمع ۱۵۰
العبد بالله وبصره به كان محفوظا في آلات ادراكه فكان محفوظا في حبه وبغضه فحفظ في
بطشه ومشيه وتامل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان فانه اذا
كان ادراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة وكذلك البصر قد
يقع بغير الاختيار فجاءة وكذلك حركة اليد والرجل التي لا بد للعبد منها فكيف بحركة اللسان
التي لا يقع الا بقصد واختيار وقد يستغني العبد عنها الا حيث امر بها وايضا فانفعال
اللسان عن القلب اتم من انفعال سائر الجوارح فانه ترجمانه ورسوله وتامل
كيف حقق تعالى كون العبد به عند سمعه وبصره الذي يبصر به وبطشه ومشيه بقوله كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تحقيقا
لكونه مع عبده وكون عبده في ادراكاته بسمعه وبصره وحركته بيديه ورجليه وتامل
كيف قال بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ولم يقل فلي يسمع ولي يبصر ولي يبطش
وربما يظن الظان ان اللام اولى بهذا الموضع اذ هي ادل على الغاية ووقوع هذه
الامور لله وذلك اخص من وقوعها به وهذا من الوهم والغلط اذ ليست الباء ههنا

لمجرد الاستعانة فان حركات الابرار والفجار وادراكاتهم انما هي بمعونة الله لهم وان الباء ههنا للمصاحبة انما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي وانا صاحبه ومعه كقوله في الحديث الآخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وهذه المعية هي المعية الخاصة المذكورة في قوله تعالى ان الله معنا وقول النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله كلا ان معي ربي سيهدين وقوله تعالى لموسى وهارون انني معكما اسمع وارى فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية دون اللام ولا يتأتى للعبد الاخلاص والصبر والتوكل ونزوله في منازل العبودية الا بهذه الباء وهذه المعية فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق وانقلبت المخاوف في حقه امانا فبالله يهون كل صعب ويسهل كل عسير ويقرب كل بعيد وبالله تزول الاحزان والهموم والغموم فلا هم مع الله ولا غم مع الله ولا حزن مع الله وحيث يفوت العبد معنى هذه الباء فيصير قلبه حينئذ كالحوت اذا فارق الماء يثب وينقلب حتى يعود اليه ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه تعالى في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الى بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني ان افعل به ويستعيذني ان يناله مكروه وقوى هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده ولانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة تقتضي انه لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه وما امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه وما منعه الا ليعطيه ولم يخرج من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله ولم يقل لآدم اخرج منها الا ليعيده اليها فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه بل لو كان في كل منبت شعرة للعبد محبة تامة لله لكان بعض ما يستحقه على عبده سه

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول *
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل *

لمعنى

١٥١

فصل

ثم التتيم وهو آخر مراتب الحب وهو تعبد المحب لمحبوبه يقال تيمه الحب اذا عبده ومنه تيم الله
اى عبد الله وحقيقة التعبد الذل والخضوع للمحبوب ومنه قولهم طريق معبد اى مذلل قد ذللته
الاقدام فالعبد هو الذى ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ولهذا كانت اشرف احوال العبد
ومقاماته فى العبودية فلا منزل له اشرف منها وقد ذكر الله سبحانه اكرم الخلق عليه واحبهم اليه
وهو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية فى اشرف مقاماته وهى مقام الدعوة اليه ومقام التحدى
بالنبوة ومقام الاسرى فقال سبحانه وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال وان
كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقال سبحان الذى اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وفى حديث الشفاعة اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فنال مقام الشفاعة بكمال عبوديته وكمال مغفرة
الله له والله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له التى هى اكمل انواع المحبة مع اكمل انواع الخضوع كمال
والذل وهذا هو حقيقة الاسلام وملة ابرهيم التى من رغب عنها فقد سفه نفسه قال تعالى ومن يرغب عن ١٥٢
ملة ابرهيم الا من سفه الآية ولهذا كان اعظم الذنوب عند الله الشرك والله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء واصل الشرك بالله الاشراك مع الله فى المحبة كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واخبر سبحانه ان من الناس من يشرك
به فيتخذ الانداد من دونه يحبهم كحب الله واخبر ان الذين آمنوا اشد حبا لله من اصحاب الانداد لاندادهم
وقيل بل المعنى انهم اشد حبا لله من اصحاب الانداد لله فانهم وان احبوا الله لكن لما اشركوا بينه وبين
اندادهم فى المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لله لما خلصت محبتهم له كانت اشد من محبة اولئك
والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين الانداد هو فى هذه المحبة ولما كان مراد الله من خلقه هو
خلوص هذه المحبة له انكر على من اتخذ من دونه وليا او شفيعا غاية الانكار وجمع ذلك تارة وافرد احدهما عن الآخر تارة بالانكار
فقال تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال تعالى الله الذى
خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى
ولا شفيع افلا تتذكرون وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم

من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وقال في الافراد ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى من ورائهم جهنم
ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم فاذا والى العبد
ربه وحده واقام له وليا من شفعاء وعقد الموالات بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا
اولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا اولياء من دون الله فهذا لون وذاك لون والشفاعة
الشركية الباطلة لون والشفاعة الحق الثابتة التي انما تنال بالتوحيد لون وهذا موضع فرقان
بين اهل التوحيد واهل الشرك بالله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمقصود ان
حقيقة العبودية وموجباتها لا تحصل مع الاشراك بالله في المحبة بخلاف المحبة لله فانها من
لوازم العبودية وموجباتها فان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بل تقديمه في الحب على
الانفس وعلى الآباء والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وكذلك كل حب في الله
ولله كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان
١٥٣ وفي لفظ في الصحيح لا يجد عبد طعم الايمان الا من كان في قلبه ثلث خصال ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع الى الكفر بعد
اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار وفي الحديث الذي في السنن من احب لله
وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وفي حديث آخر ما تحاب رجلان
في الله الا كان افضلهما اشدهما حبا لصاحبه فان هذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها
وكل ما كانت اقوى كان اصلها كذلك

فصل

وههنا اربعة انواع من الحب يجب التفريق بينها وانما ضل من ضل بعدم التمييز بينها احدها محبة الله ولا تكفي
وحدها في النجاة من الله من عذابه والفوز بثوابه فان المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله الثاني
محبة ما يحب الله وهذه هي التي تدخله في الاسلام وتخرجه من الكفر واحب الناس الى الله
اقومهم بهذه المحبة واشدهم فيها الثالث الحب لله وفيه وهي من لوازم محبة ما يحب الله
ولا يستقيم محبة ما يحب الله الا بالحب فيه وله الرابع المحبة مع الله وهي المحبة الشركية وكل

من احب شيئا مع الله لا لله ولا من اجله ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون الله فهذه محبة المشركين وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه وهي المحبة الطبيعية وهي ميل الانسان الى مايلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم الا ان الهت عن ذكر الله وشغلته عن محبته كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ❊ | اذا

فصل

ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في القلب لمحبة سعة لغير محبوبه وهي منصب لا يقبل الشاركة بوجه ما وهذا المنصب خاصة للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما ابراهيم ومحمد كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفي حديث آخر اني ابرئ الى كل خليل من خلته ولما سأل ابراهيم عليه السلام الولد فاعطيه فتعلق حبه بقلبه فاخذ منه شعبة غار الحبيب على خليله ان يكون في قلبه موضع لغيره فامر بذبحه وكان الامر في المنام ليكون تنفيذ المأمور به اعظم ابتلاء وامتحانا ولم يكن المقصود ذبح الولد ولكن المقصود ذبحه من قلبه ليخلص القلب للرب فلما بادر الخليل عليه الصلوة والسلام الى الامتثال وقدم محبة الله على محبة ولده حصل المقصود فرفع الذبح وفدي بذبح عظيم فان الرب تعالى ما امر بشئ ثم ابطله رأسا بل لا بد ان يبقى بعضه او بدله كما ابقى شريعة الفداء وكما ابقى استحباب الصدقة عند المناجات وكما ابقى الخمس الصلوات بعد رفع الخمسين وابقى ثوابها وقال لا يبدل القول لدي هي خمس في الفعل وخمسون في الاجر ❊

قلب المحب

١٥٤ وتعلق

ربه

بين يدي

فصل

واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فان الله

سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب
المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين عليهما الصلوة والسلام والشاب التائب
حبيب الله وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم *

فصل

وقد تقدم ان العبد لا يترك ما يحبه ويهواه الا لما يحبه ويهواه ولكن يترك اضعفهما محبة لاقواهما
محبة كما انه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته اقوى عنده من كراهة ما يفعله والخلاص من مكروه
كراهته عنده اقوى من كراهة ما يفعله وتقدم ان خاصية العقل ايثار اعلى المحبوبين على
ادناهما وايسر المكروهين على اقواهما وتقدم ان هذا من كمال قوة الحب والبغض ولا يتم
له هذا الا بامرين قوة الادراك وشجاعة القلب فان التخلف عن ذلك والعمل بخلافه
يكون اما لضعف الادراك بحيث انه لم يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي
عليه واما لضعف في النفس وعجز في القلب لا يطاوعه على ايثار الاصلح له مع علمه بانه الاصلح فاذا صح ادراكه وقويت نفسه وتشجع
القلب على ايثار المحبوب الاعلى والمكروه الادنى فقد وفق لاسباب السعادة فمن الناس من يكون سلطان شهوته اقوى
من سلطان عقله وايمانه فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان ايمانه
وعقله اقوى من سلطان شهوته واذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره فتأبى
عليه نفسه وشهوته الا تناوله ويقدم شهوته على عقله وتسميه الاطباء عديم المروة فهكذا
اكثر مرضى القلب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له فاصل الشر من ضعف الادراك
وضعف النفس ودناءتها واصل الخير من كمال الادراك وقوة النفس وشرفها وشجاعتها
فالحب والارادة اصل كل فعل ومبداه والبغض والكراهة اصل كل ترك ومبداه
وهاتان القوتان في القلب اصل سعادته وشقاوته ووجود الفعل الاختياري لا — سعادة العبد
يكون الا بوجود سببه من الحب والارادة واما عدم الفعل فتارة يكون لعدم مقتضيه
وسببه وتارة يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه وهذا متعلق الامر والنهي وهو يسمى الكف وهو متعلق الثواب والعقاب
وبهذا يزول الاشتباه في مسألة الترك هل هو امر وجودي او عدمي والتحقيق
انه قسمان فالترك المضاف الى عدم السبب المقتضي عدمي والمضاف الى السبب

البانع من الفعل وجودي ❊

فصل

وكل واحد من الفعل والترك الاختياريين فانما يوثره الحي لما فيه من حصول المنفعة التي
يلتذ بحصولها او زوال الالم الذي يحصل له الشفاء بزواله ولهذا يقال شفاء صدره وشفاء
قلبه قال ع هي الشفاء لداء لو ظفرت بها ❊ وليس منها شفاء الداء مبذول ❊ وهذا
مطلوب يوثره العاقل حتى الحيوان البهيم ولكن يغلط فيه اكثر الناس غلطا قبيحا فيقصد
حصول اللذة بما يعقب عليه اعظم الالم فيولم نفسه من حيث يظن انه يحصل لذتها
ويشفي قلبه بما يعقب عليه غاية المرض وهذا شأن من قصر نظره على العاجل ولم
يلاحظ العواقب وخاصة العقل النظر في العواقب فاعقل الناس من اثر لذة نفسه
وراحته في الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة واسفه الخلق من باع نعيم الابد
156 وطيب الحيوة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة
بالآلام والمخاوف وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء قال بعض العلماء فكرت في سعي
العقلاء فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد وان اختلفت طرقهم في تحصيله رأيتهم جميعهم
انما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم فهذا في الاكل والشرب وهذا في التجارة و
وهذا بالنكاح وهذا بسماع الغناء والاصوات المطربة وهذا باللهو واللعب فقلت هذا
المطلوب مطلوب العقلاء ولكن الطرق كلها غير موصلة اليه بل لعل اكثرها انما يوصل
الى ضده ولم ار في جميع هذه الطرق طريقا موصلا اليه بل لعل اكثرها انما يؤثر الى الاقبال على الله وحده ومعاملته وحده
وايثار مرضاته على كل شيء فان سالك هذه الطريق ان فاته حظه من الدنيا
فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه وان حصل للعبد حصل له كل شيء وان
فاته فاته كل شيء وان ظفر بحظه من الدنيا ناله على اهنى الوجوه فليس للعبد انفع من
هذا الطريق ولا اوصل منها الى لذته وبهجته وسعادته وبالله التوفيق ❊

فصل

والمحبوب قسمان محبوب لنفسه ومحبوب لغيره ولا بد ان ينتهي الى المحبوب لنفسه دفعا للتسلسل المحال وكل

ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لنفسه الا الله وحده وكل ما سواه مما يحب فانما محبته
تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة ملائكته وانبيائه واوليائه فانها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته فان
محبة المحبوب توجب محبة ما يحبه وهذا موضع يجب الاعتناء به فانه محل فرقان بين المحبة النافعة لغيره
والتي لا تنفع بل قد تضر واعلم انه لا يحب لذاته الا من كماله من لوازم ذاته والهيته وربوبيته وغناه من
لوازم ذاته وما سواه فانما يبغض ويكره لمنافاته محابه ومضادته لها وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافاة
وضعفها فما كان اشد منافاة لمحابه كان اشد كراهة من الاعيان والاوصاف والافعال والارادات وغيرها فهذا ميزان
عادل يوزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته فاذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى ويكره
ما يحبه علمنا ان فيه من معاداته بحسب ذلك واذا رأينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه وكلما كان
الشيء احب الى الرب كان احب اليه وآثر عنده وكلما كان البغض اليه كان البغض اليه ابغض علمنا ان فيه من موالاة
الرب بحسب ذلك فتمسك بهذا الاصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك فالولاية عبارة عن
ترقى موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلوة ولا تمزق ولا رياضة والمحبوب
١٥٧ لغيره قسمان ايضا احدهما ما يلتذ المحب بادراكه وحصوله والثاني ما يتألم به ولكن يحتمله لافضائه الى المحبوب
كشرب الدواء الكريه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاخبر سبحانه ان القتال مكروه لهم مع انه خير لهم لافضائه الى
اعظم محبوب وانفعه والنفوس تحب الراحة والدعة والرفاهية وذلك شر لها لافضائه الى فوات هذا المحبوب فالعاقل لا ينظر
الى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها والم المكروه العاجل فيرغب عنه فان ذلك قد يكون شرا له بل قد يجلب عليه غاية
الالم ويفوته اعظم اللذة بل عقلاء الدنيا يتحملون المشاق المكروهة لما يعقبهم من اللذة بعدها وان كانت منقطعة
فالامور اربعة مكروه يوصل الى مكروه ومكروه يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى محبوب ومحبوب يوصل الى
مكروه فالمحبوب الموصل الى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من جهتين والمكروه الموصل الى مكروه قد اجتمع فيه داعي الترك من
جهتين بقي القسمان الآخران يتجاذبهما الداعيان وهما معترك الابتلاء والامتحان فالنفس تؤثر اقربهما جوارا منها وهو العاجل
والعقل والايمان يؤثر انفعهما وابقاهما والقلب بين الداعيين وهو الى هذا مرة والى هذا مرة وههنا محل الابتلاء شرعا وقدرا فداعي العقل
والايمان ينادي كل وقت حي على الفلاح عند الصباح يحمد القوم السرى وفي الممات يحمد العبد التقى فان اشتد ظلام ليل المحبة
وتحكم سلطان الشهوة والارادة يقول يا نفس اصبري فما هي الا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

فصل

وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما أن أصل الأقوال
الدينية تصديق الله ورسوله وكل إرادة تمنع كمال حب الله ورسوله وتزاحم هذه المحبة أو شبهة تمنع كمال التصديق
فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له فإن قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفرا أو شركا أكبر وإن لم تعارضه
قدحت في كماله وأثرت فيه ضعفا وفتورا في العزيمة والطلب وهي تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكس الراغب
فلا تصلح الموالات إلا بالمعادات كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه أفرأيتم
ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين فلم تصلح لخليل الله
هذه الموالات والخلة إلا بتحقيق هذه المعادات فإن ولاية الله لا تصح إلا بالبراءة من كل
معبود سواه قال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا
لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه ١٥٨
وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون أي جعل هذه الموالات لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في
عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة لا إله إلا الله وهي التي ورثها
إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيمة وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفطر
الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف
الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في
هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا تدخل الجنة إلا
به والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الإسلام ومفتاح
دار السلام وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر
من دار الإسلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض
والسنة ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وروح هذه الكلمة وسرها إفراد
الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة

والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة
فلا يحب سواه بل كل ما كان يحب غيره فانما هو تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته وكل ما يحب
ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه
ولا يحلف الا باسمه ولا ينذر الا له ولا يتاب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا يحتسب الا به
والاستغاث في الشدائد الا به ولا يلتجي الا اليه ولا يسجد الا له ولا يذبح الا له وباسمه يجتمع يستغاث
ذلك في حرف واحد وهو ان لا يعبد بجميع انواع العبادة الا هو فهذا هو تحقيق شهادة
ان لا اله الا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد ان لا اله الا الله حقيقة الشهادة
ومحال ان يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى
والذين هم بشهاداتهم قائمون فيكون قائما بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه
وقالبه فان من الناس من تكون شهادته ميتة ومنهم من تكون نائمة اذا نبهت
١٥٩ انتبهت ومنهم من تكون مضطجعة ومنهم من تكون الى القيام اقرب وهي في القلب
بمنزلة الروح في البدن فروح ميتة وروح مريضة الى الموت اقرب وروح الى الحيوة
اقرب وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا وجدت روحه لها روحا فحيوة هذه الروح
بحيوة هذه الكلمة فيها فكما ان حيوة البدن بوجود الروح فيه وكما ان من مات على
هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب
في جنة المأوى وعيشها اطيب عيش قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالجنة مأواه يوم اللقاء وجنة المعرفة
والمحبة والانس بالله والشوق الى لقائه والفرح به والرضى عنه وبه مأوى روحه به وعنه
في هذه الدار فمن كانت هذه الجنة مأواه ههنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد ومن حرم
هذه الجنة فهو لتلك الجنة اشد حرمانا والابرار في نعيم وان اشتد بهم العيش وضاقت
بهم الدنيا والفجار في جحيم وان اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وطيب الحيوة جنة الدنيا قال تعالى

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
فاى نعيم اطيب من شرح الصدر واى عذاب اضيق من ضيق الصدر قال تعالے
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرے
فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فالمؤمن المخلص
لله من اطيب الناس عيشا وانعمهم بالا واشرحهم صدرا واسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة
قبل الجنة الآجلة قال النبى صلے الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا
وما رياض الجنة قال حلق الذكر ومن هذا قوله صلے الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى
روضة من رياض الجنة ومن هذا قوله وقد سئلوه عن الوصال[١] فى الصوم وقال انى لست كهيئتكم
انى اظل عند ربى يطعمنى ويسقينى فاخبر صلے الله عليه وسلم انما يحصل له من الغذاء
عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسى وان ما يحصل له من ذلك امر مختصا به لا يشركه
فيه غيره فاذا امسك عن الطعام والشراب فله عوض عنه يقوم مقامه وينوب منابه ويغنى عنه كما قيل ع لها احاديث
من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد ‡ لها بوجهك نور تستضيئ به ومن حديثك فى اعقابها حادى ‡
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها روح اللقاء فتحيى عند ميعادى ‡ وكل ما كان وجود الشيئ انفع للعبد وهو اليه احوج كان تالمه
بفقده اشد وكل ما كان عدمه انفع كان تالمه بوجوده اشد ولا شيئ على الاطلاق انفع للعبد من اقباله على الله
واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه وايثاره لمرضاته بل لا حيوة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة الا بذلك
فعدمه الم شيئ له واشد عذابا عليه وانما تغيب الروح عن شهود هذا الالم والعذاب لاشتغالها
بغيره واستغراقها فى ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما هى فيه من الم الفقد بفراق
احب شيئ اليها وانفعه لها وهذا بمنزلة السكران المستغرق فى سكره الذى احترقت داره
وامواله واهله واولاده وهو لاستغراقه فى السكر لا يشعر بالم ذلك الفوات وحسرته حتى اذا
صحى وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو اعلم بحاله حينئذ وهكذا الحال سواء
عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الآخرة والاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها
الى الله بل الالم والحسرة والعذاب هناك اشد باضعاف اضعاف[٢] ذلك فان
المصاب فى الدنيا يرجو جبر مصيبته فى الدنيا بالعوض ويعلم انه قد اصيب بشيئ زائل لا بقاء له

[١] وصاله
[٢] مضاعفة

قال بعض النسخة ١١

١٦٠ تصحيحى

فكيف بمن مصيبته بلا عوض عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعا فلو قضى الله
سبحانه بالموت من هذه الحسرة والندم لكان العبد جديرا به وان الموت لا يعود الكبر
امنيته واكبر حسراته هذا لو كان الالم على مجرد الفوات كيف وهناك من العذاب على
الروح والبدن امور اخرى وجودية ما لا يقدر قدره فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف
هذين الالمين العظيمين اللذين لا تحملهما الجبال الرواسي فاعرض على نفسك الآن اعظم محبوب
لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحيوة الا معه فاصبحت وقد اخذ منك وحيل بينك
وبينه احوج ما كنت اليه كيف يكون حالك هذا ومنه كل عوض فكيف بمن لا عوض
عنه كما قيل من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض وفي الاثر الالهي
ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت
كل شيء وان فتك فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء

فصل

ولما كانت المحبة جنسا تحته انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر فيها
في حق الله تعالى ما يختص به ويليق به من انواعها ولا يصلح الا له وحده مثل العبادة
والانابة ونحوهما فان العبادة لا تصلح الا له وحده وكذا الانابة وقد يذكر المحبة باسمها المطلق
كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واعظم انواع المحبة المذمومة
المحبة مع الله التي يساوي فيها المحب بين محبة الله ومحبة للند الذي اتخذه من
دون الله واعظم انواعها المحمودة محبة الله وحده وهذه المحبة هي اصل السعادة
ورأسها التي لا ينجو احد من العذاب الا بها والمحبة المذمومة الشركية هي اصل الشقاوة
ورأسها التي لا يبقى في العذاب الا اهلها فاهل المحبة الذين احبوا الله وعبدوه وحده لا شريك
له لا يدخلون النار ومن دخلها منهم بذنوبه فانه لا يبقى فيها منهم احد ومدار القرآن على الامر
بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة الاخرى ولوازمها وضرب الامثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص
النوعين وتفصيل اعمال النوعين واوليائهم ومعبود كل منهما واخباره عن فعله بالنوعين وعن

حال المؤمنين فى الدور الثلث دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار والقرب فى شأن
المؤمنين واصل دعوة جميع الرسل من اولهم الى آخرهم انما هو عبادة الله وحده لاشريك
له المتضمنة لكمال حبه وكمال الخضوع والذل له والاجلال والتعظيم ولوازم ذلك
من الطاعة والتقوى وقد ثبت فى الصحيحين من حديث انس عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال والذى نفسى بيده لايؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين وفى صحيح البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يا رسول
الله والله لانت احب الى من كل شئ الا من نفسى فقال لا يا عمر حتى اكون احب
اليك من نفسك فقال والذى بعثك بالحق لانت احب الى من نفسى فقال الآن يا عمر فاذا كان
هذا شأن محبة عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ووجوب تقديمها على محبة النفس
ووالده وولده والناس اجمعين فما الظن بمحبة مرسله سبحانه وتعالى ووجوب تقديمها
على محبة ما سواه ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة غيره فى قدرها وصفتها وافراده سبحانه
١٦٣ بها فان الواجب له من ذلك كله ان يكون الى العبد احب اليه من ولده ووالده
بل من سمعه وبصره ونفسه التى بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه
من ذلك كله والشئ قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شئ يحب لذاته من كل وجه
الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع

فصل

وكل حركة فى العالم العلوى والسفلى فاصلها المحبة فهى علتها الفاعلية والغائية وذلك
لان الحركات ثلثة انواع حركة اختيارية ارادية وحركة طبيعية وحركة قسرية فالحركة الطبيعية
اصلها السكون وانما يتحرك الجسم اذا خرج عن مستقره ومركزه الطبيعى فهو يتحرك للعود
اليه وخروجه عن مركزه ومستقره وانما يتحرك بالمحرك له فله حركة قسرية تحرك بتحريك
محركه وقاسره وحركته الطبيعية بذاتها تطلب بها العود الى مركزه وكلا حركتيه تابع للمحرك
القاسر فهو اصل الحركتين والحركة الاختيارية الارادية هى اصل الحركتين الآخرتين وهى تابعة للارادة والمحبة فصارت الحركات
الثلث تابعة للمحبة والارادة والدليل على انحصار الحركات فى هذه الثلث ان المتحرك ان كان له شعور

بالحركة فهي الارادية وان لم يكن له شعور بها فاما ان يكون على وفق طبعه او لا فالاولى
هي الطبيعية والثانية هي القسرية اذا فهمت هذا فما في السموات والارض وما بينهما من
حركات الافلاك والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات
الاجنة في بطون امهاتها فانما هي بواسطة الملائكة المدبرات امرا والمقسمات امرا كما
دل على ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع والايمان بذلك من تمام الايمان
بالملائكة فان الله وكل بالرحم ملائكة وبالقطر ملائكة وبالنبات ملائكة وبالرياح وبالافلاك وبالشمس والقمر والنجوم
ووكل بكل عبد اربعة من الملائكة كاتبين على يمينه وعلى شماله وحافظين من بين يديه
ومن خلفه ووكل ملائكة بقبض روحه وتجهيزها الى مستقرها من الجنة والنار وملائكة
لمسائلته وامتحانه في قبره وعذابه هناك او نعيمه وملائكة تسوقه الى المحشر اذا قام من قبره
وملائكة بتعذيبه في النار او نعيمه في الجنة ووكل بالجبال ملائكة وبالسحاب ملائكة تسوقه
الى حيث امرت به وملائكة بالقطر تنزله بامر الله بقدر معلوم كما شاء الله ووكل ملائكة
بغرس الجنة وعمل آلاتها وفرشها وثيابها والقيام عليها وملائكة بالنار كذلك فاعظم جند الله
الملائكة ولفظ الملك يشعر بانه رسول منفذ لامر غيره فليس لهم من الامر شيء بل الامر كله لله
وهم يدبرون الامر ويقسمونه باذن الله وامره قال تعالى اخبارا عنهم وما نتنزل الا بامر
ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالى وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى واقسم
بطوائف من الملائكة المنفذين لامره في الخليقة كما قال تعالى والصافات صفا فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا وقال والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا وقال تعالى والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا وقد ذكرنا
معنى ذلك وسر الاقسام في كتاب اقسام القرآن اذا عرفت ذلك فجميع تلك الحياة
والحركات والارادات والافعال هي عبادات لرب الارض والسموات وجميع الحركات
الطبيعية والقسرية تابعة لها فلولا الحب ما دارت الافلاك ولا تحركت الكواكب النيرات

الاولى
ثبتت

بمسائلته
وملائكة بتعيمه

١٦٦

ولاهبت الرياح المسخرات ولا مرت السحاب الحاملات ولا تحركت الاجنة فی بطون الامہات ولا انصدع عن الحب انواع النبات ولا اضطربت امواج البحار الزاجرات ولا تحركت المدبرات المقسمات ولا سبحت بحمد فاطرہا الارض والسموات وما فیہما من انواع المخلوقات فسبحان من تسبحه السموات السبع والارض ومن فیہن وان من شئ الا یسبح بحمده ولکن لا تفقہون تسبیحہم انه کان حلیما غفورا * * *

الارضون

فصل

اذا عرف ذلک فکل حی له ارادة ومحبة وعمل بحسبه وکل متحرک فاصل حرکته المحبة والارادة والاصلاح للموجودات الا بان تکون حرکاتہا ومحبتہا لفاطرہا وباریہا وحده کما لا وجود لہا الا بابداعه وحده ولہذا قال تعالیٰ لو کان فیہما آلہة الا اللہ لفسدتا فسبحان اللہ رب العرش عما یصفون ولم یقل سبحانه لما وجدتا ولکانتا معدومتین ولا قال لعدمتا اذ ہو سبحانه قادر علی ان یبقیہما علی وجه الفساد لکن لا یمکن ان تکون علی وجه الصلاح والاستقامة الا بان یکون اللہ وحده ہو معبودہما ومعبود ما حوتاه وسکن فیہما فلو کان للعالم الہان لفسد نظامه غایة الفساد فان کل اله یطلب مغالبة الاخر والعلو علیه وتفرده دونه بالالہیة اذ الشرکة نقص فی کمال الالہیة والاله لا یرضی لنفسه ان یکون الہا ناقصا فان قہر احدہما الاخر کان ہو الاله وحده والمقہور لیس باله وان لم یقہر احدہما الاخر لزم عجز کل منہما ونقصه ولم یکن تام الالہیة فیجب ان یکون فوقہما اله قاہر لہما حاکم علیہما والا ذہب کل منہما بما خلق وطلب کل منہما العلو علی الاخر وفی ذلک فساد امر السموات والارض ومن فیہما کما ہو المعہود من فساد البلد اذا کان فیہا ملکان متکافیان وفساد الزوجة اذا کان لہا بعلان والشول اذا کان فیه فحلان واصل فساد العالم انما ہو من فساد الملوک والخلفاء ولہذا لم یطمع اعداء الاسلام فیہم فی زمن من الازمنة الا فی زمن تعدد الملوک من المسلمین واختلافہم وانفراد کل واحد منہم ببلاد وطلب بعضہم العلو علی بعض فصلاح السموات والارض واستقامتہما وانتظام امر المخلوقات علی اتم نظام من اظہر الادلة علی انه لا اله الا اللہ وحده لا شریک له له الملک وله الحمد یحیی ویمیت وہو علی کل شئ قدیر

۱۶۴

ینافی

یستلزم آخر

اختلافات

لم تطمع اعداء المسلمین

وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار ارضه باطل الا وجهه الاعلى قال الله تعالى ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان
الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال تعالى في ام اتخذوا
آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش
عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقال تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا قيل المعنى لابتغوا السبيل اليه بالغلبة والقهر كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله في الآية الاخرى ولعلى بعضهم على بعض قال
شيخنا والصحيح ان المعنى لابتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف تعبدونهم من
دونه وهم لو كانوا آلهة كما يقولون لكانوا عبيدا له قال ويدل على هذا وجوه منها قوله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه اي هؤلاء الذين تعبدونهم من دوني هم عبادي كما انتم عبادي يرجون
١٦٥ رحمتي ويخافون عذابي فلم ذا تعبدونهم من دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لابتغوا عليه
سبيلا قال لابتغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واما في المغالبة فانما يستعمل بعلى كقوله فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان آلهتهم تغالبه وتطلب العلو عليه وهو
سبحانه قد قال قل لو كان معه آلهة كما يقولون وهم انما كانوا يقولون ان آلهتهم تبتغي
التقرب اليه وتقربهم زلفى اليه قال تعالى لو كان الامر كما تقولون لكانت تلك
الآلهة عبيدا له فما ذا تعبدون عبيده من دوني

ن بالمغالبة — ن للتقرب — ن فانها — ن دونه

فصل

والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم واحكام سواء كانت محمودة او مذمومة نافعة او ضارة
من الوجد والذوق والحلاوة والشوق والانس والاتصال بالمحبوب والقرب منه
والانفصال عنه والبعد منه والصد والهجران والفرح والسرور والبكاء والحزن وغير ذلك
من احكامها ولوازمها والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه

ن والانقطاع اليه — ن منفعة

وآخرته وهذه المحبة هي عنوان السعادة وضدها هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه
وآخرته وهي عنوان الشقاوة ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره ويشقيه
وانما يصدر ذلك عن جهله وظلمه فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك
ظلم من الانسان لنفسه اما ان تكون جاهلة بحال محبوبها بان تهوى الشيء وتحبه غير عالمة
بما في محبته من المضرة وهذا حال من اتبع هواه بغير علم واما عالم بما في محبته من الضرر
لكن يؤثر هواه على علمها وقد تتركب محبتها من امرين من اعتقاد فاسد وهوى وهم
وهذا حال من اتبع الظن وما تهوى الانفس فلا تقع المحبة الفاسدة الا من جهل او اعتقاد
فاسد وهوى غالب او ما تركب من ذلك فاعان لبعضه لبعضا فيتفق شبهة يشتبه
بها الحق بالباطل يزين له امر المحبوب وشهوة تدعوه الى وصوله فيتساعد جيش الشبهة والشهوة
على جيش العقل والايمان والغلبة لاقواهما اذا عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة
له حكم متبوعه فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد وتوابعها كلها نافعة له
١٦٦ حكمها احكم متبوعها فان بكى نفعه وان حزن نفعه وان فرح نفعه وان انبسط نفعه
وان انقبض نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها في مزيد ربح وقوة والمحبة المضرة
المذمومة توابعها وآثارها كلها ضارة لصاحبها مبعدة له من ربه كيف ما تقلب في آثارها
ونزل في منازلها فهو في خسارة وبعد وهذا شأن كل فعل تولد عن طاعة ومعصية
فكل ما تولد من الطاعة فهو زيادة لصاحبه وقربه وكل ما تولد من المعصية فهو خسرا
لصاحبه وبعد قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
ولا يطؤن موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان
الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب
لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه في الآية الاولى ان المتولد عن
طاعتهم وافعالهم يكتب لهم به عمل صالح واخبر في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها
تكتب لهم انفسها والفرق بينهما ان الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به
عمل صالح والثاني نفس افعالهم فكتب لهم فليتأمل قتيل المحبة هذا الفصل حق التامل

هذه المحبة المذمومة التي
شقاوته
يكون النفس
هواها
جيش
جيش
عن
انفسهم
اعمالهم

ليعلم ماله وما عليه ۞ سيعلم يوم العرض اي بضاعة ۞ اضاع وعند الوزن ما كان حصلا ۞

فصل

وكما ان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين سواء كان حقا ام باطلا
فالدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة والمحبة والارادة اصل ذلك كله والدين هو الطاعة
والعبادة والخلق فهو الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلقا وعادة ولهذا فسر الخلق
بالدين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى
دين عظيم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن والدين فيه معنى الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة فلذلك
يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال دنته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر ۞
هو دان الرباب اذ كرهوا الدين ۞ فاصبحوا بعزة وصيال ۞ ويكون من الادنى الى الاعلى ادنى الزمان لهذا الدين
كما يقال دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين الله دينا ولا يدين الله بدين فدان
الله اي اطاع الله واحبه وخافه ودان لله اي خشع له وخضع وذل وانقاد والدين ١٦٧
الباطن لا بد فيه من الخضوع والحب كالعبادة سواء بخلاف الدين الظاهر فانه لا يستلزم
الحب وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر وسمى الله تعالى يوم القيمة يوم الدين
لانه اليوم الذي يدين فيه الناس باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك فانه
يتضمن جزاءهم وحسابهم فلذلك فسر بيوم الجزاء ويوم الحساب وقال تعالى فلولا ان فسروا
كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا تردون الروح الى مكانها ان كنتم
غير مربوبين ولا مقهورين ولا مجزيين وهذه الآية تحتاج الى تفسير فانها سيقت للاحتجاج
عليهم في انكارهم البعث والحساب ولا بد ان يكون الدليل مستلزما لمدلوله بحيث ينتقل
الذهن منه الى المدلول لما بينهما من التلازم فيكون الملزوم دليلا على لازمه ولا يجب العكس فكل ملزوم
ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته
وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا متصرفا فيهم يميتهم اذا شاء ويحييهم اذا شاء ويأمرهم وينهاهم
ويثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا برب هذا شأنه فان اقروا به آمنوا بالبعث

وهذه المحبة المذمومة التي وآخرته وهذه المحبة هي عنوان السعادة وضدها هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه
شقاوته وآخرته وهي عنوان الشقاوة ومعلوم ان الحي العاقل لا يختار محبة ما يضره ويشقيه
وانما يصدر ذلك عن جهله وظلمه فان النفس قد تهوى ما يضرها ولا ينفعها وذلك
يكون النفس ظلم من الانسان لنفسه اما ان تكون جاهلة بحال محبوبها بان تهوى الشيء وتحبه غير عالمة
بما في محبته من المضرة وهذا حال من اتبع هواه بغير علم واما عالم بما في محبته من الضرر
هواها لكن يؤثر هواه على علمها وقد تتركب محبتها من امرين من اعتقاد فاسد وهو هوى
وهذا حال من اتبع الظن وما تهوى الانفس فلا تقع المحبة الفاسدة الا من جهل او اعتقاد
فاسد وهوى غالب او ما تركب من ذلك فاعان بعضه بعضا فيتفق شبهة يشتبه
جيش بها الحق بالباطل يزين له امر المحبوب وشهوة تدعوه الى وصوله فيتساعد جيش الشبهة والشهوة
جيش على جيش العقل والايمان والغلبة لاقواهما اذا عرف هذا فتوابع كل نوع من انواع المحبة
له حكم متبوعه فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد وتوابعها كلها نافعة له
١٦٦ حكمها حكم متبوعها فان بكى نفعه وان حزن نفعه وان فرح نفعه وان انبسط نفعه
وان انقبض نفعه فهو يتقلب في منازل المحبة واحكامها في مزيد وربح وقوة والمحبة المضرة
المذمومة توابعها وآثارها كلها ضارة لصاحبها مبعدة له من ربه كيف ما تقلب في آثارها
ونزل في منازلها فهو في خسارة وبعد وهذا شأن كل فعل تولد عن طاعة ومعصية
عن فكل ما تولد من الطاعة فهو زيادة لصاحبه وقربه وكل ما تولد من المعصية فهو خسران
لصاحبه وبعد قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان
الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب
لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فاخبر سبحانه في الآية الاولى ان المتولد عن
انفسهم طاعتهم وافعالهم يكتب لهم به عمل صالح واخبر في الثانية ان اعمالهم الصالحة التي باشروها
تكتب لهم انفسها والفرق بينهما ان الاول ليس من فعلهم وانما تولد عنه فكتب لهم به
اعمالهم عمل صالح والثاني نفس افعالهم فكتب لهم فليتأمل قتيل المحبة هذا الفصل حق التأمل

ليعلم ماله وما عليه ۞ سيعلم يوم العرض اي بضاعة ۞ اضاع وعند الوزن ما كان حصلا ۞

فصل

وكما ان المحبة والارادة اصل كل فعل كما تقدم فهي اصل كل دين سواء كان حقا ام باطلا
فان الدين هو من الاعمال الباطنة والظاهرة والمحبة والارادة اصل ذلك كله والدين يجمع الطاعة
والعبادة والخلق فهو الطاعة اللازمة الدائمة التي صارت خلقا وعادة ولهذا فسر الخلق
بالدين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال الامام احمد عن ابن عيينة قال ابن عباس لعلى
دين عظيم وسئلت عائشة رضي عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن والدين فيه معنى الاذلال والقهر وفيه معنى الذل والخضوع والطاعة فلذلك
يكون من الاعلى الى الاسفل كما يقال دنته فدان اي قهرته فذل قال الشاعر ۞
هو دان الرباب اذ كرهوا الدين ۞ فاصبحوا بعزة وصيال ۞ ويكون من الادنى الى الاعلى ادن للزمان لهذا الدين
كما يقال دنت الله ودنت لله وفلان لا يدين الله دينا ولا يدين الله بدين فدان
الله اي اطاع الله واحبه وخافه ودان لله اي خشع له وخضع وذل وانقاد والدين ١٦٧
الباطن لا بد فيه من الخضوع والحب كالعبادة سواء بخلاف الدين الظاهر فانه لا يستلزم
الحب وان كان فيه انقياد وذل في الظاهر وسمى الله تعالى يوم القيامة يوم الدين
لانه اليوم الذي يدين فيه الناس باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وذلك فانه
يتضمن جزاءهم وحسابهم فلذلك فسر بيوم الجزاء وبيوم الحساب وقال تعالى فلولا ان فسروا
كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي هلا تردون الروح الى مكانها ان كنتم
غير مربوبين ولا مقهورين ولا مجزيين وهذه الآية تحتاج الى تفسير فانها سيقت للاحتجاج
عليهم في انكارهم البعث والحساب ولا بد ان يكون الدليل مستلزما لمدلوله بحيث ينتقل
الذهن منه الى المدلول لما بينهما من التلازم فيكون الملزوم دليلا على لازمه ولا يجب العكس فيكون الملزوم
ووجه الاستدلال انهم اذا انكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربهم وانكروا قدرته وربوبيته
وحكمته فاما ان يقروا بان لهم ربا قاهرا متصرفا فيهم يميتهم اذا شاء ويحييهم اذا شاء ويأمرهم وينهاهم
ويثيب محسنهم ويعاقب مسيئهم واما ان لا يقروا برب هذا شأنه فان اقروا به آمنوا بالبعث

والنشور والدين الامري والجزائي وان انكروه وكفروا به فقد زعموا انهم غير مربوبين ولا محكوم
عليهم ولا لهم رب يتصرف فيهم كما اراد فهلا يقدرون على دفع الموت عنهم اذا جاءهم وعلى
رد الروح الى مستقرها اذا بلغت الحلقوم وهذا خطاب للحاضرين وهم عند المحتضر وهم يعاينون
موته اي فهلا تردون الروح الى مكانها ان كان لكم قدرة وتصرف ولستم بمربوبين ولا مقهورين
لقاهر قادر يمضي عليكم احكامه وينفذ فيكم اوامره وهذه غاية التعجيز لهم اذ تبين عجزهم عن
رد نفس واحدة الى مكانها ولو اجتمع على ذلك الثقلان فيالها من آية دلت على وحدانيته
وربوبيته سبحانه وتصرفه في عباده ونفوذ احكامه فيهم وجريانها عليهم والدين دينان دين شرعي
امري ودين حسابي جزائي وكلاهما لله وحده فالدين كله لله امرا وجزاء والمحبة اصل كل واحد من
الدينين فانما شرعه وامر به فانه يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب ضده فعاد دينه
الامري كله الى محبته ورضاه ودين العبد لله به انما يقبل اذا كان عن محبة ورضى كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا
فهذا الدين قائم بالمحبة وبسببها شرع ولاجلها شرع وعليها اسس وكذلك دينه الجزائي ١٦٨
فانه يتضمن مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وكل من الامرين محبوب للرب فانهما
عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب صفاته واسماءه ويحب من يحبها وكل
واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه فهو سبحانه على صراط مستقيم في امره ونهيه
وثوابه وعقابه كما قال تعالى اخبارا عن نبيه هود عليه السلام انه قال لقومه اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على
الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ولما علم نبي الله ان
ربه على صراط مستقيم في خلقه وامره وثوابه وعقابه وقضائه وقدره ومنعه وعطائه وعافيته
وبلائه وتوفيقه وخذلانه لا يخرج في ذلك عن موجب كماله المقدس الذي تقتضيه
اسماؤه وصفاته من العدل والحكمة والرحمة والاحسان والفضل ووضع الثواب في
مواضعه والعقوبة في موضعها اللائق بها ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهداية
والاضلال كل ذلك في اماكنه ومحاله اللائقة به بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء

اوجب له ذلك العلم والعرفان اذ نادى على رؤس الملأ من قومه بجنان ثابت وقلب غير
خائف بل متجرد لله اني اشهد الله واشهدوا اني برئ مما تشركون من دونه الآية ثم اخبر عن
عموم قدرته وقهره بكل ما سواه وذل كل شئ لعظمته فقال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها
فكيف اخاف من ناصيته بيد غيره وهو فى قبضته وتحت قهره وسلطانه دونه وهل هذا الا
من اجهل الجهل واقبح الظلم ثم اخبر انه سبحانه على صراط مستقيم فكل ما يقضيه ويقدره فلا يخاف
العبد جوره ولا ظلمه فلا اخاف ما دونه فان ناصيته بيده ولا اخاف جوره وظلمه فانه على صراط مستقيم وهو سبحانه ماض نسخه
فى عبده حكمه عدل فيه قضاؤه له الملك وله الحمد لا يخرج فى تصرفه فى عباده عن العدل والفضل
ان اعطى واكرم وهدى ووفق فبفضله ورحمته وان منع واهان واضل وخذل واشقى فبعدله
وحكمته وهو على صراط مستقيم فى هذا وهذا وفى الحديث الصحيح ما اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال
اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك
اسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك ١٦٩
او استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى
وجلاء همى وحزنى وذهاب همى وغمى الا اذهب الله همه وغمه وابدله فرجا مكانه وهذا
يتناول حكم الرب الكونى والامرى والقضاء الذى يكون باختيار العبد وبغير اختياره
وكلا الحكمين ماض فى عبده وكلا القضائين عدل فيه فهذا الحديث مشتق من هذه
الآية بينهما اقرب نسب وبالله التوفيق

فصل

ونختم الجواب بفصل متعلق بعشق الصور وما فيه من المفاسد العاجلة والآجلة وان كانت
اضعاف ما يذكره ذاكر فانه يفسد القلب بالذات واذا فسد فسدت الارادات والاقوال
والاعمال وفسد ثغر التوحيد كما تقدم وسنقرره ايضا ان شاء الله تعالى والله سبحانه تعالى
انما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهم اللوطية والنساء فاخبر عن عشق امرأة
العزيز ليوسف وما راودته وكادته به واخبر عن الحال التى صار اليها يوسف بصبره وعفته
وتقواه مع ان الذى ابتلى به امر لا يصبر عليه الا من صبره الله عليه فان موافقة الفعل

بحسب قوة الداعي وزوال المانع وكان الداعي ههنا في غاية القوة وذلك لوجوه
احدها ما ركبه الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل العطشان الى الماء
والجائع الى الطعام حتى ان كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء
وهذا لا يذم اذا صادف حلالا بل يحمد كما في كتاب الزهد للامام احمد من حديث يوسف
ابن عطية الصفار عن ثابت البناني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم الطيب والنساء اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن الثاني ان يوسف
عليه السلام كان شابا وشهوة الشباب وحدته اقوى الثالث انه كان عزبا لا زوجة له
ولا سرية تكسر شدة الشهوة الرابع انه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر
ما لا يتأتى لغيره في وطنه واهله ومعارفه الخامس ان المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث ان
كل واحد من هذين الامرين يدعو الى مواقعتها السادس انها غير آبية ولا ممتنعة فان كثيرا من الناس
يزيل رغبته في المرأة اباؤها وامتناعها لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها وكثير
من الناس يزيده الاباء والامتناع زيادة حب كما قال الشاعر ؎ وزادني كلفا في
الحب ان منعت * احب شيء الى الانسان ما منعا * فطباع الناس مختلفة في ذلك
فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المرأة ورغبتها ويضمحل عند ابائها وامتناعها واخبرني بعض
القضاة ان ارادته وشهوته تضمحل عند امتناع زوجته او سريته وابائها بحيث لا يعاودها ومنهم
من يتضاعف حبه وارادته بالمنع ويشتد شوقه كلما منع ويحصل له من اللذة بالظفر نظير
ما يحصل من لذة الظفر بالضد بعد امتناعه ونفاره واللذة بادراك المسألة بعد استصعابها
وشدة الحرص على ادراكها السابع انها طلبت وارادت وبذلت الجهد فكفته مؤنة الطلب
وذل الرغبة اليها بل كانت هي الراغبة الذليلة وهو العزيز المرغوب اليه الثامن انه
في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى ان لم يطاوعها من اذاها له فاجتمع داعي
الرغبة والرهبة التاسع انه لا يخشى ان تنم عليه هي ولا احد من جهتها فانها هي الطالبة
والراغبة وقد غلقت الابواب وغيبت الرقباء العاشر انه كان مملوكا لها في الدار
بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان الانس سابقا على الطلب وهو

١٧٥

من اقوى الدواعي كما قيل لامرأة شريفة من اشراف العرب ما حملك على الزنا قالت
قرب الوساد وطول السراد تعني قرب وساد الرجل من وسادتي وطول السراد بيننا السواد السواد
الحادي عشر انها استعانت عليه بائمة المكر والاحتيال فارته اياهن وشكت حالها اليهن لتستعين فارته اياه
بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن
من الجاهلين الثاني عشر انها توعدته بالسجن والصغار وهذا نوع اكراه اذ هو تهديد من
يغلب على الظن وقوع ما هدد به فيجتمع داعي الشهوة وداعي السلامة من ضيق السجن
والصغار الثالث عشر ان الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلا منهما عن القوة
صاحبه بل كان غاية ما خاطبها به ان قال ليوسف اعرض عن هذا وللمرأة استغفري قابلها
لذنبك انك كنت من الخاطئين وشدة الغيرة للرجل من اقوى الموانع وهنا لم يظهر
منه غيرة ومع هذه الدواعي كلها فاثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله على ان اختار
السجن على الزنا فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وعلم انه لا يطيق صرف
ذلك عن نفسه وان ربه تعالى ان لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا اليهن بطبعه وكان ۱۷۱
من الجاهلين وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه وفي هذه القصة من العبر والفوائد
والحكم ما يزيد على الف فائدة لعلنا ان وفقنا الله ان نفردها في مصنف مستقل

فصل

والطائفة الثانية الذين حكى الله عنهم العشق هم اللوطية كما قال تعالى وجاء اهل
المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا
الم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون فهذه عشقة فحكاها سبحانه عن طائفتين عشق كل منهما ما حرم عليه من الصور ولم يبال بما في عشقت
عشقه من الضرر وهذا داء اعيى الاطباء دواؤه وعز عليهم شفاؤه وهو والله الداء العضال لعمر الله
والسم القتال الذي ما علق بقلب الا وعز على الورى استنقاذه من اسارة
ولا اشتعلت ناره في مهجة الا وصعب على الخلق تخليصها من ناره وهو اقسام
وهو تارة يكون كفرا لمن اتخذ معشوقه ندا يحبه كما يحب الله فكيف اذا كانت فانه

محبته اعظم من محبة الله في قلبه فهذا عشق لا يغفر لصاحبه فانه من اعظم الشرك والله لا يغفر ان يشرك به وانما يغفر بالتوبة الماحية وعلامة هذا العشق الشركي الكفري ان يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه واذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه وحق ربه وطاعته قدم حق معشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه وبذل لمعشوقه انفس ما يقدر عليه وبذل لربه ان بذل اردى ما عنده واستفرغ وسعه في مرضات معشوقه وطاعته والتقرب اليه وجعل لربه ان اطاعه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته فتامل حال اكثر عشاق الصور هل تجدها مطابقة لذلك ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم في كفة وايمانهم في كفة ثم زن وزنا يرضي الله ورسوله ويطابق العدل وربما صرح العاشق منهم بان وصل معشوقه احب اليه من توحيد ربه كما قال العاشق الخبيث شعر يترشفن من فمي رشفات * هن احلى فيه من التوحيد * وكما صرح الخبيث الآخر بان وصل معشوقه اشهى اليه من رحمة ربه فعياذا بك اللهم من هذا الخذلان ومن هذا الحال قال الشاعر شعر وصلك اشهى الى فؤادي * من رحمة الخالق الجليل * ولا ريب ان هذا العشق من اعظم الشرك وكثير من العشاق يصرح بانه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدا مخلصا من كل وجه لمعشوقه فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية المخلوق مثله فان العبودية هي كمال الحب والخضوع وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه فقد اعطاه حقيقة العبودية ولا نسبة بين مفسدة هذا الامر العظيم ومفسدة الفاحشة فان تلك ذنب كبير لفاعله حكم امثاله ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك وكان بعض الشيوخ من العارفين يقول لئن ابتلي بالفاحشة مع تلك الصورة احب الي من ان ابتلي فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله *

فصل

ودواء هذا الداء القتال ان يعرف ان ما ابتلي به من الداء المضاد للتوحيد اولا ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه ويكثر اللجاء والتضرع الى الله سبحانه في صرف ذلك عنه وان يرجع بقلبه اليه وليس له دواء انفع من الاخلاص

لله وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا المخلصين فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل
باخلاصه فان القلب اذا خلص واخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور فانها تمكن
من قلب فارغ كما قال ۔ اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا
خاليا فتمكنا * وليعلم العاقل ان العقل والشرع موجبان تحصيل المصالح وتكميلها واعدام
المفاسد وتقليلها فاذا عرض للعاقل امر يرى فيه المصلحة والمفسدة وجب عليه امران
امر علمي وامر عملي فالعلمي طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة فاذا تبين له
الرجحان وجب عليه ايثار الاصلح ومن المعلوم انه ليس في عشق الصور مصلحة دينية
ولا دنيوية بل مفسدته الدينية والدنيوية اضعاف اضعاف ما يقدر فيه من المصلحة وذلك
من وجوه احدها الاشتغال بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب تعالى وذكره فلا يجتمع في القلب
هذا وهذا الا ويقهر احدهما صاحبه ويكون السلطان والغلبة له الثاني عذاب قلبه بمعشوقه
فان من احب شيئا غير الله عذب به ولا بد كما قيل ۔ فما في الارض اشقى من محب * وان
وجد الهوى حلو المذاق * تراه باكيا في كل حين * مخافة فرقة او لاشتياق * فيبكي ان
نأوا شوقا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراق * فتسخن عينه عند الفراق * وتسخن عينه
عند التلاق * والعشق وان استلذ به صاحبه فهو من اعظم عذاب القلب الثالث
ان العاشق قلبه اسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه
فقلبه كالعصفور في كف الطفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب فيعيش
العاشق عيش الاسير الموثق ويعيش الخلي عيش المسيب المطلق والعاشق كما قيل ۔ طليق
برأي العين وهو اسير * عليل على قطب الهلاك يدور * وميت يرى في صورة الحي
غاديا * وليس له حتى النشور نشور * اخذ غزات ضاع فيهن قلبه * فليس له حتى الممات
حضور * الرابع انه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه فليس شيء اضيع لمصالح الدين
والدنيا من عشق الصور اما مصالح الدين فانها منوطة بلم شعث القلب واقباله على
الله وعشق الصور اعظم شيء تشعيثا وتشتيتا له واما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة

نسخة: فارغا
نسخة: قد يوجبان
نسخة: ايثار
١٧٨
نسخة: عذر
نسخة: استعذب العاشق
نسخة: كالعصفورة يسومها
نسخة: المعشوق
نسخة: عند اخذ
نسخة: بالم في الالم الشعث
نسخة: تشعيثا

لمصالح الدين فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه فمصالح دنياه اضيع
واضيع الخامس ان آفات الدنيا والآخرة اسرع الى عشاق الصور من النار في
يابس الحطب وسبب ذلك ان القلب كلما قرب من العشق اقوى اتصاله
به بعد عن الله فابعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور واذا بعد القلب من الله
طرقته الآفات من كل ناحية فان الشيطان يتولاه ومن تولاه عدوه واستوى عليه
لم يأله وبالا ولم يدع اذى يمكنه ايصاله اليه الا اوصله فما الظن بقلب تمكن منه عدوه
واحرص الخلق على غيه وفساده وبعد منه وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور الا بقربه
وولايته السادس انه اذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه افسد الذهن واحدث
الوساوس وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها
واخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها بل بعضها يشاهد بالعيان واشرف
ما في الانسان عقله وبه يتميز عن سائر الحيوانات فاذا عدم عقله التحق بالبهائم بل
ربما كان حال الحيوان اصلح من حاله وهل اذهب عقل مجنون ليلى واضربه الا العشق ١٧٤
وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل ؎ قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم *
العشق اعظم مما بالمجانين * العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين
السابع انه ربما افسد الحواس او نقصها اما فسادا معنويا او صوريا اما الفساد المعنوي
فهو تابع لفساد القلب فان القلب اذا فسد فسدت العين والاذن واللسان
فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند مرفوعا حبك الشيء يعمي ويصم فهو
يعمي عين القلب عن رؤية مساوي المحبوب وعيوبه فلا ترى العين ذلك ويصم
اذنه عن الاصغاء الى العذل فيه فلا تسمع الاذن ذلك والرغبات تستر العيوب فان
الراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى اذا زالت رغبته فيه
ابصر عيوبه فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشيء على ما هو عليه كما قيل
؎ هويتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي الومها * والداخل
في الشيء لا يرى عيوبه والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه ولا يرى عيوبه

مصالح — وتقوى — بين — فاستولى — يبال بالناس قلب — غيه — يشاهد — بالحيوان البهيم — اضرابه — في — لما هو عليه

الامن دخل فيه ثم خرج منه ولهذا كان الصحابة الذين كانوا في الاسلام بعد الكفر خيرا
من الذين ولدوا في الاسلام قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما ينقض عرى
الاسلام عروة عروة اذا ولد في الاسلام من لا يعرف الجاهلية واما فساده للحواس
ظاهرا فانه يمرض البدن وينهكه وربما ادى الى تلفه كما هو المعروف في اخبار من
قتله العشق وقد رفع الى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انحل حتى عاد جلدا على
عظم فقال ما شأن هذا قالوا به العشق فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق
عامة يومه الثامن ان العشق كما تقدم هو الافراط في المحبة بحيث يستولي
المعشوق على القلب من العاشق حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه بحيث
لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية فتتعطل
تلك القوى فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر
فتتغير افعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فتعجز البشر عن صلاحه كما قيل

؎ الحب اول ما يكون لجاجة * يأتي بها وتسوقه الاقدار * حتى اذا خاض الفتى
لجج الهوى * جاءت امور لا تطاق كبار * والعشق مبادئه سهلة حلوة واوسطه هم
وشغل قلب وسقم وآخره عطب وقتل ان لم يتداركه عناية من الله كما قيل
؎ وعش خاليا فالحب اوله عنا * واوسطه سقم وآخره قتل * وقال آخر ؎
تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق * رأى لجة ظنها موجة *
فلما تمكن منها غرق * والذنب له فهو الجاني على نفسه وقد قعد تحت المثل السائر
يداك اوكتا وفوك نفخ *

فصل

والعاشق له ثلث مقامات مقام ابتداء ومقام توسط ومقام انتهاء فاما مقام
ابتدائه فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه اذا كان الوصول الى معشوقه
متعذرا قدرا وشرعا فان عجز عن ذلك وابى قلبه الا السفر الى محبوبه وهذا
مقام التوسط والانتهاء فعليه كتمانه ذلك وان لا ينسبه الى الخلق ولا التشبب

بمحبوبه ولا يهتكه بين الناس فيجمع بين الظلم والشرك فان الظلم في هذا الباب من
اعظم انواع الظلم وربما كان اعظم ضررا على المعشوق واهله من ظلمه في ماله فانه
يعرض المعشوق بهتكه في عشقه الى وقوع الناس فيه وانقسامهم الى مصدق
ومكذب واكثر الناس يصدق في هذا الباب بادنى شبهة واذا قيل فلان فعل
بفلان او بفلانة كذبه واحد وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعين وخبر العاشق المتهتك عند
المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني بل اذا اخبر المفعول
به عن نفسه كذبا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزما لا يحتمل النقيض بل لو
جمعهما مكانا واحدا اتفاقا جزموا ان ذلك عن وعد واتفاق بينهما وجزمهم في هذا
الباب على الظنون والتخييل والشبهة والاوهام والاخبار الكاذبة كجزمهم بالحسيات
المشاهدة وبذلك وقع اهل الافك في الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم المبرأة من فوق سبع سموات لشبهة مجيء صفوان بن المعطل بها
۱۷۶ وحده خلف العسكر حتى هلك من هلك ولولا ان تولى الله سبحانه براءتها
والذب عنها وتكذيب قاذفها لكان امرا آخر والمقصود ان في اظهار المبتلى عشق من لا
يحل له الاتصال به من ظلمه واذاه ما هو عدوان عليه وعلى اهله وتعريض لتصديق كثير
من الناس ظنونهم فيه فان استعان عليه بمن يستميله اليه اما برغبة او رهبة تعدى الظلم وانتشر
وصار ذلك الواسطة بين الراشي والمرتشي صار ذلك الواسطة ظالما واذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم قد لعن الرائش وهو الواسطة وديوثا ظالما بين الراشي والمرتشي لايصال
الرشوة فما الظن بالديوث الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة فيتساعد
العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة فيتساعد العاشق على ظلم المعشوق وغيره ممن
يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس او مال او عرض فان كثيرا ما يتوقف حصول
غرضه على قتل نفس يكون حياتها مانعة من غرضه وكم قتيل طل دمه بهذا السبب من
زوج وسيد وقريب وكم خببت امرأة على بعلها وجارية وعبد على سيدهما وقد
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك وتبرأ منه وهو من اكبر الكبائر واذا

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه وان يستام
على سومه فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امراته وامته حتى يتصل بهما وعشاق
الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبا فان في طلب العاشق وصل
معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ففي ذلك من اثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن اثم
الفاحشة ان لم يربو عليها ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة فان التوبة وان
اسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة به يوم القيمة فان ظلم الوالد بافساد ولده ظلم الوالد
وفلذة كبده ومن هو اعز عليه من نفسه فظلم الزوج بافساد حبيبته والخيانة على فراشه اعظم الخيانة
من ظلمه باخذ ماله كله ولهذا يؤذيه ذلك اعظم مما يؤذيه باخذ ماله ولا يعدل ذلك
عنده الا سفك دمه فيا له من ظلم اعظم اثما من فعل الفاحشة فان كان ذلك
حقا لغاز في سبيل الله وقف له الجاني الفاعل يوم القيمة وقيل له خذ من حسناته
ما شئت كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فما ظنكم اي فما
تظنون يبقى له من حسناته فان انضاف الى ذلك ان يكون المظلوم جارا او ذا ١٧٧
رحم محرم تعدد الظلم وصار ظلما مؤكدا لقطيعة الرحم واذى الجار ولا يدخل الجنة قاطع
رحم ولا من لا يامن جاره بوائقه فان استعان العاشق على وصال معشوقه
بشياطين الجن اما بسحر او استخدام او نحو ذلك ضم الى الشرك والظلم كفر السحر فان الانس
لم يفعله هو ورضي به كان راضيا بالكفر غير كاره لحصول مقصوده وهذا ليس ببعيد
من الكفر والمقصود ان التعاون في هذا الباب تعاون على الاثم والعدوان اما
ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي ضرره فامر لا يخفى فانه يقترون
اذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق امور اخر يريدها من العاشق اعانته اغراضه
عليها فلا يجد من اعانته بدا فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان فالمعشوق
يعين العاشق على ظلم من اتصل به من اهله واقاربه وسيده وزوجه والعاشق
يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفا على ظلمه فكل منهما يعين
الآخر على اغراضه التي يكون فيها ظلم الناس فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما

في القبح لتعاونهما بذلك على الظلم وكما جرت العادة بين العشاق والمعشوقين من
اعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغي حتى ربما يسعى له في منصب
لا يليق الا به ولا يصلح لمثله في تحصيل مال من غير حله وفي استطالته على غيره فاذا
اختصم معشوقه وغيره او تشاكيا لم يكن الا في جانب المعشوق ظالما كان او مظلوما
هذا الى ما ينضم الى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحيل على اخذ اموالهم والتوصل
بها الى معشوقه بسرقة او غصب او خيانة او يمين كاذبة او قطع طريق ونحو ذلك وربما
ادى ذلك الى قتل النفس التي حرم الله ليأخذ ماله ليتوصل به الى معشوقه فكل هذه
الآفات واضعافها واضعاف اضعافها تنشأ من عشق الصور وربما حمله على الكفر الصريح
وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الاسلام بسبب معشوقه كما جرى لبعض المؤذنين
حين ابصر امرأة جميلة على سطح ففتن بها فنزل ودخل عليها وسألها نفسها فقالت
هي نصرانية فان دخلت في ديني تزوجت بك ففعل فرقي في ذلك اليوم على درجة
عندهم فسقط منها فمات ذكرها عبد الحق في كتاب العاقبة له واذا اراد النصارى ان 178
ينصروا الاسير اراوه امرأة جميلة وامروها ان تطمعه في نفسها حتى اذا تمكن حبها من قلبه
بذلت له نفسها ان دخل في دينها فهنالك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي العشق من
ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه لمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه فكل
منهما ظالم لنفسه وصاحبه وظلمهما متعد الى الغير كما تقدم واعظم من ذلك ظلمهما بالشرك
فقد تضمن العشق انواع الظلم كلها والمعشوق اذا لم يتق الله فانه يعرض العاشق للتلف
وذلك ظلم منه بان يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج منه ماله
ونفعه ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه فهو يسومه سوء العذاب والعاشق
ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه ولا سيما اذا جاد بالوصال لغيره وكم للعشق من
قتيل من الجانبين وكم قد ازال من نعمة وافقر من غنى واسقط من مرتبة وشتت من شمل
وكم افسد من اهل للرجل وولده فان المرأة اذا رأت بعلها عاشقا لغيره اتخذت هي معشوقا

العشق

كم قتيل للعشق

لنفسها فيصير الرجل مترددا بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة فمن الناس
من يؤثر هذا ومنهم من يؤثر هذا فعلى العاقل ان يحكم على نفسه بسبب عشق الصور لئلا
يؤذيه ويؤديه ذلك الى الهلاك والى هذه المفاسد او اكثرها او بعضها فمن فعل ذلك
فهو المفرط بنفسه المغرر بها فاذا اهلكت فهو الذي اهلكها فلولا تكراره النظر الى وجه
معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه فان اول اسباب العشق الاستحسان
سواء تولد عن نظر او سماع فان لم يقارنه طمع في الوصال وقارنه الاياس من ذلك
لم يحدث العشق فان اقترن به الطمع فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به لم يحدث له
ذلك فان اطاع مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق وقارنه خوف ما هو اكبر عنده من
لذة وصاله اما خوف ديني كخوف النار وغضب الجبار واحتقاب الاوزار وغلب هذا
الخوف على ذلك الطمع والفكر لم يحدث له العشق فان فاته هذا الخوف وقارنه خوف
دنيوي كخوف اتلاف نفسه وماله او ذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس وسقوطه من
179 عين من يعز عليه وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه وكذلك اذا خاف من
فوات محبوب هو احب اليه وانفع له من ذلك المعشوق وقدم محبته على محبة المعشوق
اندفع عنه العشق فان انتفى ذلك كله او غلبت محبة المعشوق لذلك انجذب اليه القلب
بالكلية ومالت اليه النفس كل الميل فان قيل قد ذكرتم آفات العشق ومضاره
ومفاسده فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التي من جملتها رقة الطبع وترويح النفس وخفتها
وزوال ثقلها ورياضتها وحملها على مكارم الاخلاق من الشجاعة والكرم والمروءة ورقة الحاشية ولطف
الجانب وقد قيل ليحيى بن معاذ الرازي ان ابنك قد عشق فلانة فقال الحمد لله
الذي صيره الى طبع الآدمي وقال بعضهم العشق داء افئدة الكرام وقال غيره العشق
لا يصلح الا لذي مروءة ظاهرة وخليقة طاهرة او لذي لسان فاضل او احسان
كامل او لذي ادب بارع وحسب ناصع وقال آخر العشق يشجع الجبان ويصفي
ذهن الغبي ويسخي كف البخيل ويذل عزة الملوك ويسكن نوافر الاخلاق وهو
انيس من لا انيس له وجليس من لا جليس له وقال آخر العشق يزيل الاثقال

ويلطف الروح ويصفي كدر القلب ويوجب الارتياح لافعال الكرام كما قيل ؎ (جانب)

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكم * اذا غاله من حادث الحب غائله * كريم يميت السر

حتى كانه * اذا استفهموه عن حديثك جاهله * يود بان يمشى سقيما لعلها * اذا سمعت (يود بان يمسى)

عنه بشكوى تراسله * ويهتز للمعروف فى طلب العلى * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *

فالعشق يحمل على مكارم الاخلاق وقال بعض الحكماء العشق يروض النفس و

يهذب الاخلاق اظهاره طبعى واضماره تكلفى وقال الآخر من لم تبتهج نفسه بالصوت الشجى والوجه

البهى فهو فاسد المزاج يحتاج الى علاج وانشد فى ذلك المعنى ؎ اذا انت لم

تعشق ولم تدر ما الهوى * فما لك فى طيب الحيوة نصيب * وقال الآخر ؎

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فقم واعتلف تبنا فانت حمار * وقال الآخر ؎ اذا

انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من جانب الصخر جلمدا * وقال بعض العشاق ولو العفة والصيانة اذا عفوا

تشرفوا واذا عشقوا تظرفوا وقيل لبعض العشاق اكنت تصنع بمن تهوى لو ظفرت به فقال كنت امتع طرفى بوجهه وارو‍ح

١٨٠

قلبى بذكره وحديثه واستر منه ما لا احب كشفه ولا اصير بقبيح الفعل الى ما ينقض

عهده ثم انشد ؎ اخلو به فاعف عنه تكرما * خوف الديانة لست من عشاقه *

كالماء فى يد صائم يلتذ به * ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه * وقال ابو اسحق بن ابراهيم (علے)

ارواح العشاق عطرة لطيفة وابدانهم رقيقة خفيفة نزهتهم المؤانسة وكلامهم يحيى

موات القلوب ويزيد فى العقول ولولا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا وقال (عمل)

آخر العشق للارواح بمنزلة الغذاء للابدان ان تركته ضرك وان اكثرت منه

قتلك وفى ذلك قيل ؎ خليلى ان الحب فيه لذاذة * وفيه شقاء دائم وكروب * (العشق)

على ذاك ما عيش يطيب بغيره * ولا عيش الا بحبيب يطيب * ولا خير فى الدنيا

بغير صبابة * ولا فى نعيم ليس فيه حبيب * وذكر الخرائطى عن ابن غسان قال (الى)

مر ابو بكر الصديق رضى الله عنه بجارية وهى تقول ؎ وهويته من قبل قطع تمائمى

متمائلا مثل القضيب الناعم * فسألها احرة انت ام مملوكة قالت بل مملوكة (منا لكنا)

فقال من هويت فتلكات فاقسم عليها فقالت ؎ وانا التى لعب الهوى بفؤادها * (من هواك)

فتلت بحب محمد بن القاسم * فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن
جعفر بن ابى طالب فقال هؤلاء والله فتن الرجال وكم والله قد مات بهن كريم وعطب
بهن سليم وجاءت جارية عثمان بن عفان رضى الله عنه تستعدى على رجل من
الانصار قال لها عثمان ما قصتك قالت كلفت يا امير المؤمنين بابن اخيه فما انفك
اداعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالى فقال اشهدك
يا امير المؤمنين انها له ونحن لا ننكر فساد العشق الذى يتعلق به فعل الفاحشة بالمعشوق
وانما الكلام فى العشق العفيف من الرجل الظريف الذى يابى له ايمانه ودينه وعفته
ومروته ان يفسد ما بينه وبين الله وما بينه وبين معشوقه بالحرام وهذا عشق السلف الكرام
والائمة الاعلام فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد الفقهاء السبعة
عشق حتى اشتهر امره ولم ينكر عليه وعد ظالما من لامه ومن شعره ؎ كتمت الهوى
حتى اضر بك الكتم * ولامك اقوام ولومهم ظلم * فنم عليك الكاشحون وقبلهم * عليك
الهوى قد نم فيه الكتم * فاصبحت كالهندى اذ مات حسرة * على اثر هند او كمن شفه سقم
تجنبت اتيان الحبيب تاثما * الا ان هجران الحبيب هو الاثم * فذق هجرها قد كنت
تزعم انه * رشاد الا يا ربما كذب الزعم * وهذا عمر بن عبد العزيز عشق جارية فاطمة
بنت عبد الملك بن مروان امرأته مشهورة وكانت جارية بارعة الجمال وكان معجبا بها وكان
يطلبها من امرأته ويحرص على ان تهبها له فتابى ولم تزل الجارية فى نفس عمر فلما استخلف
امرت فاطمة بالجارية فاصلحت وكانت مثلا فى حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر
وقالت يا امير المؤمنين انك كنت معجبا بجاريتى فلانة فسألتنيها ان اهبها لك
فابيت عليك والآن فقد طابت نفسى لك بها فلما قالت له ذلك استبان الفرح
فى وجهه وقال عجلى بها على فلما دخلت بها عليه ازداد بها عجبا وقال لها القى ثيابك
ففعلت ثم قال لها على رسلك اخبرينى لمن كنت ومن اين صرت لفاطمة
فقالت اغرم الحجاج عاملا له بالكوفة مالا وكنت فى رقيقه ذلك قالت فاخذنى
وبعث بى الى عبد الملك فوهبنى لفاطمة قال وما فعل ذلك العامل قالت

وقال
اداعيه الى آخر
متعلقه
ثباتهم
١٨١
رشاده لالاباويا
ادخلتها
رفيق

بك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال فما حالهم قالت سيئة قال شدي عليك
ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله على العراق ان ابعث الى فلان بن
فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع الي جميع ما اغرمه الحجاج لابيك فلم يرفع اليه
شيئا الا دفعه اليه ثم امر بالجارية فدفعت اليه ثم قال اياك واياها فلعل اباك
قد وقع بها فقال الغلام هي لك يا امير المؤمنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها مني قال لست
ممن نهى النفس عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف قالت اين وجدك بي
يا امير المؤمنين قال على حاله ولقد زاد ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات
رحمه الله وهذا ابو بكر بن محمد بن داود الظاهري العالم المشهور في فنون العلم من الفقه والحديث والتفسير والادب
وله قول في الفقه وهو من اكابر العلماء وعشقه مشهور قال نفطويه دخلت عليه في
مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك قال حب من تعلم اورثني ما ترى
فقلت وما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والاخر
اللذة المحظورة فاما النظر المباح فهو الذي اورثني ما ترى واما اللذة المحظورة فمنعني منها ١٨٢
ما حدثني ابي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد
عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وادخله
الجنة ثم انشد انظر الى السحر يجري من لواحظه * وانظر الى دعج في طرفه الساجي *
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كانهن نمال دب في عاج * ثم انشد
ما لهم انكروا سوادا بخديه ولا ينكرون ورد الغصون * ان يكن عيب خده بدو الشعر
فعيب العيون شعر الجفون * فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته
في الشعر فقال غلبة الوجد وملكة النفس دعت اليه ثم مات من ليلته وبسبب
معشوقه صنف كتاب الزهرة ومن كلامه فيه من يئس ممن يهواه ولم يمت من
وقته سلاه وذلك ان اول روعات الياس تاتي القلب وهو غير مستعد لها
فاما الثانية تاتي القلب وقد وطأت لها الروعة والتقى هو وابو العباس بن شريح
في مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسالة من الايلاء فقال له ابن

شريح أنت بأن تقول من نظمت لمحفظاته كثرت حسراته أحذق منك بالكلام على
الفقه فقال الآن كان ذلك فإني أقول ؎ أنزه في روض المحاسن مقلتي *
وأمنع نفسي أن تنال محرما * وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه * يصب على الصخر
الأصم تهدما * وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما * رأيت
الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى ودا صحيحا مسلما * فقال له أبو العباس
ابن شريح تفخر علي ولو شئت لقلت ؎ مطاعمه كالشهد في نغماته * قد بت أمنعه
لذيذ سناته * لصبابه وبحسنه وحديثه * وأنزه اللحظات عن وجناته * حتى إذا ما الصبح
راح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته * فقال أبو بكر يحفظ عليه الوزير ما أقر به حتى يقيم
شاهدين على أنه ولى بخاتم ربه وبراءته فقال ابن شريح يلزمني في هذا ما يلزمك
في قولك ؎ أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال محرما * فضحك
الوزير فقال لقد جمعتما لطفا وظرفا ذكر ذلك أبو بكر الخطيب في تاريخه ومجاراته يا
١٨٣ فتيا سمعوناه ؎ يا ابن داود يا فقيه العراق * أفتنا في قواتل الأحداق * هل عليها بما أتت
من جناح * أم حلال لها دم العشاق * فكتب تحت البيتين بخطه ؎ عندي جواب
سائل العشاق * فاسمعه من قرح الحشا مشتاق * لما سألت عن الهوى هيجتني
وأرقت دمعا لم يكن مهراق * إن كان معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب
أنعم العشاق * قال صاحب كتاب منازل الأحباب شهاب الدين محمود بن
سليمان بن فهد صاحب كتاب الإنشاء وقلت في جواب البيتين مفتيا
مجيبا للسائل ؎ قل لمن جاء سائلا عن لحاظ * هن يلعبن في دم العشاق *
ما على السيف في الفعل من جناح * إن تنبى الحد عن دم مهراق * وسيوف اللحاظ
أولى بأن * تصفح عما جنت على العشاق * إنما كل من قتلن شهيد * ولهذا يلقين فيها
وهو باق * ونظير ذلك فتوى وردت على الشيخ أبي الخطاب محفوظ بن أحمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته رحمه الله ؎ قل للإمام أبي الخطاب مسألة *
جاءت إليك وما خلق سواك لها * ماذا على رجل رام الصلاة فمذ * لاحت

ارض
قم لفقد على
سنابه بحديثه
نزاهته لاح
نزاهته
ارض
وقال
بأرق معشوق
سليمان بن فهد زينها
الوزير
عن جنة قتلن
الكلوذاني
خلق

مخاطرة ذات الجمال لها * فاجابه تحت سؤاله ٥ قل للاديب الذي وافى بمسألة
سرت فؤادي لما ان اضحت لها * ان الذي فتنته عن عبادة ربه * فريدة ذات
حسن فانثنى ولها * ان تاب ثم قضاء عنه عبادة ربه * فرحمة الله تغشى من عصى
ولها * وقال عبد الله بن معمر القيسي حججت سنة ثم دخلت مسجد المدينة لزيارة قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا جالس ذات ليلة بين القبر والمنبر اذ سمعت انينا
فاصغيت اليه فاذا هو يقول ٥ اشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك
بلابل الصدر * ام عز نومك ذكر غانية * اهدت اليك وساوس الفكر * يا ليلة طالت
على دنف * يشكو السهاد وقلة الصبر * اسلمت من تهوى لحر جوى * متوقد كتوقد
الجمر * فالبدر يشهد انني كلف مغرم * بحب شبيهة البدر * ما كنت احسبني اهيم
بحبها * حتى بليت وكنت لا ادري * ثم انقطع الصوت فلم ادر من اين جاء واذا به
قد عاد البكاء والانين ثم انشد يقول ٥ اشجاك من ريا خيال زائر * والليل مسود الذوائب عاكر * واغتال مهجتك
الهوى بشبيبة * واهتاج مقلتك الخيال الزائر * ناديت ليلى والظلام كانه * يم تلاطم فيه موج زاخر * والبدر يسري في السماء كانه
ملك ترجل والنجوم عساكر * وترى به الجوزاء ترقص في الدجى * رقص الحبيب علاه سكر طاهر * يا ليل طلت على محب ما له * الا الصباح
مساعد ومؤازر * فاجابني مت حتف نفسك واعلمن * ان الهوى لهو الهوان الحاضر * قال وكنت نهضت عند ابتدائه
بالابيات فلم ينتبه الا وانا عنده فرأيت شابا مقبلا شبابه قد خرق الدمع في
خده خرقين فسلمت عليه فقال اجلس من انت قلت عبد الله بن معمر
القيسي قال الك حاجة قلت نعم كنت جالسا في الروضة
فما راعني الا صوتك فبنفسي افديك فما الذي تجده
فقال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري
غدوت يوما الى مسجد الاحزاب فصليت فيه ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة
اقبلن يتهادين مثل القطا واذا في وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة
على وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت
اسمع لها خبرا ولم اقف لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم

واكب مغشياً عليه ثم افاق كانما صبغت وجنتاه بورس ثم انشد يقول ارائكم
بقلبي من بلاد بعيدة ✽ فيا هل تردني بالفؤاد على البعد ✽ فؤادي وطرفي ياسفان
عليكم ✽ وعندكم روحي وذكركم عندي ✽ ولست الذ العيش حتى اراكم ✽ ولو كنت
في الفردوس في جنة الخلد ✽ فقلت يا ابن اخي تب الى ربك واستغفره من ذنبك فبين
يديك هول المطلع فقال ما انا بسائل حتى يؤوب القارضان فلم ازل معه حتى طلع
الصباح فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله ان يكشف كربتك فقال ارجوا
ذلك ان شاء الله ببركة طاعتك فذهبنا حتى اتينا مسجد الاحزاب فسمعته يقول
يا للرجال ليوم الاربعاء اما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا ✽ ما ان يزال غزال منه
يقلقني ✽ ياتي الى مسجد الاحزاب منتقبا ✽ يخبر الناس ان الاجر همته ✽ وما انا
طالبا للاجر محتسبا ✽ لو كان يبغي ثوابا ما اتى صلفا ✽ مضمخا بفتيت المسك مختضبا ✽
ثم جلسنا حتى صلينا الظهر فاذا بالنسوة قد اقبلن وليست الجارية فيهن فوقفن عليه
وقلن له يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة بالك قال وما بالها قلن اخذها ابوها
وارتحل بها الى ارض السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف
السلمي فرفع عتبة اليهن راسه وقال خليلي ريا قد اجد بكورها ✽ وسارت
الى ارض السماوة عيرها ✽ خليلي اني قد غشيت من البكا ✽ فهل عند غيري مقلة
استعيرها ✽ فقلت له اني قد وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله لابذلنه امامك
حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا ثم بنا الى مسجد الانصار فقمنا وسرنا حتى اشرفنا على
ملأ منهم فسلمت فاحسنوا الرد فقلت ايها الملأ ما تقولون في عتبة وابيه قالوا من سادات
العرب قلت انه قد رمي بداهية من الهوى وما اريد منكم الا المساعدة الى السماوة فقالوا
اولى بها وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على منازل بني سليم فاعلم
الغطريف بنا فخرج مبادرا فاستقبلنا وقال حييتم بالاكرام فقلنا وانت فحياك الله انا لك اضيافا
فقال نزلتم اكرم منزل فنادى يا معشر العبيد انزلوا القوم ففرشت الانطاع والنمارق
وذبحت الذبائح فقلنا لسنا بذائقي طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا

انشأ
يأسفان طرفي يأسف
يؤوب القارضان الى الابد
النهار
لطالبة كاشفة

فما
عشيت
السير

نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر فقال ان التي تخطبونها امرها الى الذي تخطبونها
نفسها وانا داخل اخبرها ثم دخل مغضبا على ابنته فقالت يا ابت مالي ارى الغضب
في وجهك فقال قد ورد الانصار يخطبونك مني فقالت سادات كرام استغفر لهم الرسول
صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لعتبة قالت والله لقد سمعت عن عتبة هذا انه
يفي بالوعد ويدرك اذا قصد فقال اقسمت لا ازوجنك اياه ابدا ولقد نمى الي بعض يمن ايا
حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن اذا اقسمت فان الانصار لا يردون ردا
قبيحا فاحسن لهم الرد فقال باي شيء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم قوم يرجعون ولا يجيبون لهم
فقال ما احسن ما قلت فخرج مبادرا عليهم فقال ان فتاة الحي قد اجابت ولكني اريد لها مهرا
مثلها فمن القائم به فقال عبد الله بن سمرة انا فقل ما شئت فقال الف مثقال من
الذهب ومائة ثوب من الابراد وخمسة اكرشة من عنبر فقال عبد الله لك ذلك كله
فهل اجبت قال نعم قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار الى المدينة فاتوا بجميع اجمل
ما طلب ثم صنعت الوليمة فاقمنا على ذلك اياما ثم قال خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين ١٨٦
ثم حملها في هودج وجهزها بثلثين راحلة من المتاع والتحف فودعناه وسرنا حتى اذا بقي بيننا
وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة احسبها من سليم فحمل عليها عتبة
فقتل منهم رجالا وجدل منهم آخرين ثم رجع وبه طعنة تفور دما فسقط الى الارض واتتنا
نجدة فطردت الخيل عنا وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية فالقت
نفسها عن البعير وجعلت تصيح بحرقة وانشدت ٭ تصبرت لا اني صبرت وانما ٭
اعلل نفسي انها بك لاحقه ٭ فلو انصفت روحي لكانت الى الردى ٭ امامك من ب
دون البرية سابقه ٭ فما احد بعدي وبعدك منصف ٭ خليلا ولا نفس لنفس موافقه ٭ خليلا
ثم شهقت وقضت نحبها فاحتفرنا لهما قبرا واحدا ودفناهما فيه ثم رجعت الى المدينة فاقمت
سبع سنين ثم ذهبت الى الحجاز ووردت المدينة فقلت والله لآتين قبر عتبة
ازوره فاتيت القبر فاذا عليه شجرة عليها عصائب حمر وصفر فقلت لارباب
المنزل ما يقال لهذه الشجرة قالوا شجرة العروسين فلو لم يكن في العشق من الرخصة

المخالفة للتشديد الا الحديث الوارد بالحسن من الاسانيد وهو حديث سويد بن سعيد
بن علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس يرفعه من عشق
وعف وكتم فمات فهو شهيد ورواه سويد ايضا عن ابن مسهر عن هشام بن عروة عن ابيه عن
عائشة مرفوعا ورواه الخطيب عن الازهري ابي الا عن المعافا بن زكريا عن قطبة عن ابن
الفضل عن احمد بن مسروق عنه ورواه الزبير بن بكار عن عبد العزيز الماجشون عن
عن عبد العزيز بن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس وهذا سيد
الاولين والآخرين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم نظر الى زينب بنت
جحش رضي الله عنها فقال سبحان مقلب القلوب وكانت تحت زيد بن حارثة
مولاه فلما هم بطلاقها قال له اتق الله وامسك عليك زوجك فلما طلقها زوجها الله سبحانه
من رسوله صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات فكان هو وليها والولي تزويجها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد نكاحها فوق عرشه وانزل على رسوله ١٨٧
صلى الله عليه وسلم واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك
زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه وهذا داود نبي الله عليه السلام لما كان تحته تسعة وتسعين امرأة ثم احب
تلك المرأة وتزوجها وكمل بها المائة قال الزهري اول حب كان في الاسلام
حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان مسروق يسميها
حبيبة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم وقال ابو القيس مولى عبد الله انيس
ابن عمر ارسلني عبد الله بن عمر الى ام سلمة اسألها اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبل اهله وهو صائم فقالت لا فقال ان عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها وهو صائم فقالت ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى عائشة لم يتمالك
نفسه عنها وذكر سعيد بن ابراهيم عن عامر بن سعيد عن ابيه قال كان ابراهيم خليل الله يزوره جبريل في كل
يوم من الشام على البراق من شغفه بها وقلة صبره عنه وذكر الخرائطي ان عبد الله بن
عمر رضي الله عنها اشترى جارية رومية فكان يحبها حبا شديدا فوقعت ذات

يوم عين لغلته فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها ويقبلها
وكانت اكثر من ان تقول له يا بطرد انت قالون تعني يا مولاي انت جيد ثم انها بعد
سنة فوجد عليها وجدا شديدا فقال ٥ قد كنت احسبني قالون فانصرفت فاليوم
اعلم اني غير قالون * قال ابو محمد بن حزم وقد احب من الخلفاء الراشدين والائمة
المهتدين كثير وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا امير المؤمنين رأيت امرأة
فعشقتها فقال ذلك ما لا يملك فالجواب وبالله التوفيق ان الكلام في هذا الباب
لابد فيه من التمييز بين الواقع والجائز والنافع والضار ولا يستعجل عليه بالذم والانكار يستحل
ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة وانما يتبين حكمه وينكشف امره بذكر متعلقه والا
فالعشق من حيث هو لا يحمد ولا يذم ونحن نذكر النافع من الحب والضار والجائز والحرام
اعلم ان انفع المحبة على الاطلاق واوجبها واعلاها واجلها محبة من جبلة القلوب على
محبته وفطرت الخليقة على تألهه وبها قامت الارض والسموات وعليها فطر المخلوقات ١٨٨
وهي سر شهادة ان لا اله الا الله فان الاله هو الذي تأله القلوب بالمحبة والاجلال والتعظيم وانواع
والذل والخضوع وتعبده والعبادة لا تصح الا له وحده والعبادة هي كمال الحب
مع كمال الخضوع والذل والشرك في هذه العبودية من اظلم الظلم الذي
لا يغفره الله والله سبحانه يحب لذاته من سائر الوجوه وما سواه فانما يحب تبعا لمحبته
وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة ودعوة جميع رسله صلى الله عليهم وسلم
اجمعين وفطر التي فطر عليها عباده وما ركب فيها من العقول وما اسبغ عليهم من النعم
فان القلوب مفطورة مجبولة على محبة من انعم عليها واحسن اليها فكيف بمن كل
الاحسان منه وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له كما قال تعالى وما بكم يخلقه
من نعمة فمن الله الآية وما تعرف به الى عباده من اسمائه الحسنى وصفاته العليا
وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كماله ونهاية جلاله وعظمته والمحبة لها داعيان الجلال
والجمال والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك فانه جميل يحب الجمال
بل الجمال كله له والاجمال كله منه فلا يستحق ان يحب لذاته من كل وجه سواه قال الله تعالى

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاية والولاية اصلها الحب فلا موالاة
الا بحب كما ان العداوة اصلها البغض والله ولي الذين آمنوا وهم اولياؤه فهم يوالونه
بمحبتهم له وهو يواليهم بمحبته لهم فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له ولهذا انكر سبحانه على من اتخذ
من دونه اولياء بخلاف من والى اولياءه فانه لم يتخذهم من دونه بل موالاته لهم من
تمام موالاته وقد انكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة واخبر ان من فعل ذلك
فقد اتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واخبر
عمن سوى بينه وبين الانداد في المحبة انهم يقولون في النار لمعبوديهم تالله ان كنا لفي
ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وبهذا التوحيد في المحبة ارسل الله سبحانه جميع
رسله صلى الله عليهم وسلم وانزل جميع كتبه واطبقت عليه دعوة جميع الرسل عليهم الصلوة
والسلام من اولهم الى آخرهم ولاجله خلقت السموات والارض والجنة والنار فجعل
١٨٩ الجنة لاهله والنار للمشركين به فيه وقد اقسم النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يؤمن عبد
حتى يكون هو احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين فكيف بمحبة الرب
جل جلاله وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لا حتى اكون احب اليك من نفسك
اي لا تؤمن حتى تصل محبتك لي الى هذه الغاية فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اولى بنا
من انفسنا بالمحبة ولوازمها افليس الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه
وتعالى جده ولا اله غيره اولى بمحبته وعبادته من انفسهم وكل ما منه الى عبده المؤمن يدعوه
الى محبته مما يحب العبد ويكره فعطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله
وفضله واماتته واحياؤه ولطفه وبره ورحمته واحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على
عبده واجابته لدعائه وكشف كربه واغاثته لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه اليه بل مع غناه
التام عنه من جميع الوجوه كل ذلك داع للقلوب الى تألهه ومحبته بل تمكينه عبده من
معصيته واعانته عليها وستره حتى يقضي وطره منها وكلاءته وحراسته له وهو يقضي وطره من معصيته وهو يعينه ويستعين
عليها بنعمه من اقوى الدواعي الى محبته فلو ان مخلوقا فعل بمخلوق ادنى شيء من

ذلك لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن اليه
على الدوام بعدد الانفاس مع اساءته فخيره اليك نازل وشره اليه صاعد يتحبب
اليه بنعمه وهو غني عنه والعبد يتبغض اليه بالمعاصي وهو فقير اليه فلا احسانه وبره وانعامه بنعمته
عليه يصده عن معصيته ولا معصية العبد ولومه يقطع احسان ربه عنه فلماذا تخلف القلوب فالام اللوم
عن محبة من هذا شأنه وتعلقها بمحبة سواه وايضا فكل من تحبه من الخلق او يحبك انما يريدك
لنفسه وغرضه منك والرب سبحانه وتعالى يريدك لك كما في الاثر الالهي عبدي
كل يريدك لنفسه وانا اريدك لك فكيف لا يستحيي العبد ان يكون له ربه بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشتغل بمحبة غيره وقد
استغرق قلبه محبة ما سواه وايضا فكل من تعامله من الخلق ان لم يربح عليك لم يعاملك ولا بد له من
نوع من انواع الربح والرب تعالى انما يعاملك لتربح انت عليه اعظم الربح واعلاه فالدرهم بعشر
امثاله الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة والسيئة بواحدة وهي اسرع شيء محوا
وايضا فهو سبحانه خلقك لنفسه وكل شيء خلق لك في الدنيا والآخرة فمن اولى منه
باستفراغ الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته وايضا فمطالبك بل مطالب الخلق ١٩٠
كلهم جميعا لديه وهو اجود الاجودين واكرم الاكرمين يعطي عبده قبل ان يسأله فوق
ما يؤمله يشكر على القليل من العمل وينميه ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه ويسأله من في
السموات والارض كل يوم هو في شأن لا يشغله سمع عن سمع ولا يغلطه كثرة المسا
ولا يتبرم بالحاح الملحين بل يحب الملحين في الدعاء ويحب ان يسئل ويغضب اذا لم يسئل فيستحيي
من عبده حيث لا يستحيي العبد منه ويستره حيث لا يستر نفسه ويرحمه حيث لا يرحم
نفسه دعاه بنعمته واحسانه وبأياديه الى كرامته ورضوانه فابى فارسل رسله صلى الله عليهم وناداه
وسلم في طلبه وبعث معهم اليه عهده ثم نزل سبحانه بنفسه وقال من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له
ادعوك للوصل فتأبى ابعث رسلي في الطلب انزل اليك بنفسي
القاك في النوم وكيف لا تحب وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات
الا هو ولا يذهب بالسيئات الا هو ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر
الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات ويغيث اللهفات وينيل الطلبات

سواه فهو احق من ذكر واحق من شكر واحق من حمد واحق من عبد وانصر من ابتغي وارأف
من ملك واجود من سئل واوسع من اعطى وارحم من استرحم واكرم من قصد واعز من التجي اليه
واكفى من توكل عليه ارحم بالعبد من الوالدة بولدها واشد فرحا بتوبة عبده التائبين من
الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الارض المهلكة اذا ايس من الحيوة فوجدها
وهو الملك فلا شريك له والفرد فلا ند له كل شيء هالك الا وجهه لن يطاع الا باذنه ولن
يعصى الا بعلمه يطاع فيشكر وبتوفيقه ونعمته اطيع ويعصى فيغفر ويعفو وحقه اضيع فهو
اقرب شهيد وادنى حفيظ واوفى وفي بالعهد واعدل قائم بالقسط حال دون النفوس
واخذ بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب
لديه مكشوف وكل احد اليه ملهوف وعنت الوجوه لنور وجهه وعجزت القلوب عن ادراك كنهه
ودلت الفطرة والادلة كلها على امتناع مثله وشبهه اشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت
له الارض والسموات وصلحت عليه جميع المخلوقات لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ما اعتاض باذل حبه
لسواه من عوض ولو ملك الوجود باسره

191

فصل

وههنا امر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به وهو ان كمال اللذة والسرور والفرح
ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لامرين احدهما كمال المحبوب في نفسه وجماله وانه اولى
بايثار المحبة من كل ما سواه والامر الثاني كمال محبته واستفراغ الوسع في حبه وايثار قربه
والوصول اليه على كل شيء وكل عاقل يعلم ان اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته فكلما كانت المحبة
اقوى كانت لذة المحب اكمل فلذة من اشتد ظمأه بادراك الماء الزلال ومن اشتد
جوعه باكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة ارادته ومحبته فاذا
عرفت هذا فاللذة والسرور والفرح امر مطلوب في نفسه بل هو مقصود كل حي
وعاقل واذا كانت اللذة مطلوبة في نفسها فهي تذم اذا اعقبت الما اعظم منها او منعت

بعبده
عنده
العقول
المحب
حصول اللذة
لنفسها

لذة خير منها او اجل فكيف اذا اعقبت اعظم الحسرات وفوتت اعظم اللذات والمسرات
ونحو اذا اعانت على لذة عظيمة دائمة مستقرة لا تنغيص فيها ولا نكد بوجه ما وهي لذة
الآخرة ونعيمها وطيب العيش فيها قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة
خير وابقى وقال السحرة لفرعون لما آمنوا اقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة
الدنيا الآية والله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليبتليهم وينيل من اطاعه هذه اللذة
الدائمة في دار الخلد اما الدنيا فمنقطعة لذاتها لا تصفو ابدا ولا تدوم بخلاف الآخرة فان
لذاتها دائمة ونعيمها خالص من كل كدر والم وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين مع الخلود
ابدا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين بل فيها ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى الذي قصده الناصح لقومه بقوله يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هي
دار القرار فاخبرهم ان الدنيا متاع يستمتع بها الى غيرها وان الآخرة هي المستقر
واذا عرفت ان لذات الدنيا ونعيمها متاع ووسيلة الى لذات الآخرة ولذلك ١٩٢ وسيلة
خلقت الدنيا ولذاتها فكل لذة اعانت على لذة الآخرة واوصلت اليها لم يذم تناولها بل يحمد بحسب
ايصالها الى لذة الآخرة اذا عرف هذا فاعظم نعيم الآخرة ولذاتها النظر الى وجه الله
جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت في الصحيح في حديث الرؤية فوالله ما اعطاهم شيئا
احب اليهم من النظر اليه وفي حديث آخر انه اذا تجلى لهم ورأوه نسوا ما هم فيه من النعيم
وفي النسائي ومسند الامام احمد من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم في دعائه واسألك اللهم لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى
لقائك وفي كتاب السنة لعبد الله بن الامام احمد مرفوعا كأن الناس يوم القيامة لم يسمعوا
القرآن من الرحمن فاذا سمعوه من الرحمن فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك فاذا عرف هذا فاعظم
الاسباب التي تحصل هذه اللذة هو اعظم لذات الدنيا على الاطلاق وهو لذة معرفته
سبحانه ولذة محبته فان ذلك هو لذة الدنيا ونعيمها العالي ونسبة لذاتها الفانية نسبة
اليه كتفلة في بحر فان الروح والقلب والبدن انما خلق لذلك فاطيب ما في الدنيا

معرفته سبحانه ومحبته والذا في الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة
الارواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها من اللذة القاطعة عن ذلك تنقلب — بل لذات الدنيا
آلاما وعذابا ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك فليست الحيوة الطيبة الا بالله وكان — المحبة
بعض المحبين تمر به اوقات فيقول ان كان اهل الجنة في نعيم مثل هذا انهم لفي عيش
طيب وكان غيره يقول لو يعلم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف
واذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب يقول في حاله
سه وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى ٭ فلا خير فيمن لا يحب ويعشق ٭ ويقول
الآخر اف للدنيا متى ما لم يكن ٭ صاحب الدنيا محب او حبيب ٭ ويقول الآخر ولا
خير في الدنيا ولا في نعيمها ٭ وانت وحيد مفرد غير عاشق ٭ ويقول الآخر اسكن الى سكن تلذ بحبه ٭ ذهب الزمان وانت
منفرد ٭ ويقول الآخر تشكى المحبون الصبابة ليتني ٭ تحملت ما يلقون من بينهم وحدي ٭ فكانت لقلبي
لذة الحب كلها ٭ فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي ٭ فكيف بالمحبة التي هي حيوة القلوب
١٩٣ وغذاء الارواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حيوة الا بها واذا فقدها القلب كان
المه اعظم من الم العين اذا فقدت نورها والاذن اذا فقدت سمعها والانف اذا
فقدت شمه واللسان اذا فقد نطقه بل فساد القلب اذا خلى من محبة فاطره وبارئه
والهه الحق اعظم من فساد البدن اذا خلى منه الروح وهذا الامر لا يصدق به الا من
في قلبه هو — فيه حيوة وما لجرح بميت ايلام والمقصود ان اعظم لذات الدنيا هو السبب
الموصل الى اعظم لذة في الآخرة ولذات الدنيا ثلثة انواع فاعظمها واكملها ما
اوصل الى لذة الآخرة ويثاب الانسان على هذه اللذة اتم ثواب ولهذا كان
المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من اكله وشربه ولبسه ونكاحه وشفاء
غيظه بقهر عدو الله وعدوه فكيف بلذة ايمانه ومعرفته بالله ومحبته له وشوقه الى لقائه
وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم النوع الثاني لذة تمنع لذة الآخرة وتعقب
آلاما اعظم منها كلذة الذين اتخذوا من دون الله اوثانا مودة بينهم في الحيوة الدنيا
يحبونهم كحب الله ويستمتع بعضهم ببعض كما يقولون في الآخرة اذا لقوا ربهم

ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا الآية ولذة اصحاب الفواحش
والظلم والبغي في الارض والعلو بغير الحق وهذه اللذة في الحقيقة انما هي استدراج من الله
لهم ليذيقهم بها اعظم الالام ويحرمهم بها اكمل اللذات بمنزلة من قدم لغيره طعاما لذيذا مسموما
ليستدرجه الى هلاكه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الآية قال بعض السلف
في تفسيرها كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون الآية وقال تعالى لاصحاب هذه اللذة ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال في حقهم فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا الآية وهذه اللذة تنقلب آلاما من اعظم الآلام كما قيل
يا رب كائنة في الحيوة لاهلها ❊ عذبا فصارت في المعاد عذابا ❊ النوع الثالث لذة
لا تعقب لذة في دار القرار ولا الما يمنع وصول لذة دار القرار وان منعت كمالها
وهذه اللذة المباحة التي لا يستعان بها على لذة الآخرة فهذه زمانها يسير ليس لتمتع
النفس بها قدر ولا بد ان تشتغل عما هو خير وانفع منها وهذا القسم هو الذي عناه النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه
وملاعبته امراته فانهن من الحق فما اعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق وما لم يعن عليها فهو باطل ❊

فصل

فهذا الحب لا ينكر ولا يذم بل هو احمد انواع الحب وكذلك حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانما نعني المحبة الخاصة وهي التي تشغل قلب المحب وفكره وذكره بمحبوبه والا
فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل الاسلام الا بها والناس
متفاوتون في درجات هذه المحبة تفاوت لا يحصيه الا الله فبين محبة الخليلين صلى الله
عليهما وسلم ومحبة غيرهما ما بينهما فهذه المحبة هي التي تلطف وتخفف اثقال التكاليف وتسخي
البخيل وتشجع الجبان وتصفي الذهن وتروض النفس وتطيب الحيوة على الحقيقة لا
محبة الصور المحرمة واذا بليت السرائر يوم اللقاء كانت سريرة صاحبها من خير سرائر العباد كما قيل ❊ سيبقى لكم
في مضمر القلب والحشا ❊ سريرة حب يوم تبلى السرائر ❊ وهذه المحبة هي التي تنور الوجه وتشرح الصدر وتحيي القلب

وكذلك محبة كلام الله فانه من علامة حب الله واذا اردت ان تعلم ما عندك وعند
غيرك من محبة الله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك سماعه اعظم من التذاذ
اصحاب الملاهي والغناء المطرب لسماعهم فانه من المعلوم ان من احب حبيبا كان كلامه
وحديثه احب شيئا اليه كما قيل ؎ انك تزعم حبي فلم هجرت كتابي ❊ اما تأملت ما فيه من (ان كنت)
لذيذ خطابي ❊ وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من
كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام من هو غاية مطلوبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يوما لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اقرأ علي فقال اقرأ عليك وعليك انزل فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح فقرأ سورة النساء حتى اذا بلغ قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فرفع
رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء وكان الصحابة
اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى اقرأ علينا فيقرأ وهم يستمعون فلمحبي القرآن
195 من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني فاذا
رأيت الرجل ذوقه وشده ووجده وطربه وشوقه سماعة الابيات دون سماع الآيات
في سماع الالحان دون سماع القرآن وهو كما قيل ؎ تقرأ عليك الختمة وانت جامد
كالحجر ❊ وبيت من الشعر ينشد فتميل كالنسوان ❊ فهذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه (كالسكران)
من محبة الله وكلامه وتعلقه بمحبة سماع الشيطان والمغرور يعتقد انه على شيء ففي محبة
الله وكلامه ورسوله صلى الله عليه وسلم اضعاف اضعاف ما ذكر السائل من فوائد العشق ومنافعه بل
لا حب على الحقيقة انفع منه وكل حب سوى ذلك باطل ان لم يعن عليه ويسوق المحب اليه ❊ (المحبة)

فصل

(الزوجة يلين امري)
واما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها بل هي من كماله وقد امتن الله سبحانه بها على عباده
فقال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
الآية فجعل المرأة سكنا للرجل يسكن اليها قلبه وجعل بينهما خالص الحب وهو المودة المقترنة
بالرحمة وقد قال تعالى عقيب ذكره ما احل لنا من النساء وما حرم منهن يريد الله ليبين لكم

ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم الى قوله خلق الانسان ضعيفا وذكر
سفيان الثوري في تفسيره عن ابن طاوس عن ابيه كان اذا نظر الى النساء لم يصبر عنهن وفي
الصحيح من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى امرأة فاتى زينب فقضى
حاجته منها وقال ان المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فاذا رأى احدكم امرأة فاعجبته
فليأت اهله فان ذلك يرد ما في نفسه ففي هذا الحديث عدة فوائد منها الارشاد الى
التسلي عن المطلوب بجنسه كما يقوم الطعام مكان الطعام والثوب مقام الثوب ومنها
الامر بمداواة الاعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بانفع الادوية وهو قضاء وطره من اهله
وذلك ينقض شهوته بها وهذا كما ارشد المتحابين الى النكاح كما في سنن ابن ماجه مرفوعا لها
لم ير للمتحابين مثل النكاح ونكاحه لمعشوقته هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعا
وقدرا وبه تداوى نبي الله داود صلى الله عليه وسلم ولم يرتكب نبي الله محرما وانما تزوج
المرأة وضمها الى نسائه لمحبته لها وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا
واما قصة زينب بنت جحش فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم توافقه وكان يستشير ١٩٦
رسول الله صلى الله عليه وسلم في فراقها وهو يأمره بامساكها فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مفارقها
ولا بد فاخفى في نفسه ان يتزوجها اذا فارقها زيد وخشي مقالة الناس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج زوجة ابنه فانه كان قد تبنى زيدا قبل النبوة والرب تعالى
يريد ان يشرع شرعا عاما فيه مصالح عباده فلما طلقها زيد وانقضت عدتها منه ارسله
اليها يخطبها لنفسه فجاء زيد واستدبر الباب بظهره وعظمت في صدره لما ذكرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فناداها من وراء الباب يا زينب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطبك فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي وقامت الى محرابها
فصلت فتولى الله عز وجل نكاحها من رسوله صلى الله عليه وسلم بنفسه وعقد النكاح
له من فوق عرشه وجاء الوحي بذلك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم لوقته فدخل عليها فكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وتقول انتن زوجكن اهاليكن وزوجني الله عز وجل من فوق سبع سموات فهذه

قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زينب ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم حبب
اليه النساء كما في الصحيح من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم قال حبب الي من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة هذا لفظ الحديث لا ما يرويه بعضهم حبب الي من دنياكم
ثلث زاد الامام احمد في كتاب الزهد في هذا الحديث اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن
وقد حسده اعداء الله اليهود على ذلك وقالوا ما همه الا النكاح فرد الله سبحانه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله
الآية وهذا خليل الله امام الحنفاء كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر
وتسرى بها وهذا داود عليه السلام كان عنده تسعة وتسعون امرأة فاحب تلك المرأة
وتزوجها فكمل المائة وهذا سليمان ابنه عليه السلام كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احب الناس اليه فقال عائشة رضي الله
عنها وقال عن خديجة اني رزقت حبها فمحبة النساء من كمال الانسان قال ابن عباس
خير هذه الامة اكثرهم نساء وقد ذكر الامام احمد ان عبد الله بن عمر وقع في سهمه يوم جلولاء جارية
كان عنقها ابريق فضة قال عبد الله فما صبرت عنها ان قبلتها والناس ينظرون الى
وبهذا احتج الامام احمد على جواز الاستمتاع بالمسبية قبل الاستبراء بغير الوطي بخلاف الامة
المشتركة والفرق بينهما انه لا يتوهم انفساخ الملك في المسبية بخلاف المشتركة فقد ينفسخ
فيها الملك فيكون مستمتعا بامة غيره وقد شفع النبي صلى الله عليه وسلم لعاشق ان
يواصله معشوقه بان تزوج به فابت وذلك في قصة مغيث وبريرة فانه رآه يمشي خلفها بعد فراقها ودموعه
تجري على خديه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فقالت اتامرني
قال لا انما اشفع فقالت لا حاجة لي به فقال لعمه يا عباس الا تعجب من حب مغيث
بريرة ومن بغضها له ولم ينكر عليه حبها وان كانت قد بانت منه فان هذا ما لا يملكه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يساوي بين نسائه بالقسم ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني
فيما لا املك يعني الحب وقد قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
يعني في الحب والجماع فلا تميلوا كل الميل ولم يزل الخلفاء الراشدين والرحماء من الناس يشفقون على العشاق

ورواه النسائي في سننه والطبراني في الاوسط

الى معشوقهم الجائزة وصلتهن كما تقدم من فعل ابي بكر وعثمان وكذلك علي اتي بغلام من العرب — وصلة
وجد في دار قوم بالليل فقال له ما قصتك قال لست بسارق ولكني اصدقك ❊
تعلقت في دار الرياحي خريدة ✚ يذل لها من حسن منظرها البدر ✚ لها في بنات الروم — خودة نسخة
حسن ومنظر ✚ اذا افتخرت بالحسن عانقها الفخر ✚ فلما طرقت الدار من حب مهجتي ✚ اتيت — شغف خافقها نسخة
وفيها من توقدها الجمر ✚ تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا ✚ هو اللص محتوم له القتل والاسر ✚ — القتل نسخة
فلما سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله رق له وقال للمهلب بن رباح اسمح — شعره
بها فقال يا امير المؤمنين سله من هو فقال النهاس بن عيينة فقال خذها فهي لك
واشترى معاوية جارية فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها ❊
وفارقته كالغصن يهتز في الثرى ✚ طريرا وسيما بعدما طر شاربه ✚ فسألها فاخبرته انها
تحب سيدها فردها اليه وفي قلبه منها وذكر الزمخشري في ربيعه ان زبيدة قرأت في
طريق مكة على حائط ❊ اما في عباد الله او في امائه ✚ كريم يسلي الهم عن ذاهل العقل — بمقلي ذاهب نسخة
له مقلة اما المآقي قريحة ✚ واما الحشا فالنار منه على رجل ✚ فنذرت ان تحتال — 198
لقائلها ان عرفته حتى تجمع بينه وبين من يحبه فبينما هي في المزدلفة اذ سمعت من
ينشد البيتين فطلبته فزعم انه قالهما في ابنة عم له نذر اهلها ان لا يزوجوها منه فوجهت
الى الحي وما زالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه واذا المرأة اعشق منه لها فكانت
تعده من اعظم حسناتها فتقول ما انا بشيء اسر مني من جمعي بين ذلك الفتى والفتاة
وقال الحرطي وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية يتحابان فكتب الغلام
لها يوما ❊ ولقد رأيتك في المنام كأنما ✚ اسقيتني من ماء فيك البارد ✚ وكأن — لما طقتني ريق نسخة
كفك في يدي وكأننا ✚ بتنا جميعا في فراش واحد ✚ فظللت يومي كله متراقدا ✚
لاراك في نومي ولست براقد ✚ فاجابته الجارية ❊ خيرا رأيت وكلما ابصرته ✚
ستناله مني برغم الحاسد ✚ اني لارجو ان تكون معانقي ✚ وتبيت مني فوق — فتكون نسخة
ثديي ناهد ✚ واراك بين خلاخلي ودمالجي ✚ واراك فوق ترائبي ومجاسدي ✚
فبلغ ذلك سليمان فانكحها الغلام واحسن حالهما على فرط غيرته وقال جامع

ابن مرجية سألت سعيد بن المسيب مفتي المدينة هل من حب دهمًا من وزر فقال
سعيد انما تلام على ما تستطيع من الامر فقال سعيد والله ما سألني احد عن هذا ولو سألني ما
كنت اجيب الا به فعشق النساء ثلثة اقسام عشق هو قربة وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته
وهذا العشق نافع فانه ادعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح اكف للبصر والقلب
عن التطلع الى غير اهله ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس وعشق هو مقت عند الله وبعد
من رحمته وهو اضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان فما ابتلى به الا من سقط
من عين الله وطرد عن بابه وابعد قلبه عنه وهو من اعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال
بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة هي التي جلبت
على قوم لوط ما جلبت وما اتوا الا من هذا العشق قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
ودواء هذا الداء الردي الاستعانة بمقلب القلوب وصدق اللجأ اليه والاشتغال بذكره والتعوض
بحبه وقربه والتفكر بالالم الذي يعقبه هذا العشق واللذة التي تفوته به فيترتب عليه فوات
199 اعظم محبوب وحصول اعظم مكروه فاذا اقدمت نفسه على هذا او آثرته فليكبر على نفسه تكبير
الجنازة وليعلم ان البلاء قد احاط به والقسم الثالث من العشق العشق المباح الذي
لا يملك كعشق من صورة له امرأة جميلة او رآها فجاءة من غير قصد فاورثته ذلك عشقًا
لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه والانفع له مدافعته
والاشتغال بما هو انفع له منه والواجب على هذا ان يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله
على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وترك طاعة هواه وايثار مرضات الله وما عنده

فصل

والعشاق ثلثة اقسام منهم من يعشق الجمال المطلق ومنهم من يعشق الجمال المقيد سواء طمع
بوصاله او لم يطمع ومنهم من لا يعشق الا من طمع بوصاله وبين هذه الانواع الثلثة تفاوت في
القوة والضعف فعاشق الجمال المطلق يهيم قلبه في كل واد وله في كل صورة جميلة مراد
فيوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء وتارة ينتحي نجدا وآونة شعب
العقيق وطورا قصر تيما فهذا عشقه اوسع ولكنه غير ثابت كثير التنقل يهيم بهذا ثم يعشق

الاول لاجتماعهما في احد القسيم الاولى ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال وعاشق الجمال الذي يطمع في وصاله اعقل العشاق واعرفهم وحبه اقوى لان الطمع يمده ويقويه

فصل

واما حديث من عشق فعف فهذا من يرويه سعد بن سويد وقد انكره حفاظ الاسلام عليه قال ابن عدي في كامله هذا الحديث احد ما انكر على سويد وكذلك ذكره البيهقي وابن طاهر في الذخيرة والتذكرة وابو الفرج بن الجوزي وعده من الموضوعات وانكره ابو عبد الله الحاكم على تساهله وقال انا اتعجب منه قلت والصواب في الحديث انه من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه فغلط سويد في رفعه قال ابو محمد ابن خلف بن المرزبان حدثنا ابو بكر بن الازرق عن سويد فعاتبته على ذلك فاسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكان بعد ذلك يسأل عنه ولا يرفعه ولا يشبه هذا كلام النبوة واما ما رواه الخطيب له عن الازهري ثنا المعافى بن زكريا ثنا قطبة بن الفضل ثنا احمد بن محمد بن مسروق ثنا سويد ثنا ابن مسهر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة مرفوعا فمن ابين الخطاء ولا يحتمل هذا عن هشام عن ابيه عن عائشة من شم ادنى رائحة من العلم من الحديث ونحن نشهد بالله ان عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا حدث عنها عروة ولا حدث به عنه هشام قط واما حديث ابن الماجشون عن عبد الله بن ابي حازم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا فكذب على ابن الماجشون فانه لم يحدث بهذا ولم يحدث به عنه الزبير بن بكار وانما هذا من تركيب بعض الوضاعين ويا سبحان الله كيف يحتمل هذا الاسناد مثل هذا المتن فقبح الله الواضعين وقد ذكره ابو الفرج بن الجوزي من حديث محمد بن جعفر بن سهل ثنا يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن بن عوف عن ابن ابي نجيح عن مجاهد مرفوعا وهذا غلط قبيح فان محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي ووفاته سنة سبع وعشرين وثلث مائة فمحال ان يدرك شيخ يعقوب ابن ابي نجيح لا سيما وقد رواه في كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا عن الزبير عن عبد الملك عن عبد العزيز عن ابن ابي نجيح والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية ذكره ابو الفرج في كتاب الضعفاء وكلام حفاظ الاسلام في انكار هذا الحديث هو الميزان واليهم يرجع في

هذا الشأن ولا تصحيح بل ولا تحسين احد يعول في علم الحديث اليه ويرجع في التصحيح اليه ولا من عادته التساهل والتسامح فانه لم يطيب لنفسه له ويكفي ان ابن طاهر الذي يتساهل في احاديث التصوف ويروي منها الغث والسمين والمنخنقة والموقوذة قد انكره وحكم ببطلانه نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه وقد ذكر ابو محمد بن حزم عنه انه سئل عن الميت عشقا فقال قتيل الهوى لا عقل ولا قود ودفع اليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ فقال ما شأنه فقال العشق فجعل عامة يومه يستعيذ من العشق فهذا تفسير من قال من عشق وعف وكتم ومات فهو شهيد ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم عد الشهداء في الصحيح فذكر المقتول في الجهاد والمبطون والحرق والنفساء يقتلها ولدها والغرق وصاحب الهدم فلم يذكر منهم العاشق يقتله العشق وحسب قتيل العشق ان يصح هذا الاثر عن ابن عباس رضي الله عنهما على انه لا يدخل الجنة حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله ولهذا لا يكون الا مع قدرته على معشوقه وايثار محبة الله وخوفه ورضاه ولكن احق من دخل تحت قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وتحت قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم ان يجعلنا ممن آثر حبه ورضاه على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه آمين يا رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

ما عليه

يقف

شسد

كالفرخ

الحرق

الغرق

ذات الجنب

لهذا من

٢٠١

صورة ما ارخه العلامة القمقام مولانا الحاج الحافظ الحكيم محمد عبد السلام حفظه الله من شرور الليالي والايام

كتاب اسبغ رشدا ابليا ... فلم اغو من الشيطان غيا

شربت من رحيق الحق كاسا ... فلم اسعى بامر الله عيا

وضل راح منا مثل عاد ... من اشرار اذا طلعت ثريا

سفه الناس اسارة اعتقاد ... لهم يغشوا الاوجاه شيا

ويستشفي به كل عليل

ويروي عطش الجنات ريا

ایضاً

نباہی نحن بالکافی کتاباً ... ستغنے ان ینفع عبداً وحرّا
وان یبقی علے صفحات دہر ... فلن یفنے اذن ولن یمرّا
واحببہ لیطیب کل نفس ... او یاتی تاجد لئن یحجرا

وفاق الکوکب الدری ضوءً
وضاہی زائنا درّا ودرّا
۱۳ھ

ایضاً لجمیع الکمالات الصوری والمعنوی المولوی ابی الخیر
محمد ضمیر الحق الآروی سلمہ اللہ القوی

قد انطبع الکتاب المستطاب ... فسروا ایہا الخلان سرّا
نتوب من خطایانا جمیعاً ... وان کان لنا ذا الامر مرّا
وندعو ربنا فی کل حال ... لیحفظنا من الاعمال ضرّا

فلما استتمت الطبع قلت
کتاب شائع فی الآفاق طرّا
۱۳ھ

ایضاً فارسی از نتائج طبع سامی جناب مولوی محمد عبد العزیز
صاحب بانگرموی ثم التبالگرامی سلمہ ربہ

کتاب نادر بحسن وخوبی بزیور طبع شد محلی
دوای شافی علاج کامل برآمد از پردہای قدرت
عزیز از بہر سال طبعش بریدہ راس لعین رقم زد
جواب صادق عجیب واعجب پسند ہر صاحب لیاقت
۱۳ھ

٤١٣/ج

١٨١٦٥

١٩٣٠ م

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ـ ج

DATE	No.	DATE	No.